

الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

كلية الإدارة والاقتصاد

قسم الاقتصاد

الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية – الواقع والآفاق

الدنمارك نموذجا

بحث مقدم من قبل طالب الدكتوراه عبد الرزاق محمد صالح الساعدي

وهو جزء من متطلبات الحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم

الاقتصادية

وتحت اشراف الاستاذ الدكتور رشيد عباس الجزراوي

طالب الدكتوراه

عبد الرزاق محمد صالح الساعدي

الدنمارك ٢٠١٢

من السهل عادة أن نرى ميلاد شيء ما
في حين من الصعب علينا أن نرى نهايته

أقوال في الرفاهية

جاي سورمان

الإهداء

الى....

كل من تضرع جوعا....

كل من ضاقت به سبل العيش في العالم

المشردين والكادحين والمحرومين من النعم

أتوج هذا الجهد المتواضع لمعاناتهم.

طالب الدكتوراه

عبد الرزاق محمد صالح الساعدي

أشهد أن إعداد هذه الرسالة قد جرى تحت إشرافي في الأكاديمية العربية
المفتوحة في الدانمارك/ كلية الإدارة والاقتصاد – قسم الاقتصاد - وهي
جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية.

المشرف : الأستاذ الدكتور رشيد الجزراوي

التاريخ:

التوقيع:

توصية قسم الاقتصاد

بناء على التوصيات، أرشح هذه الاطروحة للمناقشة

رئيس قسم الاقتصاد

الاسم: أ. د. رشيد عباس الجزراوي

التاريخ:

التوقيع:

التفويض

أنا / عبد الرزاق محمد صالح محمد

أفوض الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك بتزويد نسخ من أطروحتي هذه المعنونة (الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية – الواقع والآفاق – الدنمارك نموذجا) للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

الاسم : عبد الرزاق محمد صالح محمد

التوقيع:

التاريخ: / ٢٠١٢

المقيم اللغوي

أشهد بأن الاطروحة الموسومة " الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية –
الواقع والآفاق – الدنمارك نموذجا " تم تقييمها لغويا من قبلي.. ولأجله
وقعت في أدناه.

محمد عبد الجبار الحلبي

أ.

مشرف تربوي في مديرية تربية الحلة

نشهد أننا أعضاء لجنة المناقشة، أطلعنا على الاطروحة الموسومة:

(الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية – الواقع والآفاق

الدنمارك نموذجا)

وقد ناقشنا الطالب (عبد الرزاق محمد صالح محمد) في محتوياتها،
وفيما له علاقة بها، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل شهادة درجة
الدكتوراه في العلوم الاقتصادية وبتقدير..

(())

وأجيزت بتاريخ / / ٢٠١٢

أعضاء لجنة المناقشة :

- ١
- ٢
- ٣
- ٤

مصادقة مجلس الكلية

صُدمت من قبل مجلس الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك

الاسم: أ. د.

عميد كلية: الادارة والاقتصاد

التاريخ:

التوقيع:

شكر و تقدير

أتقدم بالشكر والعرفان لكل من كان له الفضل في المساعدة على إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور رشيد عباس الجزراوي المشرف على الأطروحة الذي كان له الفضل من خلال ملاحظاته الدقيقة بشأن فقرات الأطروحة، وإبداء الآراء الثاقبة لبعض الجوانب فيها، وأسلوبه التشجيعي خلال فترة الإشراف على الأطروحة، فله مني كل الشكر والتقدير.

كما لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور وليد ناجي الحيايي رئيس الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك لتواصله المستمر بالارشادات الموجهة والقيمة وآراه السديدة فله كل الشكر والتقدير

ولا يفوتني ان أتقدم بفائق الشكر والعرفان الى الاستاذ الفاضل الدكتور كاظم المقدادي لمتابعته المستمرة وارساله بعض التقارير والمقالات التي تخص موضوع البحث فله جزيل الشكر والتقدير.

كما أوجه الشكر الجزيل الى اخي وصديقي الفاضل الدكتور ربيع خلف صالح معاون عميد كلية الادارة والاقتصاد جامعة بغداد لمساعيه المشكورة بأبداء المشورة وملاحظاته القيمة بخصوص البحث فله فائق الشكر والتقدير. وشكري موصول الى الاستاذ محمد عبد الجبار لمساعدتي في تقويم الأطروحة لغويا.

كما اتوجه بالشكر لكل الاهل والاصدقاء والاحبة الذين وقفوا وساندوا بالرأي او التشجيع سواء الاحبة في العراق او الدنمارك.

طالب الدكتوراه

عبد الرزاق محمد صالح محمد

٢٠١٢

الفهرس

١١ الفهرس
١٥ فهرس الجداول
٣٠ الباب الاول: تطورات الاقتصاد العالمي
٣٠ تطورات الاقتصاد العالمي
٣٢ الفصل الاول
٣٢ واقع الاقتصاد في العصور القديمة
٣٣ المبحث الاول :التطور الاقتصادي في العصور القديمة
٤٦ المبحث الثاني: التطور الاقتصادي في مرحلة الثورة الصناعية
٥٨ الفصل الثاني
٥٨ أقتصاديات الدول الاوربية
٦٠ المبحث الاول : أقتصاديات النظام الرأسمالي
٧٢ المبحث الثاني : اقتصاديات النظام الاشتراكي
٨٦ الفصل الثالث
٨٦ اقتصاديات العالم الثالث
٨٧ المبحث الاول : الواقع الاقتصادي للدول النامية
٩٨ المبحث الثاني : الواقع الاقتصادي للدول العربية

الباب الثاني الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية .. ١١١

١١٥	الفصل الاول.....
١١٥	البنية الفكرية لمفهوم دولة الرفاهية.....
١١٥	المبحث الاول : مفهوم الرفاه ودولة الرفاهية.....
١٢٤	المبحث الثاني : مفهوم البنية الفكرية لدولة الرفاه.....
١٣٧	الفصل الثاني.....
١٣٧	نشوء وتطور دولة الرفاهية.....
١٣٧	المبحث الاول : نشوء دولة الرفاه.....
١٤٥	المبحث الثاني: تطور دولة الرفاه.....
١٥٣	الفصل الثالث.....
١٥٣	نماذج دولة الرفاه.....
١٥٤	المبحث الاول النموذج الليبرالي.....
١٦١	المبحث الثاني : النموذج التعاوني.....
١٦٨	المبحث الثالث : النموذج الاجتماعي الديمقراطي.....

الباب الثالث: الدراسات السابقة للرفاهية ١٧٧

الفصل الاول..... ١٧٩

الدراسات السابقة للرفاهية في العصور القديمة..... ١٧٩

الفصل الثاني..... ١٩٣

الدراسات السابقة للرفاهية في الاديان.. الاسلام نموذجا..... ١٩٣

الفصل الثالث..... ٢٠٧

الدراسات السابقة عند الرواد الاقتصاديين..... ٢٠٧

الباب الرابع/ الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك

..... ٢١٧

الفصل الاول: ٢١٩

التسمية.. الواقع الجغرافي .. التاريخ..... ٢١٩

الفصل الثاني..... ٢٣٧

نظام الحكم والنظام الاقتصادي في الدنمارك ٢٣٧

المبحث الأول : نظام الحكم في الدنمارك..... ٢٣٧

المبحث الثاني: النظام الاقتصادي ٢٤٤

الفصل الثالث..... ٢٥٤

نظام الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك- الواقع والآفاق..... ٢٥٤

المبحث الاول: واقع الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك..... ٢٥٥

المبحث الثاني: تقييم معايير الرفاهية في الدنمارك..... ٢٦٢

٢٧٨	المبحث الثالث: آفاق دولة الرفاهية الاقتصادية
٢٨٧	الخاتمة Endings
٢٩٠	ثانياً: التوصيات
٢٩٣	المراجع
٣١٤	٦- كتيب من وزارة الخارجية الدنماركية
٣١٤	٧- كتيبات في بلدية فيبورك
	٨- ترجمة لمقال الخبير الاقتصادي الهولندي أندري دي فريس الذي القاه في
٣١٤	المؤتمر الاقتصادي العالمي في الخرطوم عام ٢٠٠٩
	٩- مقال لعيسى عبده نقلا عن أخبار " تي في ٢ " الدنماركي بتاريخ ٣٠ - ابريل
٣١٤	٢٠١٢
٣١٦	الخلاصة

فهرس الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	القيمة المضافة للصناعات التحويلية العربية ومساهمتها بالناتج الاجمالي	٩٥
٢	دور دولة الرفاهية الاجتماعية في بنية الأستخدام	158
٣	التركيب العمري للسكان وأعداد الذكور والاثاث	٢٠٥
٤	عدد العاطلين عن العمل من كلا الجنسين	232
٥	عدد العاملين من كلا الجنسين	٢٣٢
٦	عدد العاملين في القطاعات الاقتصادية المختلفة من كلا الجنسين	٢٣٢
٧	عدد الحاصلين على التقاعد المبكر	٢٣٥
٨	النفقات الاجتماعية لدولة الرفاه في الدنمارك	237
9	مقارنة إحصائيات الاقتصاد بين الدنمارك والنرويج	٢٤٤
10	مقارنة احصائيات القطاع الصحي بين الدنمارك والنرويج	٢٤٦
11	مقارنة احصائيات القطاع التعليمي بين الدنمارك والنرويج	٢٤٩
12	مقارنة احصائيات سوق العمل بين الدنمارك والنرويج	٢٥١
13	مقارنة احصائيات المستوى المعيشي بين الدنمارك والنرويج	٢٥٣

الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية- الواقع والآفاق

الدنمارك نموذجا

المقدمة

بعد أجتيازي لمرحلي البكلوريوس والماجستير، المرحلة الاولى في العراق -جامعة الموصل- كلية الادارة والاقتصاد، والمرحلة الثانية الماجستير في الدنمارك - الاكاديمية العربية في الدنمارك - كلية الادارة والاقتصاد، حيث نلت فيها درجة الماجستير في العلوم الاقتصادية، وكان محور دراستي تتمركز حول العولمة الاقتصادية.. وكان عنوان الدراسة هو " العولمة وتأثيرها على البطالة في الوطن العربي- الواقع والاحتساب " .

وعند البدء بدراسة الدكتوراه في نفس الاكاديمية وأجتيازي الدروس النظرية ولستنتين، إستهوتني دراسة اقتصادية جديدة جدرة بأهتمام العالم قديما وحديثا الا وهي " الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية " فهل هناك فجوة بين العولمة والرفاهية؟

بالتأكيد فأن الدارسين للموضوعين سيرون فارقا كبيرا من حيث مفهوم كل منهما، ولكن الامر يتمحور في تقنين المسيرة الاجتماعية والاستفادة من المسيرات الاقتصادية لكل منهما ورفد المجتمع بكل شئ يقوم عمله نحو الافضل والاحسن. فالعولمة تعني الاستفادة من المقاربات الفكرية والعملية والتكنولوجية للعلوم العديدة، وتقريب المجتمع بها للوصول الى أفضل الايجابيات في عمله، أي تحسين عمله العلمي والعملية، فالعولمة ترفد الرفاهية العلمية والعملية للثروة الفكرية الناهضة، ولمقارباتها والاستفادة منها في نهوض المجتمع، أما الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية التي نالت الدراسات العديدة ولو أنها ليست بقدر العولمة ولكنها تبقى بذاتها هاجس الانسان الاول والاخير.. لذا بدأت أجمع أفكارى لتغطية هذا الموضوع ضمن بحث علمي وأخترت له موضوعا جديرا بالدراسة بعد الاستشارة مع الاستاذ المشرف الدكتور رشيد الجزراوي، وبموافقة علمية من الاكاديمية العربية في الدنمارك، وقد أتمم البحث بالعنوان التالي " الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية - الواقع والآفاق - الدنمارك نموذجا " . وقد بدأت بجمع البيانات حولها نظريا كانت أو عمليا، وأخترت الدنمارك نموذجا لبحثي كوني لمست صدق الرفاهية في هذا البلد

وما تقدمه في أروع نظام لتطبيق العدالة الاجتماعية لهذا البلد الصغير في عدد نفوسه والكبير في عدالته، كذلك كون الدنمارك ضمن المنزلة الاولى في الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية حسب دراسات ميدانية لمعهد غالوب الهولندي لمجمل كل الدول العالمية، وغايتي في ذلك اىصال الفكر الاقتصادي الدنماركي الى راسمي السياسة في بلدي العراق والى جميع الدول التي مازالت تعاني من الجوع والحرمان والمرض، وكما هو معروف لدى المنظرين الاقتصاديين بأن موضوع الرفاه الاقتصادي والاجتماعي أمر نسبي يعتمد على متغيرات كثيرة منها ما يعزى الى عوامل طبيعة ومنها ما هو اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي، ومنها ما هو متعلق بالمستوى التقني وتطوره، ثم أن هذه المتغيرات تتأثر بسلسلة لا حصر لها من العوامل والمؤثرات المتبدلة مع مرور الزمن. ومع أن الادبيات الاقتصادية التي بحثت بعض جوانب موضوع الرفاه والتكافل الاقتصادي قلما تعود الى ما قبل منتصف القرن الثامن عشر الميلادي إبان قيام الثورة الصناعية في أوروبا في ظل التنزعات والازمات العملية بين الشركات الناهضة وحقوق العمال وظهور اتجاهات فكرية متعددة وخاصة الاشتراكية التي نادى برفاه الطبقة العاملة، وعليه فإن البحث النظري المتطور في هذا الحقل من علم الاقتصاد لم يبدأ على نحو مركز الا منذ نحو نصف قرن فقط، بيد انه لا يمكن إغفال أهمية بعض أبحاث الفلسفة المسيحية والاسلامية اللتان كانتا سائدة في العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة، كذلك فإنه تجدر الإشارة الى كتابات الكونت الايطالي كارافا¹ D. Carafa في القرن الخامس عشر تناولت جوانب من النزعة الاجتماعية ونادت بوجود الاهتمام بالموازنات المالية وضرورة تضمينها إعمادات تخصص للأنفاق على المسائل الاجتماعية، كما تناولت البحث في مبدأ العدالة الاجتماعية.

وتعد بعض الكتابات التي برزت في القرن الثامن عشر في أوروبا بمنزلة المنعطف الفكري الكبير لمفهوم الرفاه والتكافل الاقتصادي والاجتماعي في الغرب، فقد ظهرت مؤلفات " جون ستيوارت مل وكتابات بنتنام " المتعلقة بالمنفعة والمذهب القائل بأن هدف السلوك البشري هو تحقيق أعظم الخير لأكبر عدد من الناس، ثم

1- كاتب إيطالي له أبحاث في العلوم الاجتماعية في القرن الخامس عشر. (الباحث)

تطور الجانب الاقتصادي فنيا فيما بعد على أيدي " إدجورث وباريتو ومارشال وبيجو " .

إن المضمون الاجتماعي للرفاه الاقتصادي القائم على التكافل هو من الظواهر القديمة التي لازمت الانسان على نحو أو آخر منذ فجر التاريخ، فالانسان اجتماعي بالفطرة، وتجدر الإشارة الى أن حضارة الصحراء العربية والاعراف القبلية والقيم الاجتماعية لحياة البداوة قد زحرت بمفاهيم راسخة تتعلق بمسائل التكافل الاجتماعي والاقتصادي داخل القبيلة الواحدة بوجه خاص، وفي حياة البداوة بوجه عام، ثم أن الديانات السماوية التي بزغت في شرقنا العربي أو الديانات الوضعية في الهند وجنوب شرق آسيا قد حملت معها مفاهيم وقيما سامية في أسس التكافل الاجتماعي وفي مفاهيم الرفاه والمساواة بين البشر.

فالديانة اليهودية أوصت بالتعاضد الاجتماعي ومد يد العون الى الذين يحتاجون اليها، ولكنها قصرت ذلك على إتباع الديانة اليهودية فقط.

وفي الديانة المسيحية تعد محبة الآخرين وإكرام اليتيم والارملة والمسكين والمريض والسءاء في الصدقات من صلب التعاليم الدينية، وهي توصي ايضا بأن يجري كل ذلك في الخفاء ومن غير منة أو فخر.

أما الاسلام فإنه زاد في هذا الصدد على ما جاء قبله، إذ هو يختلف ليس فقط في حضه على الصدقات، بل في كونه جعل الزكاة ركنا أساسيا من أركان الدين، وفي جعلها حق للمعوزين في أموال الميسورين، كما في قوله تعالى " طس، تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون"²

ومن الملاحظ أن الزكاة لم تفرض في الاسلام محاربة للأغنياء إذ " أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده " بل فرضت لأستئصال العوز والفقير، فقد كلف فيها القادرون على دفعها فقط، وهكذا فإن الاسلام قد سبق الاقتصاديين الغربيين بعدة قرون في طرح مبادئ التكافل الاقتصادي والاجتماعي.

²- القرآن الكريم. سورة النمل، آية ١-٣

وبعد أعدادى لكل متطلبات البحث العلمى لهذا الموضوع كان لابد لى من وضع الخطة العلمىة لبحثى هذا لتكون الطرىق الذى أبنى بها بحثى، وأشتملت الخطة العلمىة التى أرسلتها الى الاكادىمىة العربىة فى الدنمارك وحصلت على موافقتها.. إشتملت على ما ىلى:

أولاً: خطة البحث العلمىة.

ثانياً: متن البحث.

ثالثاً: الخاتمة وهى الاستنتاجات والتوصىيات.

رابعاً: المراجع.

خامساً: الخلاصة

وفى أدناه، أعرج على هذه الخطوات.

أولاً: خطة البحث العلمىة sictific outline

والخطة تضمنت لكل الخطوات التى بسببها اتممت موضوع بحثى وهذه الخطوات مهمة لبناء الاساس العلمى للبحث وأشتملت الآتى:

١- مشكلة البحث problem of desteration

تعنى المجتمعات الانسانية فى العصر الراهن العدىد من المشكلات التى يمكن تلخىصها فى الجوع، والحرمان، والمرض، والكوارث البىئىة، والحروب الاقلىمىة، والنزعات الاثنىة والعقائدىة، والحروب الاقصادىة " وعلى شكل الاستعمار الجدىد"، والفوارق الاجتماعىة بىن غنى جءا وفقىر جءا، وهذه البىانات السلبىة فى حىاة المجتمعات أدت الى الصراعات الاجتماعىة المتعددة وشكلت صفة سلبىة عامة فى العالم، ومن نتائجها: الجرىمة المنظمة وغير المنظمة، زىادة تجارة المخدرات، زىادة الامراض البوائىة، وغيرها، وعليه فأن الرفاهىة وتناقص معدلاتها كعامل حسم فى هذه السلبىيات فى القرن الحادى والعشرىن، وهى مشكلة لا يمكن حلها. وحاولت فى بحثى هذا استبىان تلك المشكلات وعلاقاتها بالرفاهىة ضمن مجموعة من الافكار المطروحة فى متن البحث.

٢- أهمية البحث Importance of desteration

تكمن أهمية البحث فى التنوع الفكرى والمنهجى فى تناول مسألة " دولة الرفاهىة الاجتماعىة " والمقارنة بىن التجارب المختلفة اى انماط الرفاهىة الاجتماعىة الثلاث

المتتمثلة بالنمط الليبرالي والنمط التعاوني والنمط الشامل، كذلك محاولة رسم الأفق المستقبلية لاننا أحوج ما نكون الى الاطلاع على مختلف التجارب في العالم التي توضح لنا كيف تم التعامل مع التحولات الحاصلة في إطار العولمة والتغيير في العلاقات الاقتصادية الدولية والبحث في كيفية موازنة كل ذلك مع الاحتياجات والمطالب الوطنية. ومن أهميتها نقل تجارب وأفكار دول الرفاه وخاصة منها الدول الاسكندنافية الى بلدان العالم الثالث التي تسخر بكل مقومات الرفاهية لكنها لازالت تعاني من الفقر والجوع والأمراض.

٣- هدف البحث Goal of desteration

يهدف البحث الى :

- أ- التعرف على تجارب منظومات دول الرفاهية الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة صناعاتها، الرأسمالية منها والاشتراكية، وكذلك التعرف على بعض تجارب الدول النامية في سعيها الى تحقيق الرفاهية الاجتماعية لشعوبها.
- ب- التمكن من إستخلاص الدروس والعبر من تلك التجارب التي أدت الى تحقيق النجاحات في هذا المجال أو التي أخفقت في ذلك والتعرف على العوامل الكامنة وراءها.
- ت- التعرف على محاولات الدول العربية لتحقيق الرفاهية الاجتماعية لشعوبها والتحويلات التي طرأت عليها وتحديد الظروف الكامنة وراءها ومدى نجاحها أو فشلها في تحقيق أهدافها.
- ث- تحديد المسارات المستقبلية لتوفير الرفاهية الاجتماعية في الدول العربية.

٤- منهجية البحث methodology of desteration

- إتبع الباحث المنهج الوصفي والتحليلي فيما يخص الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية وقد اتبعنا خطة البحث العلمي في ذلك معتمدين على البيانات البحثية الواردة من:
- أ- المؤلفات الاجنبية والعربية التي تناولت موضع الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية.

ب- كذلك اعتمد الباحث على جمع بياناته عن طريق وسائل الاتصال الحديثة "الانترنت" والتي كانت على شكل مقالات ومنشورات وبحوث لكتاب اقتصاديين 0عرب وأجانب.

ج- الحصول على الاحصائيات المتعلقة بموضوع الرفاه عن طريق دائرة الاحصاء الدنماركية وعن طريق المنظمات الدولية كمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية وكذلك ء- اعتماد استمارات الاستبيان الذي عملها الباحث وتحليل نتائجها. بعد الحصول على بيانات المجتمع الدنماركي

٥- فرضيات البحث hypotheses of desteration

يرى الباحث أن هناك جملة من الفرضيات التي لها علاقة بموضوع البحث وتعتبر من الاهمية بمكان أن تكون مادة خصبة للبحث والتحليل وأستخلاص النتائج الضرورية من الناحيتين النظرية والعملية. وأهم الفرضيات هي:

- أ- دولة الرفاه هي مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي.
- ب- دولة الرفاه هي نتيجة لآخفاقات السوق الرأسمالي وتكرار الازمات المتكررة.
- ت- دولة الرفاه كانت أستجابة لمطالب الطبقات العاملة بعد الاحتجاجات الدائمة من قبلها.
- ث- أدت مخاوف النظام الرأسمالي من إزدياد نفوذ الاحزاب الاشتراكية والميل نحو الشيوعية في البلدان الاوربية الى اعتماد قوانين الرعاية الاجتماعية كالتأمين على البطالة والتقاعد والشيخوخة.
- ج- تراجع دولة الرفاه بعد انهيار النظام الاشتراكي وأعتقاد الافكار الرأسمالية بأن دولة الرفاه تكلف الكثير من الاموال والتي كانت في السابق تذهب الى خزائن الرأسماليين.
- ح- مدى إمكانية نقل فكرة الرفاهية وتطبيقاتها الى العالم الثالث.

ثانيا: متن البحث concept of desteration

البحث في موضوع الرفاهية يتطلب التوسع في مفرداتها، لذا فقد إشتملت تلك المفردات في الابواب وفصولها وكالاتي:

الباب الاول: تطور الاقتصاد العالمي، وفي هذا الباب والذي اشتمل على ثلاث فصول تطرق الباحث حول التطور التاريخي للاقتصاد العالمي والذي سيسهل على الدارس العلمي فهم واقع الاقتصاد القديم والحالي، وهذه الفصول هي:

الفصل الاول: الواقع الاقتصادي في العصور القديمة

حيث تم دراسة هذا الفصل بمبحثين، أحدهما تطرق الى الواقع الاقتصادي في العصور القديمة حيث كان النظام الاقتصادي آنذاك نظاما مشتركا بين كل الشعوب في المرحلة الاولى من تطورها. والمبحث الثاني التطور الاقتصادي بعد الثورة الصناعية التي ادت الى انقلاب عظيم في تطور الاقتصاد العالمي من خلال الزيادة الحاصلة في الانتاج من خلال التكنولوجيا الحديثة التي سارعت وبشكل كبير في نمو اقتصاديات العالم وبالاخص الاوروبية منها.

الفصل الثاني: اقتصاديات الدول الاوروبية

حيث اشتمل هذا الفصل على مبحثين يتناول المبحث الاول شرح مضامين اقتصاديات الدول الاوربية المنضوية تحت مجموعة (EU)، ويتضمن المبحث الثاني اقتصاديات الدول المنضوية تحت راية الاشتراكية. وتشخيص مميزات كل من هاتين المجموعتين وتطور اقتصادياتهما بسياسات اقتصادية مختلفة اتخذت الاولى نظام السوق الحر الراسمالي في تطورها بينما أعتمد النظام الاشتراكي على نظام التخطيط الاشتراكي.

الفصل الثالث: اقتصاديات العالم الثالث

واحتوى هذا الفصل على مبحثين أحدهما التطور الاقتصادي للدول النامية والثاني التطور الاقتصادي في البلدان العربية، وأن تجربة هذه البلدان اثبتت أن ماتحتاجه ليس فقط معدلا مرتفعا من النمو الاقتصادي وانما ايضا تحتاج الى عدالة التوزيع والمساواة، والى الارتفاع بالمستوى المعيشي لمجموع السكان، وتطرق الباحث الى تجربة كوريا الجنوبية مثلا حسنا للدول النامية لما وصلت اليه من تقدم ورفاه.

الباب الثاني: الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية.. ويشتمل هذا الباب على ثلاث فصول وكالاتي:

الفصل الاول: البنية الفكرية لمفهوم الرفاهية و دولة الرفاه

يتضمن هذا الفصل التعريف الفكري لمفهوم دولة الرفاه، فكل علم يعرفها وفق البنية الفكرية لهذا الفرع أو ذاك، فالعلوم الاقتصادية تناولتها من منظور الانتاج وزيادته، والقانون يتناولها على انها حق من حقوق الانسان في التمتع بالرفاهية وأشباع حاجات الانسان المتعددة، اما العلوم الاجتماعية فتناولتها من منطلق حق الفرد في الرفاهية، فإنه يعمل ويكد كي يحصل على كفايته من إشباع الرغبات.

الفصل الثاني: نشوء وتطور دولة الرفاه

يشتمل هذا الفصل الى مبحثين وكالاتي: المبحث الاول تناول نشوء دولة الرفاه، والثاني تناول تطور دولة الرفاه، وتضمن التعريف على توقيتات نشوء دولة الرفاه وأسبابها وتطورها، فقد نشأت فكرة دولة الرفاه إبان الكساد الكبير (١٩٢٩) في الولايات المتحدة الامريكية، الا أن هناك من يوعز بوادر نشوئها الى عهد الكونت فون بسمارك في ثمانينات القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث: نماذج دولة الرفاه

يتضمن هذا الفصل تحليل ثلاث أنماط لدولة الرفاه حسب التصنيف الشائع الذي قام به عالم الاجتماع (إسبينغ أندرسن) وهي كما يلي: النمط الليبرالي المتمثل بالولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وكندا، والنمط التعاوني الشائع في فرنسا والمانيا والنمسا، والنمط الاخير هو النمط الشامل (الاسكندنافي) المتمثل بالسويد والدنمارك والنرويج وفنلندا.

الباب الثالث: الدراسات السابقة للرفاهية ودولة الرفاه.. في هذا الباب تناولت الدراسات السابقة مجمل السرد التاريخي لمفهوم الرفاهية وكيفية تطبيقها وتناولها من مختلف الفترات التاريخية القديمة والحديثة، وهذا الباب من ثلاثة فصول وكما يلي:

الفصل الاول: الدراسات السابقة للرفاهية في العصور القديمة

في هذه الفترة منذ نشوء الانسان ومجتمعه وهو يفكر في تحقيق نظام سياسي واقتصادي لمجتمعه يكفل السعادة والطمأنينة لجميع أفراد المجتمع، وتناول هذا الفصل اربعة محاور وكما يلي.. الاول.. دراسات بداية الانسان، الثاني.. دراسات في العصور القديمة، الثالث.. الفكر الاقتصادي والاجتماعي عند أفلاطون، الرابع.. الدراسات لدى المفكرين.

الفصل الثاني: الدراسات السابقة للرفاهية في الأديان الاسلام نموذجاً

يبين هذا الفصل الدراسات التي تناولت موضوع الرفاه الاجتماعي الذي يعمل في ظل هيمنة الشريعة الاسلامية لتحقيق هدفين أساسيين (الاعمار والعدل) هذه هي المسلمة الاولى، أما المسلمة الثانية هي أن النظام الاقتصادي الاسلامي يتحول الى فعاليات الحياة الاقتصادية وأنشطتها سلوكاً وممارسة بفضل قدرة العقل المسلم على تحويل المفاهيم والاحكام الاسلامية الى واقع عملي على ضوء هدي الشريعة.

الفصل الثالث: الدراسات السابقة عند المفكرين

هذا الفصل تضمن دراسات عدد من المفكرين الاقتصاديين في تحليل دولة الرفاهية الاقتصادية وسبب نشوئها وأختلاف التحليلات حول مواضيعها، وكان منهم الاقتصادي بيجو (Pigou) الذي علق أهمية على الرفاهية المادية كأساس لسعادة الانسان، أما رادوميزلر (Radomysler) فقد أكد على دراسة أسباب الرفاهية أي العوامل التي تؤدي الى تحقيق قدر أوفى من السعادة للانسان، وعرج باريتو (pareto) على تعريف الوضع الامثل أو أقصى الرفاهية العامة بأنه ذلك الوضع الذي لايمكن التحرك منه الى وضع آخر يصبح فيه كل فرد في النظام الاقتصادي أحسن حالاً من ذي قبل.

الباب الرابع: الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك.. ويتضمن هذا الباب

ثلاث فصول أسلط الضوء على الدنمارك إجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وهي من الامور المهمة التي جعلت الدنمارك تتسم بالرفاهية.. وهذا الباب يقع ضمن ثلاث فصول وكما يلي:

الفصل الاول: نبذة عن مملكة الدنمارك

ويتضمن هذا الفصل نبذة عن مملكة الدنمارك وهو في بحثين.. الاول: معلومات عامة عن الدنمارك يتضمن أصل تسمية الدنمارك والسمات الجغرافية والمناخ والاقليم الجغرافية والبيئة. والثاني: تاريخ الدنمارك قديما وحديثا، حيث كان الشعب الدنماركي من بين الشعوب المعروفة بأسم (الفايكنج) وهم أول من وصل وأستقر في آيسلندا في القرن التاسع عشر ونجحوا في إستغلال مهاراتهم في بناء السفن لغزو أجزاء من فرنسا والجزر البريطانية.

الفصل الثاني: نظام الحكم والنظام الاقتصادي في الدنمارك

حيث تضمن هذا الفصل بحثين... الاول: نظام الحكم في الدنمارك الذي يعتمد الحكم الديمقراطي الانتخابي منذ عام ١٨٤٩م وفي عام ١٩٥١م أدخل النظام البرلماني عمليا وقانونيا. والثاني: النظام الاقتصادي في الدنمارك حيث يعد اقتصاد الدنمارك من الاقتصاديات الحديثة في كل مقوماتها، إذ يعتمد على قطاع زراعي مسلح بأحدث المكننة الزراعية وقطاع صناعي فعال وتدبير حكومية موسعة في مجالات الرعاية الاجتماعية ومستويات معيشية مرتفعة.

الفصل الثالث: نظام الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك – الواقع

والآفاق

يتضمن هذا الفصل بحثين... الاول: واقع الرفاهية في الدنمارك، حيث تعد من أفخر أنظمة الرفاه كجزء من رفاهية الدول الاسكندنافية، والثاني: آفاق دولة الرفاه ومستقبلها ومدى التحديات المتعاقبة جراء الازمات الاقتصادية المتتالية التي تعصف بالنظام الرأسمالي ومدى تأثيرها على دول الرفاه بصورة عامة وعلى دولة الرفاه في الدنمارك بصورة خاصة.

ثالثاً: الخاتمة Conculiosion

وكما في الدراسات العلمية فقد وضعت جملة من البيانات حول الدراسة وأشتملت على:

١- **الاستنتاجات**... توصل الباحث الى جملة من الاستنتاجات موضع البحث وأذكر البعض منها كالآتي:

أ- أن جميع دول الرفاه هي دول صناعية متطورة وغنية نسبياً، بالإضافة الى هذا فإن معظم هذه الدول هي دول رأسمالية ذات اقتصاد سوق متطور، وكذلك وجود أنظمة حكم ديمقراطية فيها تعترف بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية لمواطنيها.

ب- هناك ثلاثة أنماط لدول الرفاه الاجتماعي تختلف بعضها عن بعض في نظام الرعاية الاجتماعية لمواطنيها وهي: النمط الليبرالي – النمط التعاوني – والنمط الشامل.

ت- تعتبر سمات الرفاهية في الدول الاسكندنافية سمات مشتركة وتستحق ما تسميته " الطريق الوسط " للتطور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ث- يعد اقتصاد الدنمارك من الاقتصاديات الحديثة في كل مقوماتها، إذ يعتمد على قطاع زراعي بأحدث المكننة الزراعية وقطاع صناعي يعتمد على الصناعات الصغيرة والكبيرة الحديثة وتدابير حكومية موسعة في مجال الرعاية الاجتماعية ومستويات معيشية مرتفعة وعملة مستقرة.

ج- بأنهييار الاتحاد السوفيتي، أحدث شعوراً بالنصر إجتاح العالم الغربي حيث بلغ الاعتقاد بصحة الرأسمالية ذروته، وأصبح الايمان بالاشتراكية تخلفاً ورجعية ومبدأ عدم التدخل نوعاً من الموضة، هذا الامر دعا أوروبا في تلك الفترة للتوصل عن التزاماتها بموضوع الرفاه بحجة أن تكاليفها تكلف الدولة مبالغ طائلة. كما يمكن للدارس أن يتطلع الى جملة الاستنتاجات في الخاتمة.

٢- **التوصيات**.. توصل الباحث الى جملة من التوصيات موضوع البحث وأذكر البعض منها:

أ- أن العدالة الاجتماعية هي أهم سمات دولة الرفاه الاجتماعي، فعلى الدول الساعية لتحقيق دولة الرفاه أن تعي جيداً الاعتماد على تحقيق المساواة والعدالة لمواطنيها في كل الاجراءات الاقتصادية التي من شأنها ان تلغي الفوارق الطبقيّة بين ابناء المجتمع الواحد.

ب- على الدول الساعية لتطبيق دولة الرفاهية وخصوصا من البلدان النامية عليها أن تعمل على تغيير أنظمتها السياسية البالية وتطبيق مبدأ الديمقراطية الانتخابية لتكون قادرة على تحقيق الرفاه لشعوبها من خلال إجراءات اقتصادية معتمدة على تحقيق التنمية الشاملة وهي أحد المقومات الأساسية لتنشيط الاقتصاد الوطني.

ت- أن المهمة الأساسية لكل انماط دولة الرفاهية هي أن تتكفل قانونيا بالرفاهية التي تعني تحويلات نقدية وخدمات بنى تحتية ووضع وتنفيذ سياسات تشمل حقول الصحة والتعليم والاسكان والتأمينات الاجتماعية وحماية العمل ودعم العوائل، والرفاهية في هذه الحال هي مسؤولية الدولة حصرا.

ث- أن نيل الحقوق الاجتماعية يفترض تحقيق درجة معينة من العدالة، ولا يمكن بلوغ ذلك إلا من خلال مؤسسة تتسم بالحياد والنزاهة، هي الدولة التي تمتلك من الوسائل مايمكنها من إعادة التوزيع المرغوب به اجتماعيا، وبتوليف القيم الاخلاقية مع قوانين الكفاءة التي يقوم عليها علم الاقتصاد.

ج- أن النتيجة النهائية الممثلة للنظام الرأسمالي من خلال الازمات الاقتصادية المتتالية على اقتصاديات الدول المتقدمة توحى بأن دول الرفاه في طريقها الى الانحلال، فعلى البلدان النامية التي حققت الرفاه الاقتصادي والاجتماعي لبلدانها أن تسعى لتقوية اقتصادياتها وتأخذ جانب الحذر قبل الوقوع في مآهات النظام الرأسمالي المتقلب. كما يمكن للدارس التطلع الى جملة من التوصيات في الخاتمة من هذا البحث.

رابعاً: المراجع

أشتملت المراجع على مجمل البيانات التي استخدمتها في تحقيق هذا البحث والتي تقع ضمن:

- ١- الكتب العلمية: العربية والاجنبية، وهي مذكورة ضمن الهوامش وقد أدرجتها في ملحق المراجع.
- ٢- الدوريات: العربية والاجنبية وخاصة الدنماركية.
- ٣- الأستبانات: وهي محققة باللغة الدنماركية.
- ٤- المواقع الألكترونية العلمية.
- ٥- المقابلات الشخصية.

خامساً: الخلاصات

وضعت خلاصات باللغات العربية الانكليزية. وكذلك البيانات والاستبيانات التي أعتمدها في بحثي هذا.

الملاحق

- أ- نسخة من الاستبانة
 - ب- الاتفاقيات الدنماركية الدولية بشأن البيئة
- وأملّي أن يستفاد من هذا البحث كل الدارسين والأكاديميين.
ومن الله التوفيق

بواب الاول

تطورات الاقتصاد العالمي

الفصل الاول: واقع الاقتصاد في العصور القديمة

الفصل الثاني: إقتصاديات الدول الاوربية

الفصل الثالث: إقتصاديات العالم الثالث

الباب الاول: تطورات الاقتصاد العالمي

عندما نتحدث عن الرفاهية الاجتماعية لا بد لنا من تناول الاقتصاد من نواحي تطوره ودوره وأثره في تحقيق الرفاهية ولو جزئيا في زمان ومكان معينين. (وبدءا من البيت او العائلة) نبحث الوضع الاقتصادي كعامل مهم في رفاهية تلك العائلة بنظام اقتصادي واجتماعي منظم، واذا مدارسنا تاريخ الاقتصاد وتطوره عبر العصور نلمس بان الانسان كان يحاول دوما على حفظ الذات.. وهو القانون الوضعي الاول في الطبيعة.. ولكي يحافظ الانسان على ذاته ضمن هذا القانون لا بد له من العمل الجاد، وكان محرك ذلك العمل هو الجوع الذي كان يقوده دوما الى العمل، والذي نسميه حاليا وفق المصطلحات الاقتصادية بالحاجات الانسانية والذي يحتاج ذلك الانسان الى اشباعها، وانتقالا من نظام المشاعية البدائية التي كانت الطبيعة هي مصدر العمل المعنوي في انتاج المحاصيل والفواكه والولادات في الفصيلة الحيوانية. استطاع الانسان سرقة عمل الطبيعة العفوي ليتعلم كيف ينتج وكيف يهتم بمصدر الموارد الطبيعية مثل الاشجار ورعي الحيوانات، ليكون هو العامل الحقيقي في الطبيعة وفي عمله هذا شارك معه الحيوانات الداجنة مثل الابقار والحمير والحصن، كمولد للطاقة الحركية في التنقل والامان.

اذن كان المدخل الاول للانسان هو العمل لتدبير محيطه والحفاظ على ذاته اي بعمل الانتاج، والانتاج في الاقتصاد يعتبر جوهره واداته الاول، ويليه نشاطات اقتصادية اخرى كالمقايضة وامتلاك الاراضي وبيع المياه وبناء المدن وتقسيم العمل ومعرفة الحاجات البشرية واشباع الرغبات وتكوين العمالة وجمع الثروات (الراسمال) وتعلم التنظيم في العمل(الادارة) والاعتماد على الاخرين في العمل لقاء اشباع رغباتهم (العمل) والحفاظ على الاراضي وحرانتها والاعتماد عليها كمصدر انتاجي (الارض). أي نظم العوامل الانتاجية الاربعة تحت رعايته.

وهكذا دخل الانسان انذاك مدخل الاقتصاد بعفوية انسانية بدون دراسات وتخطيط وبحوث. اذن الاقتصاد موجود منذ الخليفة ولكن بطرق عفوية، مصدره حفظ الذات- الجوع- والاشباع- والعمل.

ولكي اسلط الضوء على تلك التطورات الاقتصادية تضمن هذا الباب ثلاثة فصول وكل فصل تضمن مبحثين... وسأتناول الباب وفصوله في الصفحات التالية:

الفصل الاول

واقع الاقتصاد فى العصور القديمة

ظهر الانسان في بداية المرحلة الحالية لتاريخ الارض قبل اكثر من مليون عام، نتيجة تطور بايولوجي طويل امتد حوالي ثلاثين مليون عام، ويعتقد العلماء ان الانسان ينتسب بايولوجيا الى نوع من انواع القردة العليا الشبيهة بالانسان (Anthrope Apes) وهي السلف المشترك للانسان الحالي وبعض انواع القردة العليا المعروفة الان.³

هناك مصدرين لمنشأ الانسان وتطوره ، الاول المصدر البايولوجي وقد أمتد حوالي ثلاثين مليون عام كما ذكر، تكاملت بنتيجة تطور وتكيف وسيطرة الانسان على الطبيعة الخصائص البايولوجية الحالية للانسان (القامة المعتدلة، التخصص الوظيفي للاطراف، حرية الاطراف العليا اي الايدي، تطور العضوية البشرية. والمصدر الثاني هو المصدر الاجتماعي، وقد امتد في المدة الواقعة بين حوالي المليون ونصف المليون عام من تاريخ الانسان، وقد لعب العمل الدور الحاسم في هذه المرحلة حيث تشكلت الخصائص البشرية المميزة للانسان عن اقرب الحيوان شبيها به، وفي هذه المرحلة تطورت قدرات الانسان الاجتماعية (العمل الواعي، صياغة المفاهيم التجريدية، القدرة على النطق المفصل واللغة الخ)⁴

تميز الانسان عن الحيوان بانه استطاع صنع أدوات للعمل مهما تكن بسيطة وذلك للاضطرار اليها بسبب ضعفه امام الطبيعة ولذلك سمى بعض العلماء الانسان (الحيوان الصانع) ومنذ ان بدأ الانسان صنع ابسط الادوات الحجرية بدأ العمل نفسه، ونتيجة هذا العمل ظهرت يد الانسان بهذا الشكل المعروف متطورة من أطرافه الامامية، فاليد اذن ليست أداة العمل فقط بل هي نتيجة ايضا، وبتحررها تم الانتقال الى السير العمودي للانسان نهائيا.⁵

والعمل ايضا هو الذي خلق الرابطة الاجتماعية، اذ كان صنع الادوات واستعمالها يتمان منذ البداية بصورة مشتركة، اي ان ظهور الانسان سجل في نفس الوقت

3 - معهد الاقتصاد السوفياتي - ملخص في الاقتصاد السياسي - الترجمة الفرنسية - ١٩٧٩ - ص ٢١

4 - نفس المصدر السابق (معهد الاقتصاد السوفياتي)

5 - يقدر العالم الاقتصادي الانكليزي جون آيتن .. ان الانسان العمودي اتجه ظهر منذ حوالي نصف مليون الى اربعمائة الف عام- الدكتور ابراهيم كبة

5

ظهور المجتمع البشري، اي الانتقال من الحالة الحيوانية الى الحالة الاجتماعية. والعمل المشترك ادى بدوره لظهور اللغة اللفظية وهي التي بدونها لا يمكن تصور الانتاج الاجتماعي نفسه، وبالعامل واللغة معا تكاملت أجهزة الانسان وخاصة الدماغ مما ادى الى امكانية تطور التفكير نفسه وتوسع المدارك والحواس وتكاملت أعضاء الحواس ومعنى كل ما مر ان (العمل) هو الذي كون الانسان بالذات. ⁶ والعمل بدوره ادى الى خلق الانتاج، والانتاج ادى الى اشباع الرغبات، والرغبات أدت الى التبادل السلعي والمقايضة. كل هذه العمليات العفوية أدت الى خلق الاقتصاد العفوي لدى الانسان دون ان يدرك ماهيته لكنه كان أداة التنظيم والادارة لتحسين الانتاج والتطور فيما بعد، وشهدت البشرية تطورات اقتصادية من بينية الى اقليمية ثم العالمية.

وعليه ولكي أركز على الاقتصاد في العصور القديمة لابد ان نسلط الضوء على مبحثين أساسيين هما :

المبحث الاول: التطور الاقتصادي في العصور القديمة

الاقتصاد كما هو معروف يدخل في كل حياتنا اليومية ، ويدخل ضمن البيت او القرية او المدينة او ابعد من ذلك الى الدويلات والدول.

وعندما نتكلم عن الاقتصاد العالمي لابد لنا من وضع تساؤل... هل كان هناك اقتصاد (عالمي) بالمعنى الشائع في العصور القديمة؟ بالطبع سيكون الجواب لا .. وذلك لان الاقتصاد انذاك كان يتسم بالفردية والعائلية والكهفية .. وهكذا.

أن اول نظام اقتصادي اجتماعي وجد منذ عدة آلاف من السنين وكان مشتركا بين كل الشعوب في المرحلة الاولى من تطورها وهو (النظام المشاعي البدائي) حيث كانت علاقات الانتاج⁷ في هذا النظام بمستوى منخفض من تطور القوى الانتاجية والحالة البدائية لأدوات العمل والتقسيم الطبيعي للعمل حسب الجنس والسن، وكان أساس علاقات الانتاج الملكية المشتركة لوسائل الانتاج (أدوات العمل ، الارض، والمسكن ... الخ)

6 - فريدريك أنجلس - دور العمل في تكوين الانسان

7 - الطبيعة كانت المنتجة وصاحبة الانتاج، وكانت عوامل الانتاج غائبة نوعا ما لذا فلا يمكن اعتبار الانتاج اقتصاديا بل عفوي. الباحث

وفي إطار الملكية المشتركة كانت هناك أيضا ملكية خاصة للأسلحة والملابس والأواني المنزلية .. الخ. وكان إشباع الحاجات في النظام المشاعي البدائي يتم جماعيا بواسطة الجماعات السكانية المتواجدة في مكان ما، وكان الناتج يقسم الى أجزاء متساوية ويستهلك جماعيا.

ولم يكن البدائيون يستطيعون بغير العمل العفوي معا أن يؤمنوا وسائل معيشتهم وان يحموا أنفسهم من هجمات الحيوانات المفترسة والجماعات المجاورة.

وعلى أساس أول تقسيم للعمل، اي الفصل بين تدجين الحيوانات والزراعة بدأت القوى الإنتاجية للنظام المشاعي البدائي بالظهور العفوي ومن ثم بدأ بالتطور على مر الزمن، ومع تطورها نشأ وتطور التبادل والملكية الخاصة والتفاوت الاقتصادي بين أفراد أعضاء الجماعة. وظهر العمل العبودي.

أدى العمل العبودي الى مزيد من التفاوت الاقتصادي وكان مسؤولا عن تفكك المجتمع البدائي، وبدأ الانتاج الجماعي والتوزيع المتساوي للناتج يقيد القوى الإنتاجية، وفي المرحلة العليا من تطور النظام المشاعي البدائي ثم تقسيم العمل وهو الفصل بين أصحاب الحرف اليدوية والزراعة، سهل هذا بحدوث إنهيار أكبر في النظام المشاعي البدائي، وكانت النتيجة ظهور الفقراء والأغنياء والاستغلال والطبقات والدولة وحلت محل النظام المشاعي البدائي المجتمعات الطبقيّة، مثل النظام العبودي والنظام الإقطاعي.

ولكي نعطي الموضوع حقه من باب التحليل الواقعي وحسب المعطيات الواقعية، نتمكن أن نجزم بأن الاقتصاد في العصور ما قبل التاريخ⁸ يكاد يكون غامضا لولا بعض الرموز والصور ولآلات التي تركها الانسان في الكهوف التي تعود الى العصور التاريخية القديمة الاولى.

والسؤال هنا .. هل كان هناك اقتصاد بمعنى الاقتصاد الذي نتناوله الان في حياتنا ؟

بالتأكيد أن الاقتصاد شئ عفوي يدخل حياتنا دون أن نلمسه حسيا ولكنه يبدأ بالانسان ويعمل على شكل نظام اقتصادي واضح بدءاً بالأكل والهضم والخزن وافراز الهرمونات وتنظيم الجسم والعائلة من خلال الولادات والاهتمام بهم وهكذا.

8- وأقصد به التاريخ غير المكتوب.. اي التاريخ التخميني والتقديرى. (الباحث)

فالاقصاد متمثل بنا دون ان ندركه لذا فالإنسان عفوي الاقصاد ويعمل بمضمونه من نفسه الى المحيط الذي يعيش فيه لينظم حياته.

فمصطلح الاقصاد Economy تناوله الفلاسفة اليونانيون⁹، بأنه ادارة وتنظيم البيئة التي يعيش فيها الانسان أي (Eco) وتعني به المكان والبيئة و (Nomy) اي التدبير والتنظيم.

ويصنف الاقصاد في العصور القديمة الى .. ١- المشاعية. ٢- الرق والعبودية. ٣- الاقطاع. وهذا ماسنتاوله في المحاور التالية.

المحور الاول : النظام المشاعي البدائي

يعتبر نمط الإنتاج الطبيعي العفوي البدائي أول نمط إنتاج عرفه التاريخ الاقتصادي، وظهر نمط الإنتاج البدائي منذ ظهور الإنسان قبل أكثر من مليون عام وعرفت هذه الفترة بالعصر المشاعي، ويمكن حصر وتوضيح السمات والخصائص لنظام المشاعية البدائية بما يلي:

● عرفت عملية الإنتاج البدائي بالإعتماد الكلي على الطبيعة مما أدى الى تدني وإنخفاض مستوى الإنتاج الفردي، ، ولهذا السبب سعى الإنسان في صراعه المستمر الى محاولة الإنفلات من التبعية للطبيعة بتطوير وسائل العمل بهدف السيطرة على إنتاجيات الطبيعة وقد إستلزمت هذه العملية زمنا طويلا (آلاف السنين).

ففي المرحلة الأولى من حياة الإنسان البدائي إقتصرت حياتهم الاقتصادية على جني الثمار والقنص الجماعي، وكان شائعا في ذلك الوقت أكل اللحوم البشرية وذلك لنقص الغذاء. وكان الفأس الأداة الحجرية التي إستخدمها البشر لأطول فترة على الاطلاق، ويقدر البعض بانها تغطي ٩٩% من تاريخ استخدام الادوات عندهم.^{١٠}

● وفي مرحلة ما من مراحل هذا العصر إكتشف الإنسان النار وتعلم صناعتها، وكان هذا الأخير بمثابة إنعطاف حاسم في حياة الإنسان البدائي، فسجل إكتشاف النار نصرا هائلا للإنسان ضد الطبيعة، فقد كان لإكتشاف النار وكيفية إستخدامها أهم حدث شهدته الإنسانية.

9 - ارسطو طاليس

10 - عفيفي فتحي. د - التاريخ القديم - جامعة الازهر - موسوعة حضارة العالم ١٩٧٩

ويظن العلماء ان الإنسان القديم إكتشف النار منذ حوالي نصف مليون عام.¹¹ لملاحظتهم المستمرة للنار الناتجة عن الثورات البركانية أو البرق والصواعق. ومهما يكن فان إكتشاف النار حدث ضمن الحاجة الملحة لها، وضمن الملاحظات والتجربة ثم البرهان. وهكذا تعلم الإنسان إستعمال النار وأصبح يعتمد عليها، وبالعيش بالكهف والنار عند مدخله أصبحت العائلة في أمان من الحيوانات المتوحشة لأنها تهاب النار ولن تقترب منها طالما بقيت مشتعلة. وقد وفرت النار لهم الدفء وكذلك وفرت موقدا لطهي الطعام، وهكذا كانت البدايات ثم أسرع الإنسان الخطى في إستخدام النار، فبعد تعظيم النار وعبادتها أصبح بمقدور الإنسان السيطرة على النار وتوظيفها في مختلف مجالات الحياة، كما مكنته وهذا الأهم من صنع أدوات إنتاجية جديدة. وكذلك كان الغذاء اللحمي (بفضل الصيد) أن طور الانسان جسديا وفكريا، وبذلك إزدادت مقدرته على صنع أدوات إنتاج أكثر إتقاناً.

- بعد ذلك تعلم الإنسان صنع الأدوات من المعدن الخام مثل النحاس ثم البرونز والحديد ولهذا سمي العصران اللآحقان بالعصر البرونزي والعصر الحديدي وترجع آثار البرونز المكتشفة في العراق الى الألف الرابعة قبل الميلاد وأولى آثار الحديد في العراق الى الألفي سنة قبل الميلاد.¹²
- سجل إختراع القوس والسهم مرحلة هامة في إتقان أدوات العمل مما مهد لمرحلة تربية الماشية (التدجين) بشكلها النهائي (دجن الكلب أولاً ثم المعز فالبقير فالخنزير فالحصان على التوالي) ثم أعقب التدجين إستعمال الماشية كقوة للجر.¹³
- وبصورة عامة يمكن القول إن التطور الحاصل في أدوات العمل كانت له نتائج هامة. أهمها ساعد على ظهور الأشكال البدائية للزراعة حيث بدأ الإنتقال تدريجيا من جمع النباتات الى العمل الزراعي المتطور (زراعة الحبوب والقمح والأرز والذرة). وكان هذا تقدما هاما جديدا في تطور قوى الإنتاج في المجتمع، وقد تعلمها الإنسان بملاحظة نمو النباتات العفوي في الطبيعة. وأدى إستخدام الأدوات المعدنية

11 - جعفر حسن - مقالة بعنوان - تاريخ ما قبل النار - مجلة الوطن المصرية - 2007

12 - كبة، ابراهيم - د. دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي - الجزء الاول - مطبعة الرشاد - 1970

13 - مصدر سابق (ابراهيم كبة)

الى إزدياد إنتاجية العمل الزراعي، وبالتدرج بدأت القبائل البدائية تتحضر بالسكن في مناطق مستقرة معينة بذاتها.¹⁴ وهكذا ظهرت الرفاهية الغذائية. والملاحظ أن كثير من علماء الاقتصاد يسمونه مرحلة المجتمع الزراعي القائم على الملكية المشاعية لوسائل الإنتاج بمرحلة (المشاعية البدائية الزراعية)، ويعتبرونها المرحلة الأولى في تاريخ تطور النظم الاقتصادية، مثلا الاقتصاديان البريطانيان (Maurer وHaussen).¹⁵ اي الرفاهية الاقتصادية.

• علاقات الإنتاج في المجتمع البدائي :

لم يعرف الإنسان الملكية الفردية بمعناها الصحيح في المراحل البسيطة الأولى من حياته، بل كان يسود هذه الحياة نوع من التضامن والمشاعية ناشئ من صعوبة الظروف التي لم يكن الفرد قادرا على مواجهتها وحده، وعن ضالة الإنتاج وبساطته، وعدم وجود أي فائض إنتاجي يسمح بأستغلال عمل الآخرين، لأن العمل كان كله موجها نحو تلبية الحاجات الضرورية المباشرة. في هذه المرحلة كان الفكر الإنساني يتسم بنفس البساطة والبدائية التين كان يتسم بهما الإنتاج. وربما كان من الممكن تشبيه فكرة التقارب بين الانسان والطبيعة وإزالة الحواجز بينهما، بمبدأ الملكية المشاعية السائدة في الاقتصاد البدائي لهذه الفترة.¹⁶ الاساس في تكوين العلاقات الانتاجية آنذاك.

كانت المشاعات البدائية منظمة بشكل يضمن بقائها الجماعي في شروط عيش بالغة الصعوبة. وكان كل فرد يشارك الزاميا في العمل، حيث ان عمل كل فرد ضروري لبقاء المشاعة، وإنتاج القوت يكفي بالكاد لإطعام الجماعة. ولو وجدت امتيازات مادية لحكمت على قسم من القبيلة بالجماعة وحرمتها من إمكانية العمل بصورة عقلانية ونسفت بالتالي شروط البقاء الجماعي، هو ذا السبب الذي جعل التنظيم الاجتماعي في تلك المرحلة من تطور المجتمعات البشرية ينزع الى المحافظة على حد اقصى من المساواة داخل الجماعة البشرية. بدايات الاعتراف بحقوق الانسان.

14 - جون آيتن - الاقتصاد السياسي - الفصل الاول - ص 6-10

15 - ماكس فيبر - التاريخ العام للاقتصاد - الفصل الاول - 1923

16 - زكريا فؤاد - الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية - دار مصر للطباعة - 2000

وقد لاحظ علماء الانكليز (هوبهاوز- ووهير - وغينسبرغ) بعد دراستهم للمؤسسات الاجتماعية في ٤٥٠ قبيلة بدائية، لاحظوا غيابا تاما للطبقات الاجتماعية لدى جميع القبائل التي جهلت الزراعة.^{١٧}

فكان في هذا المجتمع الملكية المشتركة لوسائل الانتاج أساس العلاقات الانتاجية وكانت تطابق تعاونية العمل، بسبب بدائية قوى الانتاج، اي ان الملكية المذكورة كانت تتطابق بالضرورة مع طبيعة قوى الانتاج أو بعبارة اخرى كانت تعاونية العمل في هذا المجتمع نتيجة ضعف الفرد المنعزل وليس نتيجة جعل وسائل الانتاج جماعية، كذلك كانت ثمار العمل اي المواد الاستهلاكية نفسها مشتركة لنفس الاسباب السابقة، ولم تكن الملكية الفردية موجودة الا في وسائل الدفاع لضرورة استعمالها فرديا، ولم يكن بالامكان اي انتاج اضافي يزيد على أبسط ضرورات الحياة، وبالتالي انعدم وجود الاستثمار او الاستغلال (لانعدام موضوعيته وهو) الفائض.^{١٨}

• التنظيم الاجتماعي في المشاعية البدائية :

حالما تكون الاقتصاد البدائي، إنتظم المجتمع في وحدات عشائرية هي وحدات جماعية تربطها رابطة الدم، وهي أضيق نطاقا من حجم القبيلة وهذا الاصطلاح هو ترجمة لكلمة (Gens) اللاتينية، ويترجمها بعضهم بكلمة (بطن)^{١٩} والبعض الآخر بكلمة قبيلة.^{٢٠} (عشيرية الانتاج)

وكان سبب اقتصار العمل المشترك على النطاق العشيري الضيق هو بدائية ادوات الانتاج وعدم كفايتها لتوسيع نطاق الحياة المشتركة فكان من الطبيعي ان تبدأ الجماعة أولا في نطاق روابط النسب والدم وان يكون تقسيم العمل تقسيما طبيعيا.

احتلت المرأة في الحياة العملية دورا بارزا في المرحلة الاولى من النظام العشيري بسبب شروط الحياة المادية نفسها، اذ كانت الزراعة والتدجين البدائي هما من أختصاص المرأة أهم من الصيد الذي كان يقوم به الرجل من الناحية الاقتصادية، لهذا لعبت المرأة دورا رئيسيا في المجتمع العشيري في البداية وأصبح النسل ينسب

17 - منتدى آفاق الفلسفة والسوسولوجيا والانثروبولوجيا

18 - مصدر سابق (د. ابراهيم كبة)

19 - مجلة الثقافة الجديدة - العدد ٦٤ - ص ٢٧

20 - راشد البرواري - النظام الاشتراكي - الطبعة الاولى - دار النهضة - بيروت - ١٩٨٥ - ص ١٢

اليها من دون الرجل وهذا ما يعرف بنظام العشيرة الامومية (Matriarchal) ^{٢١}، الا ان تطور القوى المنتجة وظهور التدجين المتطور (المراعي) والزراعة المتطورة كزراعة الحبوب، أحل نظام العشيرة الابوية محل العشيرة الامومية وانتقلت السيادة في المشاعية البدائية الى الرجل واصبح النسب ينسب اليه، وبعبارة اخرى ان الثروات الجديدة أدت الى ثورة في نظام الاسرة حيث يستنتج فريديريك أنجلس من هذه الحقائق التاريخية (ان تحرير النساء لا يمكن ان يتم الا اذا أتيح لهن الاسهام في الانتاج على نطاق إجتماعي واسع).^{٢٢} (الامومة الانتاجية)

● التقسيم الاجتماعي للعمل وبداية التبادل :

كان الانسان في بادئ الامر يعمل بمفرده لاشباع الحاجات والرغبات، ثم سرعان ما ظهرت الحاجة الى التعاون متزامنا مع اكتشاف ادوات العمل ثم تطورها، وكانت في هذه الفترة ملكية وسائل الانتاج ملكية جماعية، ولم يكن هذا النمط يخلق فائض قيمة يتم الصراع عليه او استغلاله من قبل الاخرين، ثم ظهر تقسيم العمل عندما بدأ الناس يتجمعون في عشائر وكانت العشيرة الامومية هي الشكل السائد لان المرأة في هذه الفترة لعبت دورا اساسيا في الانتاج، ثم بعد ذلك انتقلت السيادة للرجال، ومع تطور الزراعة وتولي الرجال تربية الماشية ساهم التطور في وسائل الانتاج وظهور الزراعة ووجود تقسيم للعمل الى ظهور فائض انتاج، الى جانب ظهور ادوات الحياكة ووجود سلع ارتبطت باستخراج المعادن، الامر الذي أدى الى ظهور الملكية الفردية والتفاوت في تكوين الثروات، وبدأت عملية استثمار الانسان حيث تم تشغيل أسرى الحرب والفقراء في أعمال انتاجية تخلق فائض قيمة إجتماعي عمل على تراكم الثروة وظهور الانتاج من أجل المبادلة في شكل سلع وبضائع من أجل تحقيق ربح لا من أجل سد الحاجات أو الاستهلاك المباشر للأفراد المنتجين.^{٢٣}

ثم بدأ نطاق التبادل يتسع مع ظهور تقسيمات اجتماعية أخرى للعمل بنتيجة تطور أدوات الانتاج فظهرت مهنة صنع الاواني الفخارية والحياكة اليدوية، ومع ظهور الحديد أمكن صنع الادوات والاسلحة الحديدية (المحراث – والفأس – والسيف) وبذلك تمهد الطريق لانقسام جديد هام في المجتمع هو التخصص الحرفي أو المهني

21 - مصدر سابق - (د. ابراهيم كبة). كون المرأة انذاك تعتبر المصدر الوحيد في اشباع رغبات العائلة من اكل وتربية الاطفال وجمع النار-(الباحث)

22 - فريديريك أنجلس - أصل العائلة

23 - عصام شعبان حسن - مدخل لعلم الاقتصاد السياسي - مركز دراسات وابحاث الماركسية واليسار - ٢٠٠٨

دخل المشاعية نفسها مما أدى الى توسع نطاق المبادلات، ويلاحظ ان التبادل كان في البداية على أساس عشائري، اي كان يتم بين رؤوساء العشائر بأسم عشائريهم، ثم تحول (بعد تملك الماشية ملكية خاصة) الى تبادل بين الافراد. وقد كان هذا التحول تدريجيا الى ان أصبح التبادل الفردي هو الشكل الوحيد للتبادل.^{٢٤}

● ظهور الطبقات وتفكك المشاعية البدائية :

منذ ظهور نظام العشيرة الابوية بدأت المشاعية بالتفكك والانحلال والسبب الرئيس لذلك هو ان علاقات الانتاج السائدة فيها من ملكية مشتركة وتوزيع متساوي، أخذت تعيق تطور قوى الانتاج الجديدة، خاصة بعد اكتشاف الحديد وصنع الادوات الحديدية.^{٢٥}

أن ارتفاع إنتاجية العمل أصبحت تسمح بالانتاج في الزراعة والرعي والمهن ضمن نطاق اجتماعي أضيق من المشاعية، أي ضمن نطاق الاسرة التي أصبحت الوحدة الاقتصادية الجديدة للمجتمع، وهكذا أنفسح المجال للعمل الخاص على نطاق الأسرة للتحول تدريجيا محل العمل المشاعي المشترك، والعمل الخاص أدى بالضرورة الى ظهور الملكية الخاصة لوسائل الانتاج، وهكذا نرى ان ظهور الملكية الخاصة كان مرتبطا مباشرة بالتقسيم الاجتماعي للعمل وتطور التبادل.^{٢٦}

بدأت الملكية الخاصة أولا بالماشية، فقد بدأ زعماء العشائر يمتلكونها بعد ان كانت ملكية مشتركة للمشاعية، ثم امتدت الملكية الخاصة الى جميع أدوات الانتاج، وقد كانت الارض آخر مادخل في نطاق التملك الخاص، وكذلك اتخذت الماشية كسلعة اولى لتقييم التبادل أو بعبارة أخرى اتخذت كنفود.^{٢٧}

وبالنظر لان تطور قوى الانتاج أفسح المجال لظهور فائض في الانتاج يزيد عن الحاجة، ولان المصدر الوحيد لهذا الفائض هو العمل، ارتفعت قيمة العمل ارتفاعا كبيرا مما أدى الى ضرورة عدم قتل أسرى الحرب والاكتفاء باستعبادهم او تسخيرهم في العمل الزراعي، ثم توسع نطاق العبودية أو الرق الى أفراد القبيلة

24 - فريديك أنجلس - أصل العائلة - ص ١٥٦

- كان موركان (المجتمع القديم ١٨٧٧ بالانكليزية) أول من عزا سيادة نظام الامومة وتحوله الى نظام الابوة لاسباب اقتصادية تتصل بنمو أدوات الانتاج بينما كان العلماء الذين سبقوه وخاصة باخاوفن (حق الامومة ١٨٦١ بالالمانية) يعزون الظاهرة لاسباب دينية أو لطبيعة العلاقات

الزوجية. (د.أبراهيم كبة)

26 - المصدر السابق (د.أبراهيم كبة)

27 - نفس المصدر (د. ابراهيم كبة)

وهكذا انتشر نظام الرق أو العبودية. وهكذا ظهرت فجوات الرفاهية بين الافراد اي الغني والفقير.

المحور الثاني : نظام الرق أو العبودية

نتيجة سلسلة من اكتشافات أدوات الانتاج أدت بدورها الى زيادة أنتاجية العمل وظهر تقسيمات أقتصادية جديدة للعمل وتطور التبادل والملكية الفردية ونشوء الطبقات والدولة، نشأ النظام العبودي أول مائشاً في أحضان المشاعية البدائية. ويعتبر هذا النظام تاريخياً أول أشكال الأنظمة الاستبدادية وأشدّها قسوة، وقد وجدت لدى جميع الشعوب تقريباً وأول نظام في التاريخ يقوم على استغلال الانسان لآخيه الانسان، وعلى التناحر الطبقي وكانت العبودية في اولى مراحلها تسمى بالعبودية الابوية او العبودية البيئية، وكان عدد الارقاء قليلاً وكان السيد مالك الرقيق يشتغل في الارض مع ارقائه ولم يقتصر العمل في هذه المرحلة على الرقيق وحدهم كما حدث في المرحلة اللاحقة.

استهل اسلوب الانتاج في نظام الرق تاريخه حين صار استغلال الرقيق هو السائد في عملية الانتاج، وحين انقسم المجتمع الى طبقتين متناحرتين ، المستغلين (الاسياد) والمستغلين (الرقيق). ان السلسلة التاريخية (اي سلسلة التفاعلات الاجتماعية المعقدة بين قوى الانتاج الجديدة وعلائق الانتاج البدائية المشاعية) يمكن وصفها من زاوية تطور أدوات الانتاج والآثار التي أدت اليها بالشكل التالي: ٢٨

- اكتشاف المعادن وعلى الاخص الحديد
- انفصال الحرف عن الزراعة (التقسيم الثاني للعمل)
- زيادة التبادل السوقي (الاقتصاد السلعي) الذي أدى الى التطورات التالية بالتعاقب :

- ١- ظهور السلعة (الانتاج للسوق)
- ٢- ظهور النقود (كمقياس لتبادل السلع)
- ٣- ظهور التمايز الاجتماعي نتيجة التفاوت في الثروات بسبب المنافسة في السوق
- ٤- انتشار القروض الربوية ونزع اراضي الفلاحين والحروب

وهذه هي المصادر الاساسية لانتشار العبيد وبالتالي تثبيت النظام العبودي، والدولة العبودية.

- ظهور طبقة التجار (التقسيم الاجتماعي الثالث للعمل) خلال المرحلة العبودية.
- ظهور المدن (كمراكز للتجار والحرفيين) وانفصالها عن الارياف (اي مناطق الزراعة).

اما من الناحية الاجتماعية (اي ناحية علاقات الانتاج) فقد سارت المرحلة التاريخية بالشكل التالي: ٢٩

- ١- المجتمع العشيري والذي أفضى بدوره الى مرحلة انتقالية هي:
- ٢- المشاعية الريفية، حيث تتميز بمشاعة الارض اي ملكيتها العامة والاستثمارات الفلاحية الصغيرة، والاستثمار العائلي لا الفردي والملكية الفردية لادوات الانتاج، ولقد بقيت هذه المرحلة الانتقالية ملازمة لدول الشرق القديم حتى في أوج نظامها العبودي، ولكن المشاعية قد تحولت الى مؤسسة عبودية اي استخدمتها الدولة العبودية الاستبدادية الشرقية لاسناد النظام العبودي، بسبب الضرورة المطلقة لصيانة مشاريع الري الكبرى التي لم يكن من الممكن تركها للعمل الفردي اي لملاك العبيد الخاصين، وهذا هو السبب الحقيقي في جميع السمات الخاصة (النوعية) للعبودية الشرقية (ملكية الدولة للارض والعبيد، والاحتفاظ بالمشاعيات الفلاحية، مركزية السلطة السياسية). ٣٠

- ٣- توسع نظام العبودية على حساب نظام المشاعيات الفلاحية حيث تحول الاخير في الشرق القديم الى نظام انتاج ثانوي يخدم اهداف النظام الاول، حتى اختفى نهائيا في العبودية المتطورة لدى اليونان وروما الغربية على الاخص. ٣١

لقد كانت اهم مصادر العبودية الاساسية اولا.. أسرى الحرب وثانيا .. تجريد المشاعيين من وسائل الانتاج وخاصة الارض وثالثا .. الربا والتجارة بالنقود ورابعا .. التجارة بالعبيد.

ونتيجة لطابع الاكراه السافر في نمط الانتاج العبودي الامر الذي أدى الى تعرض قوة العمل العبودية للفناء السريع، من هنا حاجة المجتمعات العبودية الى افواج من

29 - المصدر السابق - (د. ابراهيم كبة)

30 - الياس مرقص - الماركسية والشرق - بيروت - ١٩٦٩

31 - نفس المصدر - (الياس مرقص)

العبيد قوة الانتاج الاساسية في النظام. لذا اصبحت سمة النظام العبودي هي الحرب لغرض الحصول على الاسرى لاستعبادهم. ومن نتائج ذلك زيادة عدد العبيد زيادة كبيرة في المجتمعات العبودية المتطورة، ففي أثينا كان يوجد في عامي ٣٠٩ ق.م ٢١٠٠٠ مواطن من الاحرار مقابل ٤٠٠٠٠ من العبيد، وفي روما كان يوجد في عام ٢٠٤ ق.م ٢١٤٠٠٠ من المواطنين الاحرار مقابل عشرين مليون من السكان اغليبتهم الساحقة من العبيد.^{٣٢}

أما مايتعلق بسقوط النظام العبودي، عالجت المؤرخة السوفياتية (ايلينا شتايزمان) عدة نقاط في هذا الموضوع ويمكن تلخيص أهم النقاط الواردة في دراستها بما يلي:^{٣٣}

- ١- ان سقوط العبودية لم يتم بالطرق السلمية عكس ماتذهب اليه بعض المدارس الاكاديمية البرجوازية. ومنها ان السقوط لم يتم فجأة بل استغرق مرحلة تاريخية طويلة. نتيجة الصراعات بين الفقر والغنى، اي صراعات من أجل تحقيق الرفاهية
- ٢- تعدد وتداخل عوامل سقوط العبودية (انتفاضات العبيد والكولون، والغزوات الاجنبية ... الخ) وعدم حدوث ثورات اجتماعية وسياسية، كما حدث بالنسبة للثورات البرجوازية، وعدم الغاء العبودية بتشريعات محددة التاريخ كما حصل لالغاء القنانة.
- ٣- ضعف الكفاح الطبقي بين الطبقة المالكة الجديدة شبه الاقطاعية والطبقة المالكة القديمة (العبودية) لاتفاق مصالحهما في كثير من الاحيان في اضطهاد الجماهير المنتجة مما ساعد على بطء عملية التحول من العبودية الى الاقطاع وبقاء مخلفات العبودية في قوانين الاقطاع.^{٣٤}
- ٤- انتهت انتفاضة العبيد ضد مستثمريهم في النظام العبودي بتحطيم كلا الطرفين المتصارعين.^{٣٥} أما الطبقات الناشئة وخاصة طبقة كبار ملاكي الارض والمزارعين المستقلين الذي اتفقت مصالحهم في اقامة علاقات استثمارية جديدة أكثر تقدمية في القطاع الزراعي، ويبدو ان الطبقة الطليعة في فترة التحول من العبودية الى الاقطاع

32 - غنيم، أحمد محمد -تطور الملكية الفردية - ص٤٦

33 - مصدر سابق (د. ابراهيم كبة)

34 - فريديك انجلس - أصل العائلة - طبعة الايديسون سويبال - ١٩٥٤ - ص٢٧٥

35 - كارل ماركس وفريديك انجلس - البيان الشيوعي - الترجمة الفرنسية - ص٢٩

كانت (الارستقراطية المالكة للارض) الأخذ في التحول الى الاقطاع، وان الحركات التقدمية كانت تمثل في جميع الحركات التي سرعت في عملية التحويل.³⁶

المحور الثالث : النظام الإقطاعي

ترجع نشأة النظام الإقطاعي الى الفكر الانساني في الاستحواذ على الاخرين وشهد العصر الروماني ملامحه الحقيقية لم تظهر بوضوح الا ابتداء من القرن التاسع الميلادي، ووصل الى قمته خلال القرن الثالث عشر، ثم بدأ بعد ذلك في الاضمحلال تدريجيا وليس هناك اتفاق بين المؤرخين حول حادث معين او تاريخ معين لنشأة النظام الإقطاعي.³⁷

بدأ نظام الاقطاع بأقطاع الملاك والامراء مساحات من الاراضي الى من يدينون لهم بالولاء، وذلك مدى حياتهم، ثم اصبح ذلك امرا وراثيا، ويقوم هؤلاء النبلاء الذين حصلوا على الارض بأقطاع مساحات منها الى من يدين لهم ولأميرهم وملكهم بالولاء، ومن هنا بدأ الاتجاه نحو تطبيق نظام الحكم المحلي بدلا من نظام الحكم المركزي، اذ يمكن القول ان الضيعة او الاقطاعية كانت وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية. فهي وحدة سياسية لان احد الاسياد او النبلاء او رجال الكنيسة كان يملكها ويكون له حق الحصول على دخل منها، وله فيها سلطات واسعة كسلطة جمع الضرائب وتعبئة السكان وقت الحرب. وتعد الضيعة او الاقطاعية وحدة اجتماعية لانها تتكون من مجموعة من الافراد يعيشون معا في قرية صغيرة، وترتبطهم عادات خاصة بهم، وتعد الضيعة او الاقطاعية وحدة اقتصادية لان كل من افرادها كان يعتمد على مبدأ الاكتفاء الذاتي، حيث يتعاونون في زراعة الارض واعدادها للانتاج ويشتركون في دفع الضرائب للسيد والكنيسة.³⁸

تدل دراسة تاريخ اوربا الاقتصادي خلال القرون الوسطى ان المدن القديمة سقطت تحت سلطان السادة الاقطاعيين وأرغم اهلها على فلاحه الارض المحيطة بها، وترتب على ذلك اندثار بعض المدن وتحول بعضها الى قرى. ولذلك فان المرحلة الاولى للاقطاع قد تميزت بأندثار معالم المدينة، وسيادة الريف وزيادة اهمية النشاط الزراعي على حساب النشاطين الصناعي والتجاري. وهكذا اصبحت الاقطاعية

36 - مصدر سابق - (د.ابراهيم كبة)

37 - حشيش، عادل احمد - تاريخ الفكر الاقتصادي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - 1974

38 - عمر، حسين - تطور الفكر الاقتصادي - الكتاب الاول - دار الفكر العربي - 1994

الوحدة السياسية للنظام الاقطاعي في اوروبا في القرون الوسطى، كما اصبحت كذلك الوحدة الاقتصادية والاجتماعية.³⁹ وكانت الرفاهية تتسم هنا بالفنعة الذاتية للمجتمع.

نخلص مما تقدم الى ان الزراعة كانت تحتل المركز الاول في اقتصاديات الدول الاوروبية حتى منتصف القرن التاسع عشر. وكان الدخل من قطاع الزراعة حتى ذلك التاريخ اكبر من الدخل من قطاع الصناعة او من قطاع الخدمات.

من المعلوم وحسب مفاهيم الاقتصاديين ان النشاط الاقتصادي يقسم الى ثلاث قطاعات هي: الزراعة، والصناعة، والخدمات، واذا رجعنا الى الاحصاءات نجد ان نسبة المشتغلين بالقطاع الاول كانت اكبر من نسبة المشتغلين بالقطاعات الثاني والثالث، وذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر. فمنذ قيام الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ودخول الآلة الميكانيكية في كل حقول الانتاج وتعويض العمل الانتاجي بالآلات الميكانيكية الحديثة بدأت نسبة المشتغلين بقطاعي الصناعة والخدمات تزداد وفي الوقت نفسه قلت نسبة المشتغلين بالزراعة، وقد اشتهر نظام الاقطاع بنمو الطوائف الحرفية وطبقة الصناع الذين اخذوا على عاتقهم توفير احتياجات المجتمع من الصناعات الحرفية. ويتكون نظام الطوائف الحرفية من عدد من (الاسطوات) او المعلمين في كل حرفة على حدة. ويقوم (الاسطى) او المعلم بمباشرة حرفته بمساعدة عدد من الحرفيين والصبية.

تميز العصر الاقطاعي كذلك بنمو التجارة والمدن التجارية، مما ادى الى تكوين طبقة من كبار التجار الاغنياء داخل كل مدينة، وقد ساهمت طبقة التجار والمدينة عموما في نظام الاقطاع ذاته، فمن ناحية اصبحت المدينة مقصدا للهاربين من وطأة حكم الاقطاع وظلمه داخل الريف، ومن ناحية اخرى كان لدى الاغنياء من تجار المدن المال الذي ساهم في نشأة النظام الراسمالي.⁴⁰

39 - أريك رول - تاريخ الفكر الاقتصادي - ترجمة راشد البراوي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - ١٩٨٦
40 - مصدر سابق (أريك رول)

المبحث الثاني: التطور الاقتصادي في مرحلة الثورة الصناعية

مرت على الانسانية تغيرات متعددة منذ القدم، تغيرات عديدة ساعدتها على بلوغ بعض التطور في نمط معيشتها الذاتية والانتقال الى طور جديد، ولو درسنا تلك التغيرات فسوف نجد العلامات المتغيرة التالية:

- ١- اكتشاف النار
 - ٢- اكتشاف الزراعة
 - ٣- وضع النظام الدستوري والقانوني
 - ٤- بناء المدن والمدارس
 - ٥- تعلم الحرف اليدوية
 - ٦- ايجاد النقود السلعية الثالثة في التداول
 - ٧- الاكتشافات الجغرافية والصيغة الاستعمارية
 - ٨- نمو وتأثر المبادلات التجارية الدولية
- وعليه فالثورة الصناعية هي جزء من تلك المتغيرات في حياة البشرية، ان ما هي الثورة مفهوما؟

الثورة مصطلح يستخدم في سياقات ومعاني عديدة، اذ قد يكون اشارة الى تغيرات جذرية واساسية في حقل من حقول العلم، او قد يكون اشارة الى تحولات رئيسية في البنى الاجتماعية والسياسية، وغالبا مايشير مفهوم الثورة الى تغيرات تحدث عن طريق العنف والانقلاب في شكل حكومة ما.

تتخذ التغيرات السياسية التي تنتج عن قيام الثورات أشكالاً واتجاهات مختلفة، فالثورات الفرنسية والروسية والصينية قد احدثت تغيرات جذرية على صعيد البنية الاجتماعية والاقتصادية.

والثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ على سبيل المثال قد انتهت حكم الملك لويس السادس عشر وحولت الحكم الى نظام جمهوري ورفعت شعارات الحرية والاخاء والمساواة. والثورة الروسية البلشفية عام ١٩١٧ التي لم تكتف بعزل القيصر، بل عملت على احداث تغيرات اجتماعية وسياسية، كإلغاء الملكية الفردية سعياً لتطبيق الاشتراكية طريقاً للرفاهية الاجتماعية.

وقامت الشيوعية الصينية الماوية عام ١٩٤٩ بانتزاع الاراضي من الاقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين، وحققت مجانية التعليم والعلاج.

وعلى صعيد الثورات العلمية، فانها لاتؤدي الى تغيرات سياسية مباشرة ولكنها تحقق بشكل تراكمي انتقال المجتمع من حالة الى حالة اخرى.

فالثورة الصناعية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين قد غيرت الطبيعة الاساسية للمجتمع الاوروبي من الحياة الريفية الى الحياة المدنية، وكذلك ادى اختراع الاجهزة الالكترونية للاتصالات والتطورات الاخرى في مجالات التقنية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الميلاديين الى احداث ثورات في مجال الصناعة والحياة اليومية للمجتمعات، من هنا فان المقصود بالثورة الصناعية (Industrial Revolution) هي التطورات الكبيرة التي طرأت على الصناعة بادئ الامر في انكلترا منذ منتصف القرن الثامن عشر والتي ادت الى تغيير كبير في تركيب الصناعة وتحقيق زيادة هائلة في الانتاج، فظهرت المخترعات العديدة في هذا المجال وعلى الاخص في صناعات الغزل والنسيج وتعددين الفحم وتوليد القوى المحركة وصناعة الحديد، ترتب على كل ذلك الزيادة المذهلة في كل من الانتاج وتكوين رؤوس الاموال.

كما أدت هذه الثورة الى تغيير جذري في تقانات الانتاج من حيث الاستعاضة عن العمل اليدوي بالعمل الالي / الميكانيكي، ومن ثم الانتقال الى نظام الانتاج في المشاغل manufacturs الى نظام الانتاج في المعامل industrial firm ، او الانتقال من الآلات اليدوية الى الصناعة الآلية الكبيرة القائمة على الآلات المتطورة، وبذلك فقد اعلنت الآلة، الثورة الصناعية وأخذ النظام الآلي في الانتاج يعمل بشكل مستمر على تخفيض حجم العمل اليدوي واحلال ادوات مادية آلية محل يد الانسان.

كانت الثورة الصناعية من اهم العوامل التي ادت الى اضمحلال النظام الاقطاعي، ويتفق الاقتصاديون في اطلاق تسمية الثورة الصناعية على التغيرات الهائلة التي حدثت في الهيكل الصناعي لانكلترا في الفترة من عام ١٧٦٠م حتى عام ١٨٣٠م.

فالواقع ان المخترعات العظيمة التي ظهرت في فروع الصناعة المختلفة، وخاصة صناعة الغزل والنسيج التي كان لها الاثر البارز في قيام الثورة الصناعية في

انكلترا، فقد كانت هذه الصناعة ناشئة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، غير انها شهدت ازدهارا مطردا مع ادخال آلات جديدة الى صناعة الغزل والنسيج. كذلك تغيرت الصناعات التعدينية في انكلترا في اثناء الثورة الصناعية تغيرا جذريا وخاصة بعد اكتشاف فحم الكوك وصناعة الافران. كذلك كان لاختراع الآلة البخارية وقع عظيم على الاقتصاد، اذ قلب ميزان القوى الاقتصادية وفتح الطريق الى استغلال قوى الطبيعة واخضاعها بفضل جهود الانسان لخدمة اهدافه وحاجاته.

ولايعني تحديد عام ١٧٦٠م بالذات بداية للثورة الصناعية، حيث لم يكن هناك تقدم فني في طرق الانتاج الصناعي ووسائله قبل هذا التاريخ، فمنذ ان اصبحت الصناعة حرفة مستقلة في القرن الثاني عشر الميلادي، حدث تقدم ملموس في طرق الصناعة ولكن هذا التقدم كان بطيئا، اذ استغرق ستة قرون من الزمان ، بعكس ماحدث خلال الفترة من ١٧٦٠ الى ١٨٣٠م، اذ كان التقدم سريعا لدرجة مذهلة.^{٤١}

كان التقدم البطيء في الثورة الصناعية الاوروبية قبل الثورة الصناعية يلاقي بالعقبات والصعوبات وعدم القبول العام من الناحية الاخرى، فلقد كانت كل من الحكومة والافراد يحاولون دون تحقيق التطور والتقدم في الصناعة وذلك خشية ان يؤدي ذلك الى احداث البطالة وما يستتبع ذلك من نقص في دخول الافراد، فكثيرا ما منع الحكام استخدام الآلات في الصناعة وكثيرا ما اعدم المخترعون حتى لا تؤدي اختراعاتهم الى جلب الهموم والمشاكل الى المجتمع، ولعل السبب في ذلك يرجع الى ان اقتصاد اوروبا كان ساكنا، فعدد السكان لايتزايد بسرعة كما ان الطلب على السلع لم يكن متزايدا، ولذلك فزيادة الانتاج نتيجة اكتشاف المخترعات لا بد ان يؤدي الى توفير بعض العمال، فتنتشر البطالة والفقر.^{٤٢}

لكن هذا الوضع تغير نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية اثناء القرن الثامن عشر حيث بدأت معدلات النمو السكاني تميل الى الزيادة، كذلك اتسع نطاق التبادل في الداخل والخارج وهذا دعى الى ضرورة زيادة الانتاج، لذلك رحبت الحكومات والهيئات المختلفة بالمخترعات الحديثة وشجعته بمختلف الوسائل، وهذا هيا البيئة نحو تغير شامل في الصناعة.^{٤٣}

41 - لطفي، علي. د - التطور الاقتصادي - دراسة تحليلية لتاريخ اوروبا ومصر - مكتبة عين شمس - القاهرة ١٩٨٤
42 - عجمية، عبد العزيز، د - التطور الاقتصادي في اوروبا والعالم العربي- الدار الجامعية -بيروت - ١٩٨٨ ص ٤٩
43 - نفس المصدر - (د. عبد العزيز عجمية)

ومن جهة اخرى لايعني عام ١٨٣٠م نهاية التقدم الفني في طرق الانتاج الصناعي ووسائله، ولكنه يعني فقط نهاية الفترة التي شهدت التغيرات الكبيرة في الهيكل الصناعي بانكلترا وما ترتب عليها من نتائج بالغة الاهمية، فالتقدم الفني سيظل مستمرا حتى يرث الله الارض ومن عليها، ونذكر في هذا المجال التغير الكبير في طرق الانتاج الصناعي ووسائله في الدول الصناعية الكبرى مثل الولايات المتحدة الامريكية، والاتحاد السوفيتي، والمانيا الغربية، وانكلترا، وفرنسا .. الخ، الذي حدث في عام ١٩٥٠م، فمنذ ذلك التاريخ أدخل نظام الآلية، اذ اصبحت الآلات تدار اوتوماتيكيا اي دون الحاجة الى العمال، الا في بعض العمليات الخاصة، لقد كان هذا التطور هائلا لدرجة ان البعض اطلق عليه تسمية (الثورة الصناعية الثالثة)^{٤٤}.

وللإمام ببعض الجوانب للثورة الصناعية ينبغي دراسة النقاط التالية :

المحور الاول : العوامل التي ساعدت على قيام الثورة الصناعية

لم تقم الثورة الصناعية في جميع الدول في وقت واحد، بل بدأت في انكلترا في عام ١٧٦٠م، الا انها لم تبدأ في فرنسا الا في عام ١٨١٥م، ثم تاتي بعد ذلك الولايات المتحدة الامريكية، اذ بدأ التطور الصناعي بها منذ منتصف القرن التاسع عشر. اما في الاتحاد السوفيتي فان التطور لم يظهر بوضوح الا بعد عام ١٨٦٠م، وفي المانيا بعد عام ١٨٧٠م، ويرجع ذلك لاختلاف الظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.^{٤٥}

وفيما يلي اهم العوامل :

١- سياسة الحرية وعدم التدخل

أسرفت الحكومات في التدخل في اعمال الافراد واقامت لنفسها وصيا على الصناعة والتجارة، تصدر لهما الاوامر والقوانين، وتضع لهما الخطط وتفرض اتباعها، وقد وضح للجميع فيما بعد ان هذه السياسة قد أدت الى خمول التجارة وضعف الانتاج والتقدم الصناعي لذلك تغيرت سياسة الدولة منذ القرن السابع عشر والثامن عشر فبدأت تحد من سلطة النقابات الطائفية^{٤٦} التي كانت تتمتع بنفوذ كبير وتحد من

44 - مصدر سابق - (د. علي لطفى)

45 - هاشم، اسماعيل محمد - محاضرات في التطور الاقتصادي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٧٨

- يمكن تعريف النقابة الطائفية بانها اتحاد بين اصحاب المهنة الواحدة في المدينة وهذا الاتحاد جاء اما نتيجة لرغبة الافراد او نتيجة لتشجيع الهيئة الحاكمة، وكانت النقابة ترمي الى خدمة اعضائها بكافة الوسائل كما كانت تعمل على حماية المستهلكين. وفي هذا المعنى تختلف النقابات الطائفية عن

احتكاراتها وتدخلها المباشر في الانتاج، فانهار مذهب التدخل الحكومي وبدأ المذهب الحرفي بالانتشار. وقد صادف هذا التحول في الفكر الاقتصادي قيام الثورة الصناعية في انكلترا، وكان من ذلك تمتع الافراد بحريات كبيرة في ميادين التجارة والاستثمار والانتاج والتسويق.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اصبح للمبادئ الاشتراكية اهمية في السياسة البريطانية وعلى الاخص في ميادين العمل، فأعترفت بالحقوق المشروعة للعمال، وكذلك اهتمت الدولة بحركة التعاون ومحاربة الاحتكار.^{٤٧}

٢ - العامل السكاني

زادت معدلات نمو السكان زيادة كبيرة قرب نهاية القرن الثامن عشر وانخفضت معدلات الوفيات نتيجة لانتشار الوعي الصحي، ادى هذا الوضع الى ان بعض العلماء وعلى رأسهم المصلح الاجتماعي (مالتس) أبدوا تشاؤمهم من تزايد السكان بنسب مرتفعة وما يترتب على ذلك من الآثار الاجتماعية والاقتصادية الضارة.

ويظل مالتس نذير شؤوم بين الاقتصاديين، وامام هذه التنبؤات المتشائمة جاء الازدهار الاقتصادي للدول الاوروبية ثم الولايات المتحدة الامريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم في القرن العشرين كاشفا عن قصور أفكار مالتس، فالثورة الصناعية في هذه الدول لم تؤد فقط الى زيادة الانتاجية بما يفوق الزيادة السكانية، بل انها قد ادت - عملا - الى تناقص معدلات المواليد في معظم الدول الصناعية. فالثورة الصناعية احدثت تغييرات مقابلة في سلوك الافراد وخاصة فيما يتعلق باعداد المواليد داخل كل اسرة، حيث اصبحت العائلة تقتصر على طفلين او ثلاثة، وهكذا ينحصر تأثير الصناعة في المجتمعات الغربية على النواحي التكنولوجية بل ان اثارها الاجتماعية لم تكن اقل اهمية، فالصناعة ليست مجرد الآلات والمصانع ولكنها بالدرجة الاولى تغيير في السلوك البشري، وتغيير للبواعث البشرية بتفضيل الرفاهة على الانجاب، وبذلك ارتبطت الصناعة بزيادة الرفاهية ومستوى الدخل.^{٤٨}

النقابات العمالية . فالاولى هي نقابات الحرفيين المنتجين اما الثانية فهي نقابات قامت للدفاع عن العمال وحماية مصالحهم في مواجهة المنتجين الراسماليين.(د. محمد محروس اسماعيل).

47 - سعيد، جمال الدين.د - التطور الاقتصادي في العالم - ١٩٦٠ - ص ١٩٩

48 - الببلاوي. حازم،د - كوبنهاغن وعودة مالتس - جريدة الاهرام المصرية - ٧ /مارس / ٢٠١٠

٣ - اتساع حجم التجارة الداخلية والبيئية

نتيجة اكتشاف العالم الجديد عام ١٤٩٢م واكتشاف الطريق البحري للشرق عبر رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م اتسعت تجارة أوروبا الخارجية حتى شملت العالم الجديد والقديم، وأدى هذان الحدثان إلى نمو الصناعة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث أنها تمكنت من الوصول إلى أسواق الدول المختلفة. إن سهولة الاتصال بين أوروبا من ناحية ودول العالم الجديد والقديم من ناحية أخرى أدى إلى إمكان تقسيم العمل وتحقيق تخفيض كبير في تكاليف الإنتاج مما ساعد على جعل السوق أكثر اتساعاً هو أن الطلب كان كبيراً على السلع بسيطة الصنع - كالمنسوجات الصوفية والقطنية - فأمكن جعل الإنتاج نمطياً وإمكان إحلال الآلات تدريجياً في العمليات الإنتاجية، وبذلك ساعد اتساع السوق على التصنيع والتوسع في الإنتاج.^{٤٩}

كما أن وسائل المواصلات ورخص تكلفة النقل أدى إلى اتساع حجم السوق وإمكان استخدام المواد الأولية بكثرة، مما أدى إلى زيادة كبيرة في الإنتاج، وقد ترتب على ذلك كبر حجم المشروعات وتطبيق مبادئ تقسيم العمل، والاستفادة من وفورات الإنتاج الكبير، مما ساعد كثيراً على تخفيض تكلفة الإنتاج وجعل الإنتاج نمطياً.^{٥٠}

٤ - توافر رأس المال وإمكانات التراكم الرأسمالي

لقيام نهضة صناعية يجب توفر رأس المال حتى يمكن تمويل الأبحاث والآلات والمخترعات العظيمة، ويجب توجيه رأس المال إلى قدر كبير منه إلى إنتاج السلع الإنتاجية اللازمة لإنتاج السلع الاستهلاكية. وقد أسهم كبار التجار بقدر كبير من رأس المال اللازم للصناعة، كما أن بعض المخترعين كانوا من طبقة الأغنياء فتولوا تمويل مخترعاتهم من أموالهم الخاصة واعتمد البعض على الاقتراض الأخرى بالاقتراض أما من طبقة التجار الأثرياء وأما من البنوك المحلية. ولعل من أهم الأسباب التي ساعدت على قيام الثورة الصناعية في إنكلترا قبل غيرها من الدول الأوروبية أنها استطاعت أن تحصل على رأس المال لتمويل الصناعة الناشئة نتيجة اتساع تجارتها الخارجية خلال القرن الثامن عشر، ويرجع الفضل في

49 - مصدر سابق (د. جمال الدين سعيد)

50 - زكريا أحمد نصر - تطور النظام الاقتصادي - الطبعة الأولى - مطبعة نهضة مصر - ١٩٦٤

ذلك الى تجارتها مع مستعمراتها في اميركا والهند، اذ تمكن التجار من الحصول على أرباح ضخمة ولاسيما من تجارة الدخان والتوابل والسكر، اذ كانت انكلترا مركزا مهما لتوزيع هذه السلع خلال القرن الثامن عشر الميلادي.⁵¹

المحور الثاني : مظاهر الثورة الصناعية

لقد احدثت الثورة الصناعية انقلابا عظيما في كل جوانب الحياة في اوروبا في منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وكانت اهم مظاهر هذه الثورة هي:

١- ظهور المصانع واستخدام الآلات

حيث أدى ظهور المصانع الكبيرة واستخدام الآلات الى انفصال تام بين طبقات الممولين والعمال، على عكس الحال في ظل نظام الرق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، حيث بدأت الصناعة تظهر لأول مرة جزءا مستقلا من النشاط الاقتصادي، وقد ترتب على ذلك تحول الصناعة الى النظام الرأسمالي وتكوين طبقة من الرأسماليين، لان ارتفاع ثمن الآلات وضرورة بناء المصانع الكبيرة جعل فئة الاغنياء قادرة على تمويل الصناعة دون غيرها.

كذلك زيادة نفوذ اصحاب الاموال المشتغلين بالصناعة وقد كان هذا امرا طبيعيا لانهم أصبحوا مسيطرين على أهم عناصر الانتاج من مباني المصنع، والآلات، والقوى المحركة، والمواد الخام.. الخ، اما عنصر العمل فقد اخذت اهميته تقل كلما ظهرت مخترعات جديدة، وبقيام هذه المخترعات العظيمة في القرن التاسع عشر التي تميزت بأستخدام آلات على درجة عالية من القدرة والقوة الانتاجية ظهر نظام المصانع.

أدى هذا الوضع الجديد الى زيادة نفوذ اصحاب الاموال لانهم استطاعوا السيطرة على معظم وسائل الانتاج، كما ان تحول الصناعة الى الصورة الجديدة أدى الى وجود طبقة هي طبقة المديرين التي مهمتها ادارة المصانع، فبنمو المصانع وكبر حجم المشروعات تعقدت المشكلة الادارية مما دعا كبار المساهمين الى ان يعهدوا الى اصحاب الخبرة من المديرين بتحمل مسؤوليات الادارة.

51 - أريك رول - تاريخ الفكر الاقتصادي - ترجمة راشد البرواري - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - 1989م

كذلك فان كبر رؤوس الاموال للشركات المساهمة وكنتيجة من نتائج الثورة الصناعية، وعدم استطاعة فرد واحد او عدد محدود من الافراد حيازة معظم اسهم مشروع ادى الى اهمية طبقة المديرين وزيادة نفوذهم.

٢- هجرة السكان من الريف وتمركزهم في المدن

كان سكان اوروبا في زيادة مستمرة خلال القرن التاسع عشر وصاحب هذه الزيادة الكبيرة في السكان هجرة الكثير منهم من الريف حيث اغرتهم الحياة الحضرية والمصانع التي اقيمت في المدن وخاصة الاجور المرتفعة وقد ساعد على هذا الاتجاه انه في الوقت نفسه كانت فيه سبل العمل في المدن آخذة في الاتساع، وكانت موارد الرزق للزارع الصغير آخذة في النقصان.

وقد سببت الهجرة من الريف الى المدينة كثير من المشكلات وعلى راسها مشكلة المساكن ويرجع ذلك الى زيادة المساكن في المدن كانت تتماشى مع سرعة تزايد عدد السكان، بالاضافة الى ذلك كان العمال الجدد القادمون من الريف يرغبون في الاقامة على مقربة من المصانع وقد ادى ذلك الى ازدحام العمال في مناطق معينة بالمدن، فنشأت باغلب المدن الاوروبية الكبرى احياء لسكن العمال الفقراء تتميز بضيق طرقها وسوء اضائتها وكثرة قاطنيها وبدائية مساكنها.

٣- نمو التجارة الخارجية

كان نمو التجارة الخارجية بمثابة السبب والعامل الاقتصادي في قيام الثورة الصناعية، فكانت العوامل السياسية لها اكبر الاثر في تقرير درجة اهمية تلك الثورة في الدول المختلفة، فقد تنافست الدول الكبرى في القرنين السابع عشر والثامن عشر في السيطرة على الاسواق وكان في النهاية ان تفوقت بريطانيا بصورة جلية، فبفضل قواتها البحرية استطاعت ان تقهر اسبانيا ثم هولندا ثم فرنسا على التوالي، ثم استت بريطانيا مستعمرات هامة من كل من الهند وامريكا بذلك اصبحت مسيطرة على اهم الاسواق الدولية، وفي القرن الثامن عشر اصبحت التجارة احتكارا على الدول الاستعمارية واصبح رعايا بريطانيا يحتكرون التجارة مع المستعمرات دون غيرهم، وبالرغم من ثراء فرنسا نتيجة لوفرة مواردها الطبيعية الهائلة وكذلك لكثرة سكانها الا انها وجدت صعوبات بصدد تصريف فائض انتاجها خارج حدودها، اما عن المانيا فكان وضعها أسوأ، فانقسامها الى العديد من الولايات لكل تعريفتها الكمركية

جعل عملية تقدمها الاقتصادي عن طريق اتساع سوقها امرا متعذرا، بل ان عدم وجود حكومة مركزية قوية منع المانيا وحرمها من الاشتراك في النضال مع الدول الاستعمارية لتأمين اسواق لها، ولعل هذا ما أدى الى ان التقدم الاقتصادي في المانيا لم يتحقق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.⁵²

مما يتضح ان نمو التجارة وخاصة في انكلترا ساعد على الحصول على ارباح وفيرة ساهمت هذه الارباح في تحويل التقدم الصناعي ومن الناحية الاخرى أقامت الثورة الصناعية التخصص، فتخصصت انكلترا وكذلك اوروبا الغربية وعلى الاخص فرنسا وبلجيكا ومانيا في فترات لاحقة في الانتاج الصناعي وهذا ادى بدوره الى زيادة التبادل التجاري الخارجي، ولقد ترتب على تصدير انكلترا والدول الاوروبية الصناعية الاخرى المنتجات الصناعية حصولها على ارباح وفيرة، حيث كانت معدلات التبادل التجاري الدولية منذ منتصف القرن التاسع عشر في صالح الانتاج الصناعي، وفي عام 1913م كانت اربعة اخماس صادرات انكلترا للعالم الخارجي تتألف من سلع مصنوعة وثلاث اخماس وارداتها تتألف من منتجات زراعية وكذلك الحال كان في المانيا لا يختلف عنه كثيرا في انكلترا، اما فرنسا فنظرا لاهمية الزراعة فيها ونظرا لانها لم تتأثر بالتطور الصناعي درجة تأثير كل من انكلترا ومانيا فان تجارتها لم يحدث بها تغيرات كبيرة.⁵³

٤ - كبر حجم الوحدات الانتاجية

كان اهم مظاهر الثورة الصناعية كبر حجم الوحدة الانتاجية وخاصة في صناعة الغزل والنسيج وصناعة التعدين حيث احتشد فيها مئات بل آلاف العمال، وقد كانت مصانع الحديد والصلب أكبر حجما من فروع الصناعات الاخرى. وأدت زيادة حجم الوحدات الى التمتع بوفورات الانتاج الكبير عن طريق خفض التكلفة. فالمصانع الجديدة كانت بمثابة وحدات استثمارية كبرى تستخدم عددا وفيرا من العمال وتقوم بالمساهمة في انتاج كميات كبيرة من المنتجات. ولقد اختلف الحجم من صناعة الى اخرى، ففي صناعة المنسوجات مثلا كانت المصانع كبيرة الا انها صغيرة اذا ما قورنت بمصانع الحديد والصلب. وكان نمو الصناعة في انكلترا يميل الى التخصص اي نمو كبر حجم المشروع الا ان هذا لم يمنع قيام التكامل، اي قيام

52 - مصدر سابق (د. عبد العزيز عجمية)

53 - مصدر سابق - (د. علي لطفى)

المشروع بكل او معظم مراحل الانتاج الخاصة بسلعة معينة، او قيام الاحتكارات في صورة الشركات القابضة والترست والكارتل.^{٥٤}

المحور الثالث : نتائج الثورة الصناعية

للتورة الصناعية العديد من الاثار المباشرة على التكوين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، واهم تلك الاثار المتعلقة بالنواحي الاقتصادية وهي :

١- زيادة الثروة القومية

أدت الثورة الصناعية الى زيادة الثروة الحقيقية في دول اوروبا واصبحت هذه الدول غنية في مصانعها ومرافقها المختلفة واصبحت تتمتع بمقدرة انتاجية عالية، فأزادت الارباح وتضاعفت الدخول واصبحت عملاتها وعلى راسها الجنيه الاسترليني مضرب الامثال في القوة والمتانة.

ونظرا لما حققته بعض دول اوروبا من ارباح وفيرة وعلى الاخص انكلترا فانها وظفت قدرا كبيرا من الاموال في الخارج وعلى الاخص في المستعمرات والدول التي لها بها روابط سياسية وهذا بدوره ادى الى حصول الدول الاوروبية على ارباح كبيرة استخدمتها مرة ثانية في الانتاج والاستثمار في الداخل والخارج وفي زيادة نفوذها في الخارج عن طريق ضم مستعمرات لها.^{٥٥} وهكذا ظهرت بوادر الرفاهية الاجتماعية.

٢- ارتفاع مستويات المعيشة والطريق للرفاهية

ارتفع مستوى الرفاهية المادية في اقتصاديات اوروبا منذ الثورة الصناعية الى مستويات لم يكن ليتصورها احد في القرن التاسع عشر. وعلى سبيل المثال كان دخل الفرد في انكلترا تبعا للعقود بين ستينات القرن الثالث عشر والعقد الاول من القرن الحادي والعشرين بعد انقضاء ستة قرون من الجمود، زاد الدخل بنمو عشرة اضعاف منذ العام ١٨٠٠م، ولا يزال يواصل صعوده بثبات، لكن تجدر الاشارة الى انه على الرغم من التاريخ المحدد لظهور الثورة الصناعية في انكلترا هو ستينات القرن الثامن عشر، لم تظهر مؤشرات على النمو السريع في دخل الفرد لغاية ستينات القرن السادس عشر، فأحدى نتائج الثورة الصناعية هي ان المواطن في البلدان الناجحة اقتصاديا مثل انكلترا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا واليابان

54 - هاشم، سامي عفيفي ، د - التجارة الخارجية بين التنظير والتنظيم - الكتاب الاول - الدار المصرية اللبنانية - ١٩٩١
55 - مصدر سابق (د. عبد العزيز عجمية)

باتوا اوسع ثراء من اسلافهم في الحقبة قبل الثورة الصناعية، لكن هناك سمة اخرى غير عادية للاقتصاد الحديث وهي ان الفجوة بين مستوى معيشة الناس في الاقتصاديات الغنية والاقتصادات الفقيرة اضحت هوة هائلة بالمقارنة بين الاثنين في الحقبة التي سبقت القرن التاسع عشر الميلادي.⁵⁶

٣- زيادة نفوذ طبقة رجال الاعمال

ادت الثورة الصناعية الى فتح الافاق امام اصحاب رؤوس الاموال (الذين يقومون بالاقتراض) من السيطرة على سياسة الدولة المالية وعلى المشروعات الصناعية وغيرها وذلك لان جميع الاعمال الاقتصادية الكبيرة كانت تقوم على اساس الاقتراض، فسياسة رجال المال من سهولة او صعوبة الاقتراض وسياسة رجال المال من رفع وخفض الاسعار الجارية، كان لها جميعا الأثر على الاوضاع الاقتصادية العامة، وما من دولة في الوقت الحالي الا ونجدها مدينة لسوق المال بملايين الدولارات، لذلك زاد نفوذ ارباب الاعمال واصحاب رؤوس الاموال في النواحي الاقتصادية والسياسية.

٤- ازدياد الخلافات بين العمال وأرباب العمل

كان صاحب العمل قبل قيام الثورة الصناعية يشرف بنفسه على العمال، بل كان احيانا يعمل بجانبهم، ولذلك فانه كان على علم بمشكلات العمال ومطالبهم وفهم كامل لعقليتهم وتفكيرهم، وقد ساعد ذلك على حل جميع المشكلات بطريقة سلمية وبشكل سريع، اما بعد قيام الثورة الصناعية فقد احتدم الخلاف بين العمال واصحاب الاعمال وقد كان ذلك امرا طبيعيا، حيث انفصلت الروابط بين العمال واصحاب الاعمال وتضارب مصالح الطرفين، فيما يرى العمال ان مصلحتهم تتطلب زيادة الاجور وتخفيض ساعات العمل، يرى اصحاب الاعمال العكس من ذلك ليزيدوا ارباحهم وقد كان من نتيجة ذلك لجوء العمال في احيان كثيرة الى وسائل العنف والتخريب والاضراب، لذلك كانت هذه أسوء نتائج الثورة الصناعية.⁵⁷

56 - كلارك، غريغوري - الاقتصاد العالمي- نشأته، وتطوره، ومستقبله - الدار العربية للعلوم ناشرون- ترجمة امين الايوبي- 2009 - ص 260-261
57 - مصدر سابق، (د.علي لطفي)

الفصل الثاني

اقتصاديات الدول الاوربية

عندما نتكلم عن اقتصاديات الدول الاوربية لابد من حصر ذلك في مبحثين لشرح مضامين اقتصاديات الدول الاوربية المنضوية تحت مجموعة (EU) وكذلك اقتصاديات الدول المنضوية تحت الراية الاشتراكية.

الدول الاوربية وما تمتلكها من امكانات كبيرة في الثروة البشرية النوعية والثروات الطبيعية والتكنولوجيا الصناعية منذ القرن الثامن والموقع الجغرافي المتميز جعلها في المصاف الاول في العالم، وان كانت امريكا تسبقها فالفضل يعود الى المهاجرين الاوائل الذين نزحوا اليها من بلدان مختلفة ونقلوا معهم اليها الخبرات والمهارات. تعد قيمة الإنتاج الاقتصادي لأوروبا أعلى بكثير مما هي عليه في أي قارة أخرى، فاققتصاد معظم الدول الأوروبية متطور بدرجة عالية.

تنضوي معظم النشاطات الاقتصادية في غربي أوروبا، تحت نظام الملكية الخاصة بعيداً عن سيطرة الدولة، إلا أن الحكومة تقوم بإدارة بعض المشروعات، التي تنتج السلع الضرورية، والتي تقدم الخدمات الضرورية. تشمل هذه المشروعات السكك الحديدية، وفي بعض الحالات صناعة السيارات. بدأت بعض الحكومات في الثمانينيات من القرن العشرين في بيع مثل هذه المشروعات للقطاع الخاص.(الخصخصة الاقتصادية)

ظل اقتصاد الدول الأوروبية الشرقية يتخذ لسنين عدة من المبادئ الاشتراكية الشيوعية قاعدة له (القطاع العام). وتحت ظل النظام الشيوعي سيطرت الدولة سيطرة كاملة على الأرض وعناصر الإنتاج وتوزيع السلع والخدمات. بدأت حكومات شرق أوروبا في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين في اتخاذ الخطوات اللازمة نحو زيادة الملكية الخاصة للنشاطات الاقتصادية في بلادها.^{٥٨}

يوجد تبادل تجاري واسع النطاق بين الدول الأوروبية (من خلال السوق الاوربية المشتركة). ولقد عملت المنظمات التجارية الدولية العديدة على تنمية التجارة. تشمل المنظمات التجارية في أوروبا الاتحاد الأوروبي واتحاد التجارة الحرة الأوروبية.

58 - كروسلان، أنتوني. مستقبل الاشتراكية - كونستابل ٢٠٠٦ - ص ٨٩

تعد أوروبا موطن الصناعات الحديثة التي بدأت أثناء الثورة الصناعية في بريطانيا في القرن الثامن عشر الميلادي، وانتشرت في أنحاء أوروبا وشمال أمريكا في القرن التاسع عشر الميلادي.

في أثناء الثورة الصناعية بدأ أصحاب المصانع في استخدام الآلات التي تعمل بالقوة المحركة لإنتاج السلع المختلفة. أدى استخدام الآلات وتطورات أخرى إلى زيادة الإنتاج وتخفيض تكلفة التشغيل بصورة ملحوظة. ونتيجة للثورة الصناعية أصبح العديد من الدول الأوروبية يحتل مكان الصدارة بين المراكز الصناعية في العالم.

تحتل أوروبا المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية بين المناطق الصناعية الهامة في العالم. والدول الصناعية الكبرى في أوروبا الغربية هي فرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وإسبانيا والسويد والمملكة المتحدة. أما الدول الصناعية الكبرى في أوروبا الشرقية فهي روسيا وبولندا وأوكرانيا.

تعد أوروبا الشرقية - بصفة عامة - متخلفة في ميدان التطور الصناعي بالمقارنة مع أوروبا الغربية. ولكن دول غربي أوروبا بدأت في إغلاق المصانع منذ عام ١٩٧٠م نتيجة لضراوة المنافسة العالمية. وبالإضافة إلى ذلك، انخفض عدد الأيدي العاملة في صناعات أوروبا الغربية، فأصبحت اليوم أقل بكثير مما كانت عليه في منتصف القرن العشرين الميلادي.

يفوق إنتاج أوروبا من السلع المصنعة إنتاج أي قارة أخرى. وتستخدم الدول الأوروبية المتطورة جداً أحدث الوسائل التقنية المتوفرة لديها، لإنتاج كميات ضخمة من السلع. كما يستفاد في هذه الدول من العمال المهرة. ولذلك فقد عوض توفر التقنية المتقدمة واستخدام العمال المهرة النقص في المواد الخام. فروسيا وعدد قليل جداً من الأقطار الأوروبية الأخرى فقط لديها كميات كافية من المواد الخام، ولقد استهلكت المواد الخام في بلاد كفرنسا وإيطاليا اللتين اضطررتا لاستيراد احتياجاتهما من المواد الخام الأساسية كخام الحديد والأخشاب والنفط. ولكون أوروبا شهدت ولادة النظامين الرأسمالي والاشتراكي في ظل الفلسفة الاقتصادية الأوروبية، لذا فإن هذا الفصل سوف يتناول مبحثين هما :

١- اقتصاديات النظام الرأسمالي (دول EU)

٢- اقتصاديات النظام الاشتراكي (دول الكوميكون سابقا)

المبحث الاول : اقتصاديات النظام الرأسمالي

كان الانتقال من مرحلة الاقطاعية الى المرحلة الرأسمالية إنتقالا حاسما بحق، فقد طرأ على شكل الانتاج تحول اساسي بحيث لم تعد الزراعة هي المصدر الأساسي لثروة المجتمع، بل حلت محلها الصناعة التي لم يكن لها في المراحل السابقة الا دورا محدودا يناظر الاساليب البسيطة التي كانت تستخدم في ممارسة الحرف اليدوية. كذلك فان القوى الانتاجية قد طرأ عليها تغير اساسي يتمثل في الانتقال من رقيق الارض الى العامل الاجير. ولعل اهم مظاهر هذا التغير هو ان الاستبداد الذي كان يحل على رقيق الارض، وحتى على العبد كان منصبا مباشرة من حيث هو شخص، اما العامل الاجير فقد اصبح يخضع لنوع غير مباشر من الاستبداد، لا ينصب على شخصه، بل عليه من حيث هو ينتمي الى (طبقة). فصاحب العمل لا يستغل هذا العامل وذاك على وجه التحديد، بل هو يستغل العمال من حيث هم أجيرون، اي من حيث ان لهم وضعا طبقيًا خاصا.^{٥٩} وتطور النظام الرأسمالي ليس وليد الفكر الرأسمالي السائد الان بل هي وليدة تطور تاريخي طويل امتد لعصور متعددة وفكر اقتصادي واجتماعي متميزين. ولفهم طبيعة الرأسمالية وتطورها سنتطرق الى المحاور التالية:

المحور الاول : ظاهرة المبادلة وظهور السوق

يعد مصطلح السوق الى حد ما فكرة تجريدية يستخدمها الاقتصاديون عن الالتقاء بين البائعين والمشتريين. وفي الوقت الراهن يجري قسم من التعامل بالتجارة الالكترونية عبر الانترنت ولا يحتاج السوق في مثل هذه الحالة الى مكان محدد اذ يكفي ان نعد السوق نظاما يمثل مجموعة من الشروط التي تسهل عمليات التبادل بين مختلف الوحدات الاقتصادية.^{٦٠}

أبرز آدم سميث في كتابه عن (نظرية الشعور الاخلاقي) وقبل ظهور كتابه الاخر عن (ثروة الامم)، اهمية التبادل عند الانسان، فلدى الفرد اتجاه طبيعي لمبادلة مايزيد عن حاجته بما ينقصه ويوجد لدى الغير ولذلك فان ظاهرة التبادل هي ظاهرة

59 - مصدر سابق، (د. فؤاد زكريا)

60 - مسعود، مجيد - دليل المصطلحات التنموية - دار المدى للثقافة والنشر - دمشق ٢٠٠١، ص ٧٠

انسانية اساسها شعور الانسان بنقص ما في حياته وبحاجة الى اكماله بحاجة مادية او خدمية وهذا مبدأ الحاجة والتبادل والتي وجدت في جميع المجتمعات بلا استثناء. وعندما نتحدث عن اقتصاد السوق فاننا لا نقصد مجرد مبادلات عارضة هنا وهناك بين الافراد، ولكننا نشير الى نظام اقتصادي تصبح فيه المبادلات هي جوهر النشاط الاقتصادي وبحيث يتم الانتاج والاستهلاك من خلال السوق.⁶¹

ان الانتشار الطبيعي لمفهوم السوق قد تبلور مع ظهور (التاجر) الذي يتخصص في عمليات البيع والشراء، فالتاجر لا يشتري البضاعة بقصد استهلاكها وانما بغرض اعادة بيعها، فالتاجر موجود دائما في السوق، بعكس المستهلك الذي يذهب الى السوق فقط عندما يرغب في الشراء، لذا بدأ هذا التاجر في تكوين مخزون من السلع التي يتخصص فيها وذلك حتى يستطيع ان يوفرها للمستهلكين عند الطلب. ووجود هذا المخزون لدى التاجر يعني حيازته لثروة معرضة للسرقه او الاعتداء، الامر الذي جعله ينشغل بحماية امواله وثروته، ومن هنا عمد التجار ان يتجمعوا في اماكن محددة يسهل حماية الأمن فيها، فضلا عن انها تيسر على المشتريين العبء لكي يجدوا حاجاتهم المتنوعة في مكان واحد. وهذا المكان هو السوق.

كذلك نرى ان التاجر ساعد على ظهور النقود (السلعة الثالثة)⁶² ، فالمبادلة كانت تتم اول الامر عن طريق المقايضة وهي عملية معقدة، لذلك لم تلبث المجتمعات ان وجدت سلعة تتمتع بنوع من القبول العام وخاصة بين التجار لكي تقوم بدور النقود، مما ادى الى قبول الافراد الى التعامل بها ايضا. وهكذا خلقت السوق النقود مما ساعد على زيادة المبادلات وزيادة كفاءتها. والتاجر لم يتوقف دوره عند البيع والشراء الفوري بل انه كثيرا ما كان يقبل البيع بلاجل ان يطلب من مورده للبضائع بمهلة للسداد لحين يتم البيع للعملاء، وهكذا ظهر (الائتمان) ومفهوم القروض على نحو واسع في مجتمع التجار، واصبح بعضهم يكاد يتخصص في الاقراض والاقتراض وهي بداية ظهور البنوك ومؤسسات التمويل.⁶³

وهكذا ظهرت السوق كظاهرة اجتماعية تلقائية نتيجة احتياجات المجتمعات وتطورت معها واستمرت السوق في التطور نتيجة للتغيير المستمر في الظروف

61 - Adam smith, the wealth of nations. Encyclopaedia Britannica, vol2, p535, 1976

62- اي النقد وهي السلعة التي تقويم نقديا المنفعة التي تقدمها سلعة ما وتقدر بكذا من السلعة الثالثة (الباحث)

63 - البلاوي، حازم.د - الدولة في النظام الراسمالي - تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية - القاهرة ٢٠١٠

المجتمعية ومع تطور اساليب الانتاج والفن التكنولوجي، فالنقطة الرئيسية هنا هي ان السوق لم تكن وليدة نظرية او فكرة مسبقة وانما هي نتاج اجتماعي متغير وسوف تستمر في التطور. مع زيادة وتعقد العلاقات الاقتصادية لم تعد الاسواق محلية، بل اتسعت لتصبح اسواقا وطنية واخيرا عالمية، كذلك لم تعد الاسواق اماكن للالتقاء البائعين والمشتريين بشكل فعلي بقدر ماهي تلاقي الطلب والعرض، واحيانا في شكل افتراضي من خلال شاشات الحاسبات والانترنت.

لم يعد التاجر يقوم بالتعامل في كل او عدد كبير من السلع بل اصبح يتجه للتخصص، فهو يتخصص في بيع وشراء سلعة محدودة يصبح متخصصا فيها، وتقوم الى جانبه مؤسسات اخرى متخصصة بالتمويل والاقرض وثالثة في الوساطة المالية للاوراق المالية ورابعة وخامسة وهكذا..

الى جانب هذه المؤسسات المتعددة فقد ظهرت مفاهيم قانونية متعددة ومتجددة. فألى جانب استقرار مفهوم الملكية والعقود المتنوعة ظهرت مفاهيم الشركات والاوراق المالية، فالتعامل في الاسواق هو تعامل في الحقوق والالتزامات، وبالتالي اصبح وجود القانون واحترامه أحد اهم خصائص السوق، ولا يخفى ان وجود القانون واحترام تطبيقه يعني وجود سلطة للدولة تعمل على صيانة القانون، فوجود السوق ملازم لوجود الدولة، ولا قيام للسوق بدون سلطة توفر احترام حقوق وضمن التعهدات.⁶⁴

وعندما نتكلم عن اقتصاد السوق فاننا لانقصد مجرد وجود مثل هذه المؤسسات والادوات المتعددة، وانما نقصد ان النشاط الاقتصادي قد اصبح يدور بشكل اساسي من خلال هذه السوق، وان هذه السوق هي التي تنظم الانتاج وتوزيعه من خلال جهاز الاسعار، فالسوق هي المحرك والمنظم للنشاط الاقتصادي، بحيث ان كل شئ في الاقتصاد يعمل من خلال السوق ومن اجل هذه السوق، وفي هذه السوق يقوم كل شئ بالنقد، فلغة التعامل هي التعامل النقدي، وهذا هو اقتصاد السوق النقدي.⁶⁵

وينبغي التاكيد هنا على العلاقة بين مفهوم السوق ومفهوم الفردية، فالسوق تقوم على الاعتراف بحق الملكية الفردية وبالتالي الحرية في التصرف وبحرية العمل، ويرتبط

64 - مصدر سابق. (د.حازم البيلوي)

65 - نورينا هيرتس - السيطرة الصامتة، الراسمالية العالمية وموت الديمقراطية، عالم المعرفة العدد 336 - الكويت 2007

بحقوق الملكية والحريات ورفض مفهوم العبودية، فالمطالبة بحرية العمل هي احد مظاهر النظام الراسمالي وكان لمفكرين الدعوة لاقتصاد السوق وفي مقدمتهم آدم سميث من أكبر المناهضين للعبودية والاستعمار والداعين لالغاء تجارة الرقيق وتحرير المستعمرات، ويقوم هذا التفكير على اعتناق مبدأ المساوات بين الافراد ولكن هذه المساواة أثارت جدلا كبيرا من المفكرين وخاصة من جانب المفكرين الاشتراكيين، فالمساواة عند اصحاب مبدأ (الاقتصاد الحر) هي مساواة قانونية وليست مساواة اقتصادية، فالمقصود هو ان الجميع متساوون امام القانون، يتمتعون بنفس الحقوق ويلتزمون بنفس الواجبات، ولكن هذه المساواة هي مساواة في الفرص وليست مساواة في النتائج، فالجميع حق المساواة في التمتع بنفس الفرص، اما النتائج فهي تتوقف على مدى كفاءة الشخص فالمساواة المقصودة عند انصار الراسمالية هي ان يعطي الجميع نفس الفرص ولا يحرم احدا من الفرص المتاحة بسبب الجنس او اللون او الديانة او غير ذلك.^{٦٦}

ان النظرة الفردية لنظام المساواة قد عرفت تطورا كبيرا خلال القرن العشرين وخاصة بعد قيام الاتحاد السوفيتي وبروز نفوذ الاحزاب العمالية ثم وقوع الازمات الاقتصادية الكبرى وخاصة الازمة العالمية عام ١٩٢٩م، وقد ترتب على كل هذه التطورات ان بدأت الحكومات في الدول الصناعية الغربية وخاصة في ظل حكومات أحزاب العمال في ضمان حدود دنيا من المساواة الاقتصادية او المساواة في النتائج وليس فقط في الفرص المتاحة، فبدأت تظهر القوانين التي تحدد الحدود الدنيا للاجور مع تحديد لساعات العمل وضمن حقوق العمال وتزايد تدخل الدولة لتوفير انواع الضمان الاجتماعي من الرعاية الصحية وتوفير حدود دنيا للمعاشات لكبار السن والعاطلين وذوي الاحتياجات الخاصة وهكذا اصبح الضمان الاجتماعي احد اهم مظاهر النظم الراسمالية الصناعية ومن اهم واجبات الدولة في حماية حدود دنيا لمستويات المعيشة مع العمل على توفير قدر من العدالة في توزيع الدخل والثروات عن طريق الضرائب والنفقات.^{٦٧}

66 - مصدر سابق. (د. حازم الببلاوي)

67 - منصور، احمد ابراهيم. د - عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية، رؤية اسلامية- مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت ٢٠٠٧

المحور الثاني : التطور الصناعي والتكنولوجي منذ الثورة الصناعية

كان لماركس فضل التنبيه لاهمية التقدم التكنولوجي على تطور المجتمعات ومؤسساتها بما فيها العقائد والقيم السائدة، ولعل اخطر تطورين في تاريخ البشرية ارتبط بالثورة الزراعية قبل مايقارب من عشرة آلاف سنة ثم الثورة الصناعية منذ أقل من ثلاثمائة عام. فالثورة الزراعية أدت الى استقرار الجماعات وبداية نشأة المدن والحضارات الاولى وظهور الكتابة وتكوين الوحدات السياسية الاولى وبداية التمايز بين الطبقات. اما الثورة الصناعية فقد ارتبطت بشكل واضح بيزوغ النظام الراسمالي وتطور أشكاله من راسمالية تجارية الى راسمالية صناعية ثم راسمالية مالية، وفي كل هذه المراحل استمر توسع الاسواق وابتلاع مزيد من القطاعات التي ظلت لفترة او فترات عصية على نظام السوق، فبدأ الاقتصاد العائلي المعيشي القائم على الاكتفاء الذاتي يتحول الى اقتصاد السوق، مع تزايد الاعتماد من المستهلكين على السوق لتوفير احتياجاتهم، كما بدأ المنتجون يتجهون بسلعهم الى الاسواق وذلك بدلا من الانتاج لاشباع حاجات الاسرة او القبيلة او الانتاج للعملاء المعروفين سلفا، فالمنتج في اقتصاد السوق ينتج لمستهلكين غير معروفين لديه، وهكذا بدأت الزراعة في القرى تفقد استقلالها لتصبح تابعة للمدينة وتجارها، فهي تباع محاصيلها في اسواق المدينة وتشتري معظم احتياجاتها من هذه الاسواق، واصبحت حياة الفلاحين متوقفة على مزاج اهل المدينة (Baurg) ومنها اشتقت كلمة (بورجوازية) والتي استخدمها كارل ماركس للتعبير عن النظام الراسمالي.⁶⁸

وفي مرحلة الراسمالية التجارية كان التاجر هو سيد الموقف ولم تكن الصناعة قد بلغت بعد أوجها، فهي تعمل من أجل التجار وفي خدمتهم وكانت الصناعة تستجيب لاحتياجات الاسواق ولم تكن قد بلغت القوة بما يجعلها تفرض هذه الاذواق على المستهلكين وهو ماتحقق في المرحلة التالية فيما عرف بالراسمالية الصناعية، حيث اصبح رواد الصناعة هم المسؤولين عن توجيه الاقتصاد واصبحت الصناعة هي التي تحدد أذواق المستهلكين وأحتياجاتهم بما يتفق مع امكاناتهم الصناعية. وبدأت

68 - شلبي، أحمد. د - الانظمة الاقتصادية في العالم - دار النهضة المصرية - 1976

ادارة التسويق والاعلان والدعاية تصبح جزءا أساسيا من البناء المؤسسي للاقتصاد الرأسمالي.⁶⁹

وفي مرحلة ثالثة (الراسمالية المالية) أنتقلت السيطرة الاقتصادية الى مؤسسات التمويل والتي توفر التسهيلات والقروض للمشروعات الصناعية وتساعد على طرح رؤوس الاموال والاقتراض من الاسواق المالية.⁷⁰

في كل هذه المراحل لم يكن الامر مجرد تغيرات مؤسسية، بل كان في الاغلب نتيجة تطورات تكنولوجية في اساليب الانتاج استدعت بدورها تطورات مؤسسية مقابلة.

ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر عرفت الاكتشافات الجغرافية الكبرى، وظهرت المبادلات التجارية عبر المحيطات من الشرق الاقصى ومن الامريكيتين، فظهر مفهوم الشركة المساهمة وزادت اهمية الاساطيل البحرية، ومع القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر جاءت ثورة البخار فأعطت دفعة قوية للصناعة والصناعيين وفي القرن العشرين جاءت ثورة المعلومات والاتصالات فزادت من قدرة وهيمنة المؤسسات المالية وهكذا ارتبط العديد من هذه التطورات المؤسسية بتطورات مقابلة في التكنولوجيا، من الاكتشافات الجغرافية الى ثورة البخار الى الثورة المعلوماتية.⁷¹

وفي جميع هذه المراحل فان التقدم التكنولوجي لم يتوقف سواء في مرحلة الصناعة الاولى عند بدء الثورة الصناعية مع العمالة الكثيفة غير المؤهلة ومع خطوط الانتاج النمطية، او في مرحلة تالية مع الصناعات الحديثة الاكثر اعتمادا على البحث العلمي والعلوم الحديثة، ولم تعد الصناعة مجرد خطوط طويلة للانتاج ومداخن ومراجل وآلات ثقيلة فقط، بل انها اصبحت ايضا مراكز للبحوث ومعامل ومكتبات والعديد من اجهزة الكومبيوتر وشبكات الاتصال مع مراكز عالمية اخرى عبر القارات.

69 - قطب، سيد . معركة الاسلاميه والرأسمالية - مطبعة دار الكتاب العربي - ١٩٥٢

70 - مصدر سابق (أحمد ثلبي)

71 - مصدر سابق (د. حازم البيلوي)

المحور الثالث : دور الدولة في التطور الرأسمالي

الدولة^{٧٢} : هي تجمع سياسي يؤسس كيانا ذا اختصاص سيادي في نطاق إقليمي محدد ويمارس السلطة عبر منظومة من المؤسسات الدائمة. وبالتالي فإن العناصر الأساسية لأي دولة هي الحكومة والشعب والإقليم، بالإضافة إلى السيادة والاعتراف بهذه الدولة، بما يكسبها الشخصية القانونية الدولية، ويمكنها من ممارسة اختصاصات السيادة لاسيما الخارجية منها.

ظهرت الراسمالية المعاصرة في أوروبا منذ القرن الثامن عشر على انقاض النظام الاقطاعي، فقد مهد لها ظهور الدولة الحديثة منذ القرن السادس عشر وبالاخص تولي لويس الرابع الملكية عشر في القرن السابع عشر وكان الفرنسي جان بودان قد مهد لذلك بكتاب له في عام ١٥٧٦م تناول فيه مفهوم السيادة الوطنية والتي تجاوزت الأرتباطات الشخصية أو الدينية للأفراد مما ساعد على ظهور مفهوم الدولة / الامة ومن ثم مفهوم المواطن، وحيث اصبح الولاء للدولة، وهكذا ظهرت الدولة المركزية وبدأت تؤكد استقلالها عن المؤسسات الدينية، كما تجاوز الولاءات الاقليمية والمحلية للامراء والاقطاعات^{٧٣}.

لقد كان موضوع دور الدولة في الاقتصاد نقطة جدل دائم بين الاقتصاديين عند مطلع القرن الخامس عشر ظهر فكر التجاريين وذلك بعد أزمة ارتفاع الأسعار في الدول الأوروبية بسبب زيادة تدفق المعادن الثمينة إلى اقتصاديات تلك الدول، مما جعل هذه الأخيرة تعطي أهمية بالغة لتوازن موازين مدفوعاتها، ولذلك كان اهتمام التجاريين هو تحقيق فائض في الإنتاج بهدف التصدير، الأمر الذي جعلهم ينادون بأهمية النشاط التصديري، كما نادوا بمبدأ الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، حيث ساد الظن بأن كل فرد أجدد بتحقيق مصلحته وأن المصلحة ليست إلا مجموع مصالح الأفراد، الأمر الذي قلص دور الدولة إلى مجرد اتخاذ الإجراءات التي تكفل حماية مصالح الأفراد داخليا وخارجيا . ومع مطلع القرن السابع عشر ظهرت النزاعات التجارية وسادت الفوضى الأمر الذي جعل هؤلاء التجاريين ينادون بتدخل الدولة لتنظيم الحياة الاقتصادية، وقد اختلفت صور تدخل

72 - ويكيبيديا الموسوعة الحرة

73 - مصدر سابق (د. حازم البروراي)

الدولة من دولة لأخرى، غير أنه خلال هذه الفترة ساد مفهوم الدولة الحارسة في ظل سيادة أفكار النظرية الكلاسيكية التي كانت تبنى على أساس ترك النشاط للأفراد دون تدخل من الدولة، لقد قامت أفكار الكلاسيك على أنّ هناك قوى ذاتية قوية تمنع حدوث فترات الركود الطويلة في الاقتصاد، وعليه فإنّ الاقتصاد في ظل نظام السوق لديه الآلية الذاتية لإعادة توازنه وعلى ذلك فإنّ هذه القوى الذاتية تستطيع التغلب على الهزات التي تحدث بالاقتصاد الوطني وتحركه نحو التوازن العام، وقد ترتب على ذلك أنّ وظيفة الدولة هو القيام بأعمال الأمن والحماية والعدالة والدفاع أي أنها تكون حارسة للنشاط الاقتصادي، ولا مانع في إقامة بعض المشاريع العامة، هذا وقد سادت أفكار الكلاسيك لفترة طويلة إلا أنّ حدثت مشكلة الكساد الكبير عندها بدأ الاقتصاديون يتشككون في صحة النظرية الكلاسيكية بعد عجز اقتصاديات الدول عن إعادة توازنها

بطريقة آلية كما كان يدعي الكلاسيك.⁷⁴

يتضح ان اقتصاد السوق يحتاج الى توفير اسباب الاستقرار الامني والسياسي والقانوني لحماية الامن الخارجي والداخلي وتوفير امكانيات النشاط الاقتصادي الفردي بوضوح القواعد القانونية واستقرارها وتوافر المعلومات وسلامتها مع ضمان مستويات مناسبة من التعليم والتدريب والخدمات الصحية وكل هذا يحقق ما اطلق عليه حدود الدولة الحارسة، ولكن التجربة اثبتت ان هناك ضرورة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي ايضا فلا يكفي توفير الدفاع عن البلاد وحماية الامن المحلي واقامة العدالة بين المتنازعين، بل لابد فوق ذلك ان يتحقق نوع من التوزيع العادل لمزايا الاقتصاد، فلا يجوز ان يشارك الجميع في عمليات الانتاج لتستقر بعد ذلك حصة الاسد من الناتج القومي في يد قلة محدودة، ومن هنا ظهرت قضية العدالة الاجتماعية، كأحد اهم التحديات التي تواجهها المجتمعات الصناعية.⁷⁵

مع قيام القرن العشرين وقيام الثورة البلشفية والنظام الشيوعي وخاصة بعد نجاح الاحزاب العمالية في الوصول الى الحكم بدأت سياسات الضرائب تتجه الى العمل على تحقيق عدالة التوزيع وبذلك اصبح للضرائب والمالية العامة بشكل عام وظيفة

74 - درواسي، مسعود. د - دور الدولة في النشاط الاقتصادي والسياسة الاقتصادية - كلية الاقتصاد والتسيير - الجزائر

75 - نفس المصدر

75 - مطانيوس حبيب - التنمية الاقتصادية - منشورات جامعة دمشق

اجتماعية في تحقيق العدالة الاجتماعية ومنع الاسراف في سوء التوزيع للدخل والثروة، ومع النصف الثاني للقرن العشرين اصبحت معظم الدول الصناعية الغربية أكثر عدالة في التوزيع مقارنة بالماضي او بالدول النامية، وهكذا ولدت بعد الحرب العالمية الثانية (دولة الرفاه welfare state) والتي توفر المزيد من الخدمات الاجتماعية مع فرض الضرائب التصاعدية على اصحاب الدخل العالية، وفي كثير من الاحيان تاميم العديد من القطاعات الانتاجية والاستراتيجية، كما اصبحت توجه نسبة عالية من الانفاق العام لاغراض اجتماعية.^{٧٦}

ان دور الدولة الراسمالية لم يتوقف عند توفير البنية التحتية الاساسية المادية والمؤسسية للنشاط الاقتصادي او لمراعات البعد الاجتماعي في العدالة وانما وجدت الدولة نفسها امام مسؤولية حماية النشاط الاقتصادي مما يتعرض من تقلبات وأزمات وتراخي في معدلات النمو وتزايد في مظاهر البطالة، فأقتصاد السوق وان كان قادرا على ضبط الاداء الاقتصادي العادي، فانه يتعرض من ناحية لتقلبات وأزمات من ناحية أخرى، كما انه يعجز عن توفير الأدوات لتحقيق أهداف استراتيجية بعيدة الأمد، وفي الحالتين لامناص من وجود دولة قوية قادرة لمواجهة الآخرين.

قد بدأ أول امتحان خطير للنظام الراسمالي ودور الدولة ابان الازمة المالية عام ١٩٢٩م عندما تعرض الاقتصاد العالمي للكساد العظيم مما هدد من وجود النظام نفسه، رغم ان الاقتصاد الرأسمالي تعرض خلال القرن السابق عدة أزمات، حين كان من المعروف أن التقلبات الاقتصادية هي احد مظاهر النظام الراسمالي المتسم بزيادة الانتاج ووفرته، الا ان ازمة الثلاثينات من القرن الماضي كانت من العمق والاتساع بحيث وضعت العالم على شفا الافلاس، وكانت النظرية السائدة تحذر بالقول بان تدخل الدولة هو أسوأ علاج ممكن.^{٧٧}

ونشير الى انه رغم ان مستقبل الراسمالية يتطلب تدخلا واسعا وعميقا ومتنوعا من الدولة في الحياة الاقتصادية على نحو غير مسبوق، فهو يتطلب ايضا ان يكون تدخلا ذكيا وناعما وفعالا في نفس الوقت، وكل هذا يفترض توافر اطار عام من الشفافية والمساءلة والبعد عن تعارض المصالح، وهكذا فان نجاح الدولة في اداء هذا الدور

76 - مصدر سابق - (د. حازم البرواري)

77 - لقوشة ، رفعت، د. - الليبرالية الاجتماعية محاوره في مستقبل التاريخ - المكتبة الاكاديمية - القاهرة ٢٠٠٤

الاقتصادي الدقيق يتطلب تداولاً في السلطة واستقراراً لمفهوم دولة القانون واستقلالاً للقضاء، فالدولة الرأسمالية لن تقوم بدورها بكفاءة في غياب الديمقراطية السياسية. وإذا كانت الدولة الديمقراطية في مباشرتها لهذا الدور الاقتصادي تخضع للمسؤولية السياسية والرقابة الشعبية فلا يقل أهمية ما يبنى به التطور المعاصر من تزايد أهمية المجتمع المدني من ناحية وزيادة الوعي العالمي ويقظته من ناحية أخرى، وقد ساعدت ثورة المعلومات والاتصالات على إشراك المواطن العادي في الاهتمام بما يدور في بلده وفي الخارج وأصبح بالتالي أكثر وعياً وأعلى صوتاً كما أصبح للمجتمع الدولي وزناً لا يسهل تجاهله.^{٧٨} والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو ما هو مستقبل السوق والدولة الرأسمالية؟

إن النظام الرأسمالي يقوم على ركيزتين أساسيتين هما السوق والدولة، فالسوق كما كان في الماضي لم يتغير مفهومه أبداً أما الدولة فقد تطورت كثيراً لتشمل القوة النافذة والسياسة الفاعلة والهيمنة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية.. الخ. وبذلك يصبح السؤال في حقيقته هو التسائل عن مستقبل السوق والدولة، فهل يستمران أم يبقى أحدهما يزول الآخر، وما هو شكلهما وما شكل العلاقة بينهما؟

هناك أمراً يبدو واضحاً وهو أن العالم سوف يزداد تقارباً وحيث تتداخل علاقاته بشكل كبير يوماً بعد يوم، ويرجع هذا التقارب والتداخل العالمي إلى طبيعة اقتصاد السوق نفسه، فالسوق بطبيعتها تلتهم كل ما تقابله وتخضعه لمنطقها، مما جعل ظاهرة العولمة تفرض نفسها على كل ما تقابله.

في هذا الإطار المعولم فإن السوق مهياًة للتوسع سواء باتساع نظامها الجغرافي أو باقتحام قطاعات كانت بعيدة عن السوق، ولكن هذه السوق تكون مقيدة أكثر من أي وقت مضى بضوابط وقيود لحماية المستهلك حيناً وتوعية المستثمر حيناً آخر وضمان ترشيد استخدام الموارد النافذة حيناً ثالثة، وهكذا.. والسوق سوف يتسع جغرافياً وهذا الأمر لا يراه فيه، فبعد أن بدأت السوق محلية في إطار القرية أو الاقليم، فإذا بها تصبح وطنية لتشمل معظم أرض الوطن، وهي الآن عالمية التوجه تكاد تغطي أرجاء المعمورة من خلال الفروع أو عن طريق الترخيص باستخدام الاسم التجاري مثل ماكدونالد الأمريكية أو الدمياطي الخليجية.

كذلك اخذت الدولة تتدخل بجرأة اكبر لمحاربة الاحتكار وضمان المنافسة فضلا عن القيود والضوابط الفنية في الانتاج او لرعاية العمال وحقوقهم. وهكذا يمكن القول بان المستقبل يفتح آفاقا اوسع امام اقتصاد السوق ولكنه في نفس الوقت يضع مزيدا من القيود والرقابة على سلوكها والشفافية في نشاطها.

أما عن مستقبل الدولة، فلعل النقطة الاولى فيما يتعلق بدورها هي التأكيد على تزايد أهمية المجتمع الدولي في حياة كل دولة، فالسيادة المطلقة للدولة داخل حدودها في تراجع مستمر، وغالبا سوف يستمر التراجع بشكل اكبر.

حددت وظائف الدولة في ثلاث مجالات ، الانتاج، التوزيع، وتحقيقا للاستقرار الاقتصادي اي في الفعاليات الاقتصادية، ومن المتوقع ان يزيد دور الدولة في كل من هذه المجالات وذلك في اطار من تزايد القيود والضوابط الداخلية والدولية، ف فيما يتعلق بدور الدولة الانتاجي لتوفير السلع العامة والسلع الاجتماعية، فمن المتوقع اضافة مجالات جديدة اصبحت ضرورية لاستمرار حياة الجماعات، فمع التزايد الديموغرافي فان مشاكل المرور وتوفر الخدمات الصحية والتعليمية والتنظيم العمراني ومع تزايد معدلات توقع الحياة وبالتالي زيادة اعداد المعمرين، فان قضية الضمان الاجتماعي ستصبح احد مشاغل الحكومات في القرن الحالي، كذلك هناك مقاومة الجريمة المنظمة والارهاب، وكل هذا يتطلب من الدولة جهودا اكبر وتدخلها مباشرا في الحياة العامة.^{٧٩}

وبالنسبة لدور الدولة في ضمان درجة من العدالة فان الحكومات لابد ان تلعب دورا متزايدا ليس فقط فرض ضرائب اكثر عدلا مع مراعات تفاوت الدخل والثروات، وانما بوجه خاص توجيه نسبة متزايدة من الانفاق العام لتحسين احوال الطبقات المهمشة والفقيرة، وهناك من المشاكل التي اصبحت لا يصدق استمرارها في هذا القرن مع كل التطورات الحديثة مثل استمرار معدلات مرتفعة للامية او انتشار الاوبئة والامراض المتوطنة وامثالها، وهي انواع من الامراض الاجتماعية التي تصيب الطبقات الفقيرة بشكل اوضح، وعلى الدولة ان تعمل على زيادة الانفاق لمواجهة هذه الامراض الاجتماعية.

79 - اولريش شيفر - انهيار الرأسمالية اسباب اخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود - ترجمة عدنان عباس - الكويت - ٢٠١٠

وهنا يمكن الإشارة الى انه رغم ان مستقبل الرأسمالية يتطلب تدخلا واسعا وعميقا ومتنوعا من الدولة في الحياة الاقتصادية يتطلب ان يكون هذا التدخل فعالا في نفس الوقت، فان نجاح الدولة في اداء هذا الدور الاقتصادي الدقيق يتطلب تداولا للسلطة واستقرار لمفهوم دولة القانون واسقلالاً للقضاء، فالدولة الرأسمالية لن تقوم بدورها بكفاءة في غياب الديمقراطية السياسية.

اذا كانت الدولة الديمقراطية في مباشرتها للدور الاقتصادي تخضع للمسئولية السياسية والرقابة الشعبية، فلا يقل اهمية ما ينبئ به التطور المعاصر من تزايد اهمية المجتمع المدني من ناحية وزيادة الوعي العالمي ويقضته من ناحية اخرى، وقد ساعدت ثورة المعلومات والاتصالات على اشراك المواطن العادي في الاهتمام بما يدور في بلده وفي الخارج واصبح بالتالي اكثر وعيا واعلى صوتا، كما اصبح للمجتمع الدولي وزنا لايسهل تجاهله.⁸⁰

وفي ضوء ماتقدم فانه يبدو ان التعايش في المستقبل سيستمر مع اقتصاد السوق والدولة، وان دور كل منهما سوف يتسع على الاغلب ومع ذلك فان هذا التوسع سيكون مصحوبا بمزيد من القيود والرقابة والاشراف من الداخل والخارج وكل هذا يطرح قضايا لا تقتصر على الاقتصاد وحده بل تتعلق بالسياسة والاخلاق ايضا، كما ان القضية لم تعد محصورة بحدود دولة وطنية وانما اصبح الحديث عنها يمثل اتجاها عالميا شاملا.

ولاتمثل هذه الصورة الاحتمال الوحيد لمستقبل الرأسمالية في العالم فهناك سيناريوهات مظلمة وقاتمة اذا كشرت الطبيعة عن وجهها القبيح بانفجار الزلازل والبراكين او غيرها من الكوارث الطبيعية او نجح دكتاتور متعصب في اعلان حرب نووية على جيرانه او اشتد عود الجماعات المتعصبة لدين او عقيدة في حروب صليبية او صراع حضارات ضد الاخرين الى آخر مايمكن ان تتضمنه قوائم التشاؤم السوداء.

وهنا لا بد من التاكيد بان اقتصاديات الدول الاوروبية بدأت منذ الثورة الصناعية وعلى اساسها ستستمر فعاليتها الاقتصادية في الانتاج التقليدي والتكنولوجي واصبح لافتا الانظار، والان فان اقتصاديات الدول الاوروبية أخذت مأخذا خطيرا الا وهو

80 - مصدر سابق - (د. حازم برواري)

تصدير وضبط التكنولوجيا الانتاجية والهيمنة عليها في خارج الدول الاوروبية بحيث أصبحت الدول الاخرى ذات تبعية أنتاجية لها. وهي نوع من الاستعمار التكنولوجي الجديد للدول الاوروبية.

المبحث الثاني : اقتصاديات النظام الاشتراكي

الاشتراكية لغة من الاشتراك^{٨١}، ومصطلحا هي نظام اجتماعي اقتصادي يقوم على ايديولوجيا تقول ان الجماهير العاملة من الشعوب هي التي يجب ان تمتلك وسائل الانتاج، وبالرغم من تغير مدلولات المصطلح مع الزمن فانه يبقى يدل على تنظيم الطبقات العاملة وتبقى الاحزاب المرتبطة به تنادي بحقوق هذه الطبقات.

تهدف الاشتراكية الى مشاركة الجميع - جميع فئات الشعب - في الانتاج والدخل القومي وبناء الدولة واذابة الطبقات الاجتماعية والمساواة بين الجميع ماديا ومعنويا وكثيرا ما يتم الخلط بين الشيوعية فكرا والاشتراكية كمنهج اقتصادي، فالاولى اكثر شمولية وتشددا والثانية اكثر ديمقراطية وتركيزا على المنهج الاقتصادي، وفي حين ان الشيوعيين يؤكدون ان تصب في النهاية في مبدأ الاشتراكية التي نادى بها ماركس، الا ان الاشتراكيين لا ينظرون لانفسهم على انهم ماركسيون ويطلقون على انفسهم دائما الديمقراطيون الاشتراكيون. ومع هذا فان الاشتراكية العلمية كمصطلح بدأ استعماله مع ظهور (كارل ماركس) وخصوصا في خضم نقده للنظريات الاشتراكية الاخرى مثل نظرية (روبرت أوين).^{٨٢}

تشير الاشتراكية الى مختلف النظريات للمنظمة الاقتصادية وهي دعوة الى الملكية العامة في ادارة وسائل الانتاج وتخصيص الموارد، وبناء مجتمع يتميز بالمساواة في الوصول الى الموارد لجميع الافراد مع اسلوب المساواة في التعويض. وخلافا للاعتقاد الشائع، فالاشتراكية ليست النظام السياسي، بل هو نظام اقتصادي متميز عن الرأسمالية. ويرى الباحث أن فلسفة النظام الاشتراكي تدعو الى تحقيق الرفاهية.

معظم الاشتراكيين يتفقون مع الرأي القائل بأن الرأسمالية كانت تركز السلطة والثروة ظلما بين شريحة صغيرة من المجتمع، وتستمد ثروتها من خلال الاستغلال وانها تخلق مجتمع غير متكافئ ولا توفر الفرص المتساوية أمام الجميع لتعظيم

81 - اوكسفورد الانكليزية

82 - ويكيبيديا الموسوعة الحرة

قدراتها. لذا يدعو الاشتراكيون الى انشاء مجتمع يسمح للتطبيق على نطاق واسع للتكنولوجيا الحديثة لترشيد النشاط الاقتصادي من خلال القضاء على الفوضى في الانتاج في الراسمالية^{٨٣}، والسماح للثروة والسلطة ليتم توزيعها على اساس كمية العمل التي انفقت في الانتاج، وان كان هناك خلاف كبير بين الاشتراكيين حول كيف والى اي مدى يمكن ان يتحقق هذا، واما اذا كانت زيادة الانتاج ينبغي ان تكون هي الهدف الرئيسي للاشتراكيين ام لا.

الاشتراكية ليست فلسفة محددة من عقيدة وبرنامج ثابت تدعو فروعها الى درجة من التدخل الاجتماعي والترشيد الاقتصادي (عادة ماتكون في شكل من اشكال التخطيط الاقتصادي)، واحيانا يعارض بعضها البعض، ميزة اخرى لتقسيم الحركة الاشتراكية هو انقسام بين الاصلاحيين والثوريين على كيفية وجوب انشاء اقتصاد اشتراكي، بعض الاشتراكيين يدعون الى التأميم الكامل لوسائل الانتاج والتوزيع والتبادل، والبعض الآخر يدعون الى سيطرة الدولة ورأس المال في اطار اقتصاد السوق. ان الاشتراكية مستوحاة من النموذج السوفياتي للتنمية الاقتصادية ودعا الى انشاء الاقتصادات المخططة مركزيا وتكون موجهة من قبل الدولة التي تمتلك جميع وسائل الانتاج. الآخرين بما في ذلك يوغسلافية، الشيوعيون الهنغاريين، الالمان والصين في عام ١٩٧٠ و ١٩٨٠ يؤسسون الاشكال المختلفة لاشتراكية السوق^{٨٤}،

ظهرت الفكرة الاشتراكية في صورتها المحددة المعالم من قلب الرأسمالية بوصفها رد فعل على ذلك النظام الذي ظن الناس في وقت ما انه سيجلب لهم مزيدا من الرخاء، فاذا به يصيب الاغلبية الساحقة منهم بالفقر، ويصيب الانسان بانواع من العبودية ربما كان أشد مما كان يعانيه في كثير من مراحل التطور الاجتماعي السابقة وكانت الاشتراكية قد ظهرت بهدف نقل المجتمع الانساني الى مرحلة جديدة يتخلص فيها من نقائص المرحلة الراسمالية، وكانت نقطة البدء في التفكير الاشتراكي هي محاولة أسترداد القيم الانسانية التي اهدرها النظام الرأسمالي^{٨٥}.

وحسب الفكر الماركسي فان اي نظام اقتصادي يولد في احشاء النظام السابق له ويحمل نقيضه في داخله ليولد نظام اقتصادي متقدم عن الاول، لكن بالملاحظة نجد

83 - جوزيف ستيجليتز - الاشتراكية الى اين - كامبرج، ماساتشوستس - معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ١٩٩٥

84 - كريغ كالهون، أد - اشتراكية السوق - مطبعة أكسفورد - ٢٠٠٢

85 - زكريا، فؤاد د - الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية - دار مصر للطباعة - ٢٠٠٥

ان الاشتراكية التي اول ما طبقت في جمهوريات الاتحاد السوفيتي مرت بمرحلة انتقالية بين النظام الراسمالي والنظام الاشتراكي ومن هنا يجب اعطاء تعريف للمرحلة الانتقالية التي مر بها النظام الاشتراكي.

تعريف المرحلة الانتقالية :

مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية هي المرحلة التي تجري فيها تصفية الملكية الخاصة لوسائل الانتاج الاساسية والقضاء على استغلال الانسان لاختية الانسان، وتحويل الاقتصاد والدولة والثقافة لتتفق مع المبادئ الاشتراكية، وفي هذه المرحلة لا تكون الاشتراكية قد انتهى بناؤها، بل تكون قيد البناء، ولا تكون الراسمالية قد صفت نهائيا، بل تكون قيد التصفية، وتحويل في هذه المرحلة الاستثمارات الفلاحية الصغيرة وفقا للمبادئ الاشتراكية وبناء القاعدة المادية والتقنية للاشتراكية، والمرحلة الانتقالية ضرورية لكل بلد يسير في طريق التحول الاشتراكي وبناء الاشتراكية، سواء كان هذا البلد متطورا صناعيا ام متاخرا، كبيرا كان ام صغيرا، وتبدأ المرحلة الانتقالية مع انتصار الثورة الاشتراكية وتنتهي حين انجاز بناء الاشتراكية.^{٨٦}

وتعني عملية التحول الاشتراكي وبناء النظام الاشتراكي تطوير القوى المنتجة التي تتطلبها الاشتراكية، وتحويل جميع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الناس الى علاقات اشتراكية، وهذا يعني ايضا قيام مجتمع مزدهر يتطور دائما، وتعد فيه حرية كل فرد وتطوره من جميع النواحي لحرية المجتمع وتطوره.

تهدف السياسة الاقتصادية في مرحلة التحول الاشتراكي الى توطيد التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين، والى ترسيخ دعائم السلطة الاشتراكية، وتطوير القوى المنتجة في البلاد، اضافة الى الغاء استغلال الانسان للانسان وبناء الاشتراكية.

رسمت السياسة الاقتصادية في المرحلة الانتقالية في الاتحاد السوفياتي السابق وتطبيقها في ظروف الحصار الراسمالي وبناء الاشتراكية في بلد واحد بعد انتصار الثورة عام ١٩١٧م، وهذا ما أثر الى حد كبير في مضمون هذه السياسة وطرائق

86 - فلاديمير ايلتش لينين - رأسمالية الدولة في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية - دار التقدم - موسكو - ١٩٨٣

تنفيذها، غير ان المبادئ الاساسية التي تتضمنها السياسة الاقتصادية في المرحلة الانتقالية تختلف من بلد الى آخر تبعا لظروف التطور التاريخي لكل بلد. ومع هذا فقد استفادت الدول الاشتراكية الاخرى من تطبيق هذه السياسة في ظروف اكثر ملاءمة لانها استفادت من تجربة الاتحاد السوفيتي السابق ودعمه.^{٨٧}

يتصف الاقتصاد الوطني في كل مجتمع يمر بمرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية، بتعدد انماط الاقتصاد التي يرافقها علاقات انتاج وقوانين اقتصادية خاصة بها، ويكون لهذه الانماط وزن نوعي مختلف واهمية متفاوتة في التطور الاقتصادي وهذا رهن بالمرحلة التاريخية التي يمر بها البلد السائر في طريق بناء الاشتراكية، ولكن الانماط الرئيسة الثلاثة الزامية لكل بلد دخل مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية، وهي النمط الاشتراكي ونمط الانتاج السلعي الصغير والنمط الراسمالي.

* التحويل الاشتراكي في الصناعة

يعني التصنيع الاشتراكي نمو الصناعة الآلية الكبيرة، والصناعة موقعا قياديا في الانتاج، وتطورها في اقطاعات الاخرى وخاصة في الزراعة، مما يساعد على انتصار اشكال الانتاج الاشتراكية.

ان بناء صناعة متطورة وبخاصة صناعة ثقيلة، يوطد مواقع الاشتراكي في النضال ضد الراسمالية في الداخل وعلى الساحة العالمية. وتبدأ عملية التصنيع الاشتراكي بتطوير فروع الصناعة الثقيلة التي تنتج وسائل الانتاج، وخاصة في مجال التعدين والطاقة والآلات والمعدات ولوازم البناء، ويعد التصنيع الاشتراكي مفتاحا لحل جميع قضايا البناء الاشتراكي الاساسية في المرحلة الانتقالية، وبذلك يختلف التصنيع الاشتراكي، من حيث اشكاله وطرائق تحقيقه، ومن حيث نتائجه الاقتصادية والاجتماعية اختلافا جوهريا عن التصنيع في ظل الراسمالية.^{٨٨}

ان تركيز الاهتمام على الصناعات الثقيلة المنتجة لوسائل الانتاج في التصنيع الاشتراكي، وخاصة في الاتحاد السوفيتي السابق، فرضته ظروف المقاطعة التي فرضتها على الدولة الاشتراكية الاولى جميع الدول الراسمالية الصناعية، مما جعل

87 - أنتوني - مستقبل الاشتراكية - مطبعة جامعة كورنيل - نيويورك - ١٩٤٧ - ص ٥٢
88 - جاي انكرل - الاحتكارات الراسمالية والاشتراكية - رسالة ماجستير - كامبردج - ١٩٧٨

التصنيع الثقيل خيارا وحيدا أمام الدولة الاشتراكي الاولى. غير ان التصنيع الثقيل وصناعة وسائل الانتاج امر ضروري ايضا في مرحلة معينة من النمو الاقتصادي لرفع انتاجية العمل وبناء آلية اقتصادية تضمن تطور الاقتصاد الوطني تطورا منهاجيا بعيدا عن الازمات والتقلبات الدورية، وهو السمة الرئيسية في تطور الاقتصاد الاشتراكي.

يضع التحويل الاشتراكي في الصناعة الاساس المادي الضروري لزيادة رفاهية الشعب باستمرار ويهيئ الشروط المادية للقضاء على التعارض بين لبرمدينية والريف، والتناقض بين العمل الذهني والعمل الجسدي، ويقضي على البطالة الموروثة من الماضي، ويتحقق التصنيع الاشتراكي وفق خطة شاملة للدولة، وعن طريق تعبئة الموارد الداخلية للبلاد وخاصة أرباح مؤسسات الدولة والمصارف ومداخل التجارة الداخلية والخارجية والملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج وضمان مصلحة المنتجين في نمو الانتاج، والتنمية المخطط للاقتصاد الوطني توفر مجتمعة امكانيات ليتم التصنيع في البلدان الاشتراكية بمعدلات عالية، وترتبط عملية التصنيع بنمو الطبقة العاملة، وانشاء جيش من العمال ذوي الكفاية العالية، والقدرة على استخدام التقنية الحديثة وعلى ادارة البناء الصناعي.

* التحويل الاشتراكي في الزراعة

تصادف الثورة الاشتراكية في الزراعة شكلين مختلفين للنشاط الاقتصادي، احدهما يقوم على الملكية الخاصة للملاكين العقاريين الكبار والمستأجرين بالرأس مالينو والآخر هو الاستثمارات الفلاحية الصغيرة المجزأة، ووفقا لذلك فان التحويل الاشتراكي في الزراعة يتحقق على خطين يسيران معا.. الاول تنظيم مشروعات الدولة الاشتراكية، مزارع الدولة التي نشأت عن الملكيات العقارية الكبيرة المصادرة، والثاني التعاون الطوعي بين الأسر الفلاحية، والتحويل الاشتراكي في الزراعة يخدم مصالح ملايين الكادحين، لأنه يعني في الدرجة الاولى تحويل الاقتصاد الخاص الصغير القائم على العمل الشخصي الى انتاج جماعي كبير ممكن، عن طريق اشاعة التعاونيات الزراعية لتحقيق أكبر مردود ممكن من وحدة المساحة والتعاون قريب الى الفلاحين ومفهوم من قبلهم، وهو يجمع بين مصالح الفلاحين الشخصية ومصالح الدولة العامة على افضل ما يكون. تزود الصناعة الاشتراكية الزراعية بالمعدات والآلات

الزراعية والاسمدة كما تتم تهيئة الاختصاصيين الأكفاء بشكل مركزي، وتزود مزارع الدولة والتعاونيات بالبذور المحسنة وتمنح القروض وغير ذلك.

مع التحويل الاشتراكي في الزراعة تتسع مساحات الوحدات الانتاجية (مزارع الدولة والمزارع الجماعية ..) ويصبح استخدام المكائن في الزراعة ممكنا وأقتصاديا، مما يقود الى رفع فعالية النشاط الزراعي وزيادة الانتاج، فتوفر الزراعة للسكان الغذاء اضافة الى المواد الاولية اللازمة للصناعة، ويرتفع مستوى رفاهية الفلاحين، وتنتصر علاقات الانتاج الاشتراكية، وتجد مسألة الفلاحين ونضالهم في سبيل الارض وضد الاستغلال حلا حقيقيا لها.

ويتم التحويل الاشتراكي في الزراعة على اساس التعاون، فقد اوضح لينين الفرق الكبير بين التعاون في ظل سلطة الطبقة العاملة والتعاون في ظل النظام الراسمالي، وبين ان نمو التعاون في المرحلة الانتقالية وملكية الدولة لأهم وسائل الانتاج يعني نمو الاشتراكية. ان انتقال الفلاحين الى الانتاج التعاوني الكبير يتيح تزويد الزراعة بآلات جديدة ويظل التعاون في المرحلة الانتقالية شكلا من اشكال بناء الاشتراكية في الريف، يمكن ان يشترك فيه جميع الفلاحين، بمن فيهم الاكثر فقرا. ودعم (لينين) مبدأ الطوعية في الانتساب الى الجمعيات التعاونية ومفاده، انه لايجوز فرض الاشكال الاشتراكية لتسيير الاقتصاد على الفلاحين بالعنف، ولايجوز اشاعة التعاونيات بالقسر عن طريق القرارات والمراسيم. وتنشر التعاونيات بصورة تدريجية، ابتداء من الاشكال البسيطة للتعاونيات، كالتعاونيات الاستهلاكية والبيع والتسليف، ثم الانتقال الى ابسط أشكال تعاونيات الانتاج، بعدها ينتقل الى التعاونيات الاشتراكية التامة.⁸⁹

المرحلة الاشتراكية Socialism

الاشتراكية نظام اقتصادي اجتماعي يقوم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الاساسية من أجل تلبية حاجات المجتمع على الوجه الامثل والقاعدة الاقتصادية الاساسية في هذا النظام هي الغاء التقسيم الطبقي في المجتمع والغاء استغلال

89 - باين، روبرت - حياة وموت لينين - جرافتون ص ٤٢٥-٤٤٠

الانسان للانسان، بهدف تحقيق العدل والمساوات بين افراد المجتمع، وقد تعددت المذاهب والنظريات التي تناولت الفكر الاشتراكي، الا ان النظرية الماركسية – اللينينية هي وحدها التي نقلت هذا الفكر الى الواقع وكانت الاساس الذي قامت عليه انظمة اشتراكية سادت بلدانا عدة في القرن العشرين، ولذلك فان البحث في اسس النظام الاشتراكي ومرتكزاته يعني في جوهره نظرة الماركسية اللينينية الى هذا الموضوع.

تتعارض الاشتراكية تعارضا جذريا مع الراسمالية، لان القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج واستبدال الملكية الاجتماعية بها يؤدي الى تغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع، بعد ان كان هدف الانتاج في النظام الرأسمالي تحقيق الربح لمالكي وسائل الانتاج باستغلال الطبقة العاملة والكادحين، يصبح هدف النظام الاشتراكي تلبية حاجات اعضاء المجتمع المادية والروحية ووضع حد للاستغلال، ويفرض هذا النظام واجب العمل على الجميع وبذلك يتحول المجتمع من مجتمع متناحر الى مجتمع يوحد مصالح المنتجين والعاملين.⁹⁰

وساتطرق الى محاور ثلاث تعتبر هي مكونات النظام الاشتراكي وهي :

المحور الاول : السمات المميزة للنظام الاشتراكي⁹¹

الاشتراكية نظام متكامل اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا يهدف الى تحقيق العدالة في المجتمع، وتوفير فرص العمل لافراده من دون استغلال، ويقوم على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج.

* ففي المجال الاقتصادي ... لا يتحقق اسلوب الانتاج الاشتراكي الا عندما تصبح وسائل الانتاج ملكا للمجتمع بأسره، اي ملكا للدولة والتعاونيات، ويكون هدف الانتاج تلبية الحد الاقصى من حاجات المجتمع المادية والروحية، ويكون العمل مفروضا على الجميع ومتوافرا للقادرين عليه، ويتم الانتاج في هذا النظام وفق خطط تضعها الدولة وتشرف على تنفيذها، ويتم توزيع الناتج وفقا لقانون التوزيع الاشتراكي (لكل حسب عمله ونوعيته).

90 - كليمينتييف وفاسيليليا - ماهي الاشتراكية - دار التقدم - موسكو - 1987

91 - نخبة من الاساتذة السوفيت - الاقتصاد السياسي للاشتراكية الجزء الرابع - دار الجماهير - دمشق - 1971

* وفي المجال الاجتماعي ينعدم في النظام الاشتراكي الصراع الطبقي في المجتمع وتزول بزوال هذا الصراع الخلافات بين الامم والشعوب ويغدوا القانون الضابط لحياة المجتمع، عناية الجميع بخير كل فرد، وعناية كل فرد بخير الجميع، بيد انه لايمكن في مرحلة بناء الاشتراكي تحقيق المساواة الاجتماعية لان العمل يظل مقسوما الى عمل ذهني وعمل جسدي، الى عمل زراعي وعمل صناعي، وهذه الاحوال تتسبب في بقاء عدم التجانس في المجتمع على الصعيد الاجتماعي وبقاء بعض طبقات المجتمع كالعمال والفلاحين، وفئات اخرى لاتؤلف طبقة كالمثقفين. ويؤدي ذلك الى استمرار ظهور بعض التناقضات التي لاتحمل طابع التناحر، ويمكن حلها في اطار النظام الاشتراكي في عملية التطور المستمرة.

* اما في المجال السياسي، فيفرض النظام الاشتراكي ان تكون السلطة السياسية في يد المنتجين والشغيلة وعلى رأسهم الطبقة العاملة (البروليتاريا) مع وجود حزب طليعي يقود الدولة والمجتمع، ويتم حل القضايا الاجتماعية الاساسية بمشاركة جماهيرية وديمقراطية واسعة توفرها المنظمات الشعبية. ويمكن استنادا الى ماسبق تحديد السمات التي يتصف بها المجتمع الاشتراكي على النحو التالي:⁹²

١ - وجود قوة منتجة فاعلة، وعلم متطور، وثقافة طليعية، مع استمرار ارتفاع مستوى المعيشة في المجتمع وتوافر الاحوال الملائمة لتطوير حياة الفرد من جميع النواحي.

٢ - وجود علاقات انتاج اشتراكية تحقق التقارب بين جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية المنتجة وتحقق المساوات الفعلية بين جميع الامم والشعوب وتدفعها الى التعاون فيما بينها.

٣ - وجود تنظيم رفيع المستوى واخلاص ووعي سام لدى الشغيلة للقضايا الوطنية والاممية.

٤ - سيادة القانون في المجتمع وبين الدول.

٥ - توافر الديمقراطية الشعبية بأشتراك الفئات المنتجة في ادارة دفة الدولة، والجمع بين حقوق المواطنين وحررياتهم الفعلية وبين واجباتهم ومسؤولياتهم امام الجميع.

92 - مصدر سابق - (تشير كاسوف كاشين)

وأن عدم توافر هذه السمات كلها او بعضها يعرقل المجتمع الاشتراكي بطبيعة الحال وقد يهدد بزواله احيانا.

المحور الثاني : القانون الاقتصادي للنظام الاشتراكي

تسير الحياة الاقتصادية في اي مجتمع وفقا لقوانين محددة وليس بحسب رغبة افراد في المجتمع، ولقوانين الحياة الاقتصادية والنشاط الاقتصادي طابع موضوعي. يبدو جليا في العلاقة بين الظواهر، وعليه فان النظام الاقتصادي في المجتمع تحده علاقات الانتاج اي العلاقات بين الناس في مجال انتاج الخيرات المادية وتوزيعها وتبادلها واستهلاكها. اما اساس النظام الاقتصادي فهو شكل معين من أشكال ملكية وسائل الانتاج يحدد العلاقات الاقتصادية المتبادلة بين الطبقات والفئات الاجتماعية، كذلك فإن النظام الاقتصادي يرتبط بمستوى التطور الاجتماعي ويحدد التشكيلة الاقتصادية التي توفر تفاعل مستوى الانتاج مع البناء الفوقي السياسي والحقوقي.⁹³ فالملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج تؤلف أساس الاشتراكية الاقتصادية، أما القاعدة المادية والتقنية للاشتراكية فهي الصناعة الثقيلة والمتطورة، مع هيمنة العمل الآلي على جميع فروع الاقتصاد الوطني.⁹⁴

يبرز القانون الاساسي للاشتراكية خصائص اسلوب الانتاج الاشتراكي التي تختلف اختلافا جوهريا عن الاشكال التاريخية لاساليب الانتاج التي كانت قبل ظهور الاشتراكية ، ولئن كان قانون الربح هو القانون الاقتصادي الاساسي للرأسمالي فإن الرفاه الشامل وتحقيق مبدأ تلبية احتياجات الافراد المتزايدة وأشباعها وتطوير شخصية الفرد تؤلف بمجموعها القانون الاقتصادي الاساسي للاشتراكية، وهذا يعني اندماجا مباشرا بين المنتجين ووسائل الانتاج بحيث ينتفي وجود مجموعة من الافراد تحتكر وسائل الانتاج الاساسية، ويصبح للقوى المنتجة طبيعة اجتماعية يستفاد منها لزيادة انتاجية العمل ورفع مستوى معيشة افراد المجتمع.⁹⁵

وعندما يسعى المجتمع الى اشباع حاجات الافراد المادية والمعنوية فان مصالح المجتمع تؤلف في النتيجة مع مصالح الافراد، وحدة متكاملة لان رفع مستوى الفرد

93 - الكفري، مصطفى العبد الله - الاشتراكية كنظام اقتصادي اجتماعي - الحوار المتمدن - العدد - ٦٥٢ - ٢٠٠٣

94 - كاترين فيرديري - ماهي الاشتراكية، وما هو قادم - وفرنستون - ١٩٩٦

95 - ليونتييف - موجز الاقتصاد السياسي، دار التقدم - موسكو - ١٩٧٥ ص ٢٢٠

يزيد في اسهامه في الانتاج الاجتماعي وهذا يعني وحدة المصالح الاجتماعية والفردية، الامر الذي يحول العمل الى نشاط ابداعي، وتحل المباريات اشتراكية بين المنتجين في المجتمع الاشتراكي محل التنافس والمضاربة بين العمال في سوق العمل، ثم ادخال المكننة وتحسين شروط العمل وتحقيق المساواة في العمل توفر جميعها الشروط المادية لتحويل العمل الى نشاط ابداعي، وتحويل عملية اشباع الحاجات في المجتمع الاشتراكي الى مسألة اجتماعية تقع على عاتق المجتمع بكامله.⁹⁶

ولما كان الاقتصاد الاشتراكي أساس الحياة في المجتمع الاشتراكي فإنه يشترط تطور كل الميادين الاخرى (السياسي والاجتماعي والثقافي)، وتسهم الدولة في جعل العمل الحاجة الحيوية الاولى لكل مواطن عندما تتحقق المصلحة المادية والمعنوية للمنتجين في جني ثمار الانتاج، وتتحقق هذه المصلحة عن طريق تطبيق المبدأ الاشتراكي اتوزيع الخيرات المادية بحسب كمية العمل المبذول ونوعيته، ان عدم نجاح المجتمع الاشتراكي، لاي سبب كان في تحقيق مضمون القانون الاقتصادي الاساسي للاشتراكية بما يضمن تلبية حاجات المجتمع المتزايدة واشباعها ورفع مستوى معيشتهم في كل المجالات من شأنه ان ينعكس سلبا على انتاجية العمل، ويقود الى تقهقر الانتاج الجماعي ويعد عدم تطبيق قانون التوزيع الاجتماعي للخيرات المادية (لكل حسب عمله ونوعيته) والعامل الرئيسي في عرقلة تطور المجتمع الاشتراكي وتهديم قوته المحركة الرئيسية.⁹⁷

المحور الثالث : آلية عمل النظام الاشتراكي

ان النشاط الاقتصادي في النظام الاشتراكي لا يحكمه اقتصاد السوق ونزعة الربح الفردي، بل تتحكم فيه اساسا خطة اقتصادية تهدف الى تلبية حاجات المجتمع المتزايدة التي تعبر عن اهدافه ورغباته، وبعد الربح في الاقتصاد الاشتراكي وسيلة أكثر منه غاية، وتكون السوق في اطار التخطيط وسيلة فعالة وخادمة للاقتصاد، بل ان تكون سيدة متحكمة فيه كما في النظام الراسمالي.

96 - فريدريك انجلس - تطور الاشتراكية من طوباوية الى علم - دار الفارابي - بيروت - 1978
97 - كارل ماركس - فريدريك انجلس - الجريدة الرنيانية الجديدة - دار ابن خلدون - بيروت - 1976

تختلف دول المنظومة الاشتراكية فيما بينها من حيث مستوى تطور القوى المنتجة، كما تختلف مراحل تطور أسلوب الإنتاج الاشتراكي من دولة لأخرى، وتشارك جميع دول المعسكر الاشتراكي فيما يتعلق بالشروط الأساسية للنظام الاقتصادي الاشتراكي وهي:

* الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج

وهي التي تؤلف الاساس الاقتصادي للنظام الاشتراكي وهذا يعني ان جميع اعضاء المجتمع متساوون فيما بينهم حيال وسائل الانتاج، ومالكون لها بالقدر نفسه، اي ان معظم الموارد الطبيعية وراس المال هي ملك للشعب ويشمل ذلك الارض والصناعات والمصارف وقطاع المال والتجارة بنوعها الداخلية واخرجية، بيد ان الملكية الاجتماعية في ظل النظام الاشتراكي لا تنفي وجود الملكية الشخصية للمواطنين، وتشمل هذه الملكية الشخصية سلع الاستعمال والاستهلاك الشخصي، ولكن لا يجوز استخدام الاموال التي يملكها المواطن ملكية شخصية من أجل استغلال الآخرين أو الحصول على مدخولات غير ناجمة عن العمل.⁹⁸

فالاشتراكية تؤسس على الجماعية في مواجهة الفردية فهي تفضل المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية وهي تعارض الليبرالية وتؤمن بضرورة التدخل وتوجيه النشاط الاقتصادي لصالح المجتمع وتصحيح الآثار الاجتماعية وانانية السلوك الفردي.

* تخطيط الاقتصاد الوطني

تقوم فلسفة التخطيط الاقتصادي الاشتراكي على اساس الايمان بان الدولة باستطاعتها بما تمتلك من وسائل ان تمارس دورا هاما في معدل النمو الاقتصادي واتجاهات التنمية الاقتصادية في البلاد.⁹⁹، لذلك فان تعريف التخطيط الاشتراكي ضمن المفهوم اعلاه يقصد به العمل الذي تقوم به الدولة من خلال السعي ال حصر كافة الموارد المادية والمالية والبشرية واستخدامها بشكل كفوء من اجل تحقيق الاهداف المرسومة.

98 - مجموعة من المؤلفين السوفيت، الاقتصاد السياسي دليل العلوم الاجتماعية، اكااديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، ترجمة د. فؤاد أيوب، دار دمشق بيروت - 1986 ص 357

99 - شافعي، محمد زكي. د - التنمية الاقتصادية، الكتاب الثاني - دار النهضة العربية - القاهرة - 1970 ص 8

يتضح من التعريف اعلاه ان هناك عددا من الاسس يستند عليه التخطيط الاشتراكي
واهم هذه الاسس هي :

١- حصر كافة الموارد الاقتصادية المتوفرة بالبلد البيت يمكن للمجتمع الاشتراكي
استخدامها في نشاطه الاقتصادي المستقبلي ولجل تحقيق ذلك يشترط ان تقوم الدولة
بالسيطرة على هذه الموارد، لتمكين المخطط من وضع الاهداف العامة بالشكل الذي
يناسب مع هذه الموارد لان هناك ترابطا وثيقا بين الموارد والاهداف وهذا هو ما
يميز التخطيط الاشتراكي عن التخطيط الراسمالي الذي لا يتسم بسيطرة الدولة على
كافة الموارد الاقتصادية وانما تقوم الدولة بوضع خطط جزئية تستدعيها الحاجة
بالنسبة لبعض قطاعات الاقتصاد التي يوجد فيها اختلالا من اجل التغلب على هذه
الحالة.^{١٠٠}

٢- استخدام الموارد المتاحة اكفاً استخدام ممكن من خلال تطبيق اسلوب علمي سليم
لتغطية جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهذا مايموه عن التخطيط
الراسمالي الذي يعتمد على قوى السوق التي لاتضمن الاستخدام الكامل للموارد
الاقتصادية المتاحة وهذا مادفع الدول النامية الى استخدام التخطيط الاشتراكي
لاجراء عملية التغير في هيكل بنائها الاقتصادي حيث يصعب تحقيق التنمية في تلك
الدول في ظل قوى السوق وتدخل حكومي ضيق فالتغير الهيكلي القائم على دفعات
قوية يكاد يكون على طرفي نقيض مع اقتصاد السوق لذلك فان تدخل الولة الشامل
القائم على اساس خطة علمية واعية تعتبر شرطا مسبقا لمباشرة التنمية وبالتالي
تحقيق المعدل السريع للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.^{١٠١}

٣- يهدف التخطيط الاشتراكي الى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة
بالشكل الموضح في النقطة السابقة بهدف تحقيق الرفاهية العامة للمجتمع بينما يهدف
التخطيط في ظل النظام الراسمالي الى تعظيم الارباح دون النظر الى مصلحة
المجتمع.

*** قانون التوزيع الاشتراكي**

100 - خليل حسن خليل د - الاقتصاديات الاشتراكية - الجزء الرابع - معهد التخطيط القومي - القاهرة - مذكرة رقم ٥٨٠ - ١٩٦٥ ص ٥
101 - الامام، محمد محمود، د - التخطيط من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية - دار الجيل للطباعة - القاهرة - ١٩٦٣ ص ٦

ان الشعار الذي رفعتة الاشتراكية في توزيع الثروات على اسس العدالة والمساواة هو (لكل حسب عمله ولكل حسب حاجته) وتعتبر عملية اعادة توزيع الدخل القومي بشكل يحقق العدالة والمساواة في التوزيع من اهم الاسس التي يقوم عليها الوجود الاشتراكي، ولا يقصد بالعدالة والمساواة ان يتقاضى كل فرد نفس النصيب من الدخل القومي، وانما ينال كل فرد نصيبا يتلائم مع مردوده من الانتاج ومساهمته فيه، فالاشخاص المتساوون في الكفاءة والمهارة والانتاجية سوف ينالون نصيبا متكافئا، ويترتب على ذلك انعدام التفاوت الكبير في الدخل والثروة بين الافراد، وطبيعة النظام الاشتراكي تؤكد على الغاء الملكية الخاصة حتى لاتسمح لفئة من المجتمع ان تقتطع أجزاء هامة من الدخل القومي دون ان تساهم فيه بجهد فعلي، وبذلك يتحول المجتمع الى طبقة واحدة تعمل ضمن اهداف المجتمع وتتلقى التعويض العادل لقاء مساهمتها في الانتاج.^{١٠٢}

الفصل الثالث

اقتصاديات العالم الثالث

العالم الثالث مصطلح مجازي استخدم للتمييز بين الدول الاكثر تقدما والدول الاقل تقدما، وقد استخدم هذا المصطلح بعد الثورة الصناعية وبلوغ التنمية الاقتصادية في بعض الدول لتكون محور السيطرة على الدول التابعة (التبعية الاقتصادية) والسؤال اين هي دول العالم الثاني؟

جوابا على ذلك صنفت الدول الاوربية بالأعلى في سلم التقدم بذات النظام الراسمالي وبذلك تميزت بمصطلح العالم الاول مجازا. والنظام الاشتراكي والمتمثل بالدول التي تميزت بالنهج الاشتراكي السوفيتي السابق بمصطلح العالم الثاني. وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت البلدان المستعمرة والواقعة تحت نفوذ البلدان الراسمالية الاستعمارية بالحصول على استقلالها السياسي تباعا، وبدأت هذه البلدان تبحث عن سبيل لتحقيق التقدم والتنمية فيها، فكان (مشروع التحديث المتعجل) في كتلة عدم الانحياز (آسيا، وأفريقيا، أي مجموعة باندونغ) وفي امريكا اللاتينية مشروع (التنمية).^{١٠٣}

لقد كانت الدول النامية التي حصلت على استقلالها السياسي حديثا على اقتناع بأن هذا الاستقلال يظل منقوصا مالم يتعزز بأقتصاد مستقل وقوي، يضمن لها الارتقاء بمستوى معيشة الشعب، وردم الهوة التي تبعتها عن العالم المتقدم، لهذا فقط طرحت مسألة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ليس فقط كحل لمعضلة التخلف، وانما ايضا لتحقيق مستوى مرتفع في النمو الاقتصادي.

لذا بدأ التركيز على العمل في تحقيق هذا النمو، بمعنى التركيز على زيادة الانتاج من خلال مزيج ملائم من المدخرات والاستثمارات والمعونات الاجنبية، ومن خلال هذا المفهوم فإن التنمية المنشودة تتضمن عددا من المراحل هي المراحل ذاتها التي مرت بها الدول الصناعية المتقدمة في مسيرتها من الركود الى التقدم والانتعاش.

ولغرض الالمام بجوانب هذا الفصل فقط اعتمدنا مبحثين منفصلين لاغناء دراسة هذا الفصل وهما :

103 - أمين، سمير.د - في مواجهة أزمة عصرنا- القاهرة- سينا للنشر- بيروت - الانتشار العربي- ١٩٩٧ ص ١٤٠

المبحث الاول : الواقع الاقتصادي للدول النامية

السمات البارزة للدول النامية هي:

١- النقص في امدادات الغذاء. ٢- قلة مصادر الطاقة. ٣- انخفاض الناتج الوطني الاجمالي. وكثير مايصنف الاقتصاديون البلدان النامية^{١٠٤} على اساس الناتج الاجمالي للفرد، اي الناتج الوطني الاجمالي مقسوما على عدد السكان، ٤- والسكان يتزايد في غالبية البلدان النامية ومرد ذلك نسب المواليد المرتفعة، وكثرة السكان اذا توافرت عوامل أعدادهم تشكل تزايدا في الثروة ولا شك لان الفرد الانساني كائن منتج، وهو في ذاته ثروة عظيمة بل هو اساس استثمار سائر الثروات، ولكن الزيادة السكانية عند قصور عوامل الاعداد تسبب مزيدا من الضغوط على المواد الشحيحة، ورأس المال المادي كالألات وانظمة النقل الفعالة، التي تعتبر قليلة جدا في الاقطار النامية. وينطبق القول ذاته على راس المال الاجتماعي كالتعليم الجيد والانظمة الصحية واستقرار الحكم. ٥- قلة او عدم امكانية استخدام التكنولوجيا الحديثة. ٦- ضعف تحقيق معدلات نمو عالية في الانتاج. ٧- مازالت الدول النامية بلدان زراعية والايدي العاملة في الزراعة تمثل مستويات عالية اكثر من ٧٠% ٨- زيادة مشاكل الفساد المالي والاداري. ولهذه السمات المذكورة أنفا تكون مشكلة البلدان النامية معقدة فأن أغلب هذه البلدان وقعت تحت السيطرة الاستعمارية تاريخيا لما فيها من خيرات عظيمة طمع فيها المستعمرون، ولا تزال هذه الثروات نهبا بين الدول القوية الطامعة. ٩- انخفاض مستويات المعيشة، تنعكس مستويات المعيشة المنخفضة بصورة كمية ونوعية بحالة الفقر وتردي مستويات الصحة والتعليم وأرتفاع معدلات وفيات الاطفال وانخفاض معدل العمر المتوقع. ١٠- انخفاض الانتاجية، حيث اخذت معظم البلدان النامية بسياسة القطاع العام في النشاط الاقتصادي واتباع سياسة احلال الواردات، وتقليص الاعتماد على الخارج، ورفع شعار الاعتماد على الذات طريقا واسلوبا لزيادة الانتاج، الا ان أغلب هذه البلدان قد فشلت في التغلب على الصعوبات، وعمدت دول اخرى في جنوب شرق آسيا الى الاعتماد على فتح الاسواق وتشجيع التصدير وتسهيل الاستثمارات الاجنبية والاندماج بالاسواق

- لكن للامم المتحدة تصنيف آخر عدا الناتج الاجمالي والدخل القومي وهو احتساب مدى الانفاق وتحقيق الخدمات العامة كالجامعات والمستشفيات والمدارس والطرق فاذا زادت عن ٥٠% او اكثر تعتبر ضمن البلدان المتقدمة وكمثال على ذلك ان دول الخليج بلدان غنية لكن لا تقدم الخدمات بالمستوى المطلوب فتصنف ضمن البلدان النامية. الباحث¹⁰⁴

العالمية مع الاستمرار بأعطاء دور للدولة، وأستطاعت هذه البلدان تحقيق معدلات نمو عالية جدا. وتعرضت دول امريكا اللاتينية الى اضطرابات في الاوضاع المالية في الثمانينات من القرن الماضي حيث تجلت هذه الازمة في تضخم بالغ الارتفاع وانتشار البطالة وأتساع دائرة الفقر. ١١١٥- ارتفاع معدلات النمو السكاني، تعتبر معدلات نمو السكان في البلدان النامية مرتفعة بصورة عامة، حيث تتراوح بين ٢,٥-٣,٥% سنويا بالمقارنة مع ٠,٥-٠,٧% سنويا في البلدان المتقدمة وتجدر الاشارة الى ان معدلات نمو السكان في بعض البلدان النامية كالصين قد انخفضت الى اقل من ١,٥% سنويا. اما بالنسبة لمعدلات الوفيات، فبالرغم من انها انخفضت بصورة ملحوظة بسبب تحسن الظروف الصحية والسيطرة على الامراض المعدية، بفضل زيادة خدمات الصحة الوقائية في معظم البلدان النامية الا انها مازالت تعتبر مرتفعة بالمقارنة مع البلدان المتقدمة. ١٢١٦- ارتفاع معدلات البطالة تعتبر ظاهرة سوء استغلال الموارد البشرية من أهم اسباب انخفاض مستويات المعيشة في البلدان النامية، وتتجسم هذه الظاهرة بشكلين: الاول... هو استغلال غير كامل لمورد العمل في المناطق الريفية والحضرية على حد سواء، اي ان الافراد لايعملون بكل طاقاتهم خلال فترة العمل اليومي، بالرغم من اشتغال نسبة كبيرة منهم بدوام كامل من الناحية الشكلية، ويطلق على هذه الظاهرة بالبطالة المقنعة، والتي تنتشر بصورة خاصة في المناطق الريفية حيث تنخفض الانتاجية الحدية للعمل الى الصفر تقريبا، ومعنى ذلك اننا لو سحبنا نسبة معينة من قوة العمل بحدود ١٠-٢٠ مثلا من القطاع الزراعي الى القطاعين الصناعي والخدمي، فان الانتاج الزراعي سوف لاينخفض بل يزداد في بعض الحالات، وبالرغم من عدم وجود بيانات دقيقة عن معدلات البطالة في البلدان النامية الا انها تقدر بحدود ١٥-٢٠% من قوة العمل الفاعلة. ١٣١٧- ضعف المشاركة الجماهيرية في عملية اتخاذ القرار، حيث ان اهم العوامل التي اسهمت في بقاء ظاهرة التخلف الاقتصادي للبلدان الفقيرة هي انتقال العادات والقيم المادية السائدة في البلدان الغنية والتي تركز على الفردية وحب الثراء والانماط الاستهلاكية البذخية الى البلدان الفقيرة، وذلك من خلال العديد من القنوات، لاسيما وسائل

105- الحمش، منير- د، مسيرة الاقتصاد العالمي في القرن العشرين في الفكر والنمو والازمات والفوضى، دمشق، الاهالي للطباعة، ٢٠٠١. ص ١٢٤

106- موسوعة المحدث، الاسطوانة اليزر، الاصدار ١٩٩٩م

107- شافعي، محمد زكي، د. التنمية الاقتصادية، الجزء الاول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧

الاعلام المرئية والتجارة الخارجية، بحيث أدت الى تبديد نسبة كبيرة من النقد الاجنبي النادر لاستيراد السلع الاستهلاكية الكمالية^{١٠٨}.

لذا ان تجربة البلدان النامية في الخمسينات والستينات من القرن الماضي أثبتت أن ماتحتاجه هذه البلدان ليس فقط معدلا مرتفعا من النمو الاقتصادي، وانما ايضا تحتاج الى عدالة التوزيع والمساواة، والى الارتفاع بالمستوى الاجتماعي والمعيشي لمجموع السكان وليس لعدد محدود منهم، وبعبارة اخرى ان وضع البلدان النامية الاجتماعي يرتبط بتحسين الوضع الاقتصادي وبالعكس.

اذا من هذا الاستقراء لسماوات الدول النامية نستطيع القول ان امام الدول النامية شوطا ثقيلًا في تحقيق الرفاهية الاجتماعية لبلدانها اذا لم تتجاوز هذه العقبات الالفة الذكر ، والسبيل لتغيير الحالة فيها، كباحث درست الكثير من الخيارات ولكن وجدت الخيار الامثل الذي يمكن ان يقتدى به، هو التحول الكبير الذي حدث في كوريا الجنوبية بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م). لذا اعتمد الباحث كوريا الجنوبية نموذجا لدراسة واقعها الاقتصادي باعتبارها واحدة من الدول النامية التي سارعت الخطة بنموها الاقتصادي والاجتماعي حتى وصلت الان الى المرتبة الحادية عشر ضمن تصنيف الدول الصناعية المتقدمة. وهي جديرة بأن تقلد من قبل دول العالم الثالث لاهمية النمو الاقتصادي فيها. ولكن مع ذلك لم تحقق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة. وذلك لعدم اهتمام حكومات هذه البلدان في التطور الاجتماعي ورفاهيته.

نموذج كوريا الجنوبية في التطور الاقتصادي

بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) بدأت الازمة في شبه الجزيرة الكورية، بين الشمال والجنوب، وفي اثناء الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) تدخلت قوات الامم المتحدة والقوات الامريكية للدفاع عن كوريا الجنوبية ومن هجمات كوريا الشمالية المدعومة من قبل الصينيين، ولقد وقعت هدنة في عام ١٩٥٣ ادى الى تقسيم شبه الجزيرة الكورية، وفيما بعد استطاعت كوريا الجنوبية ان تحرز نموًا اقتصاديًا سريعًا حيث ارتفع دخل الفرد الى ٢٠ مرة اكثر من مستوى دخل الفرد في كوريا الشمالية.

108- مصدر سابق (د. عبد الوهاب الامين)

تقع كوريا الجنوبية في شرق القارة الآسيوية، تبلغ مساحتها ٢٩٩,٦١٧ كم مربع، يسكنها ٤٨ مليون نسمة، ومنذ ١٩٥٣ شهدت نهضة اقتصادية حديثة ومهمة، أصبحت تحتل المرتبة الحادي عشر عالميا في الوقت الراهن.^{١٠٩}

اما اهم العوامل المفسرة للنمو الاقتصادي في كوريا الجنوبية فهي:

١- عوامل النمو الصناعي^{١١٠}

أ – العوامل التاريخية... استفادت كوريا الجنوبية من تجارب التنمية الاقتصادية للقوى الاستعمارية التي احتلت أراضيها، اليابان (١٩١٠ - ١٩٤٥) والولايات المتحدة الامريكية (١٩٤٥ – ١٩٤٩)، كما استفادت من الاستثمارات والمساعدات اليابانية والامريكية في إطار مخطط مارشال لسنة ١٩٤٧.

ب – العوامل البشرية والتربوية... شكل العامل البشري احدى دعائم الانطلاقة - الاقتصادية بكوريا الجنوبية .. اذ ان الصناعة استفادت خلال الستينات والسبعينات من تشغيل اليد العاملة بأجور زهيدة ولمدة عمل اسبوعية طويلة (٦٠ ساعة في الاسبوع). وتساعد المنظومة التربوية على تطور كوريا الجنوبية حيث يعتبر التعليم اجباريا ومجانيا في المرحلة الابتدائية. وتلعب المؤسسات الخاصة دورا هاما في التعليم الثانوي، وتتوفر البلاد على عدد كبير من الجامعات والمعاهد العليا لاهتمام الكوريون بالتعليم وهذا شجع الدولة لان تضع رؤية جديدة للتربية والتعليم تستند الى الانترنت والتقنية العالية (الثورة المعلوماتية) وهذا التطور التعليمي الكبير ادى الى ارتفاع نسبة الطلاب الكوريون في الجامعات الى ٨٠% وهي من اعلى المعدلات في العالم، وتنقسم الجامعات الى جامعات وطنية وعامة وخاصة حسب مؤسسها، ومعظم الجامعات في كوريا جامعات خاصة، وتمنح الشهادة بعد انتهاء مدة الدراسة، وتوجد في كوريا الجنوبية اكثر من ٢٥٠ جامعة حاليا، ولئن كوريا الجنوبية دولة صناعية فان توجهات الطلاب الجامعيين تتجه لدراسة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا والهندسة بكل اقسامها، ولذلك فأنها تركز على التعليم الالكتروني لانه خيار المستقبل للدولة، مع العلم ان الدولة تقدم اجهزة الكمبيوتر لكافة الطلاب في المدارس الكورية مجانا منذ عام ١٩٩٦م، وربما هذا هو السبب لنمو التعليم الالكتروني الان، وتؤكد ان التعليم من خلال الانترنت مهم جدا للمجتمع

109 -ويكيبيديا الموسوعة الحرة- ٣-١١-٢٠٠٩

110 -كوريا الجنوبية - وكالة الاستخبارات المركزية - كتاب حقائق العالم

المعلوماتي، وتطبق التربية الكورية الان نظام (يو بي كوتس) للتعليم عبر الانترنت ويتاح التعليم للجميع داخل وخارج كوريا. وبدأ الاهتمام في كوريا الجنوبية بالتعليم مدى الحياة اي بناء مجتمع التعليم المفتوح الكورية بالتعاون مع وسائل الاعلام وغيرها من منظمات المجتمع المدني بوضع اطار لتعليم الكبار والتعليم مدى الحياة كما يلي:

- توسيع قاعدة التعليم الجامعي
- تعليم الكبار والتعليم مدى الحياة
- التعليم الاضافي (التكميلي)
- التدريب اثناء الخدمة
- تعليم الكبار والتعليم مدى الحياة الذي تقوم به المنظمات غير الحكومية، وقد قدمت جامعة كوريا المفتوحة الوطنية للشباب والبالغين العاملين مناهج تعليمية لمدة اربع سنوات وهي خاصة بمجالات التجارة والادارة والزراعة والتعليم والادارة العامة والاقتصاد، وتبث هذه الجامعة برامجها التعليمية لمدة ١٤ ساعة ونصف من خلال الاذاعة وساعة ونصف من خلال قناة (اي بي سي) التلفزيونية، و١٨ ساعة من خلال شبكة الجامعة التعليمية ويحصل من يكمل المواد المقررة في هذه الجامعة على نفس الدرجة التي يحصل عليها الخريجون من الكليات العادية والجامعات.^{١١١}

ج - العوامل التنظيمية والسياسية

مرت السياسة الاقتصادية لكوريا الجنوبية بأربع مراحل:

- خلال الخمسينات من القرن العشرين: مرحلة تشجيع الانتاج الوطني وحمايته من المنافسة الاجنبية، وفرض قيود جمركية على الواردات.
- خلال الستينات : مرحلة تقوية الصادرات.
- خلال السبعينات : مرحلة بناء الصناعات الثقيلة.
- منذ الثمانينات الى وقتنا الراهن : مرحلة تطوير الصناعات العالية التكنولوجيا.

قام نموذج التنمية بكوريا الجنوبية على بعض الاسس منها : الاعتماد في البداية على المساعدات الامريكية وتطبيع العلاقات مع اليابان، والاهتمام بالبحث العلمي والتكنولوجي وتقديم التسهيلات للمستثمرين، واقامة شراكة بين الراسمال الوطني

111 - موقع الدكتور سعود بن عيد العنزي- الموقع الاول المتخصص في خدمة البحوث وجميع المؤتمرات

والراسمال الاجنبي، والاستثمار الخارجي وخاصة في الدول ذات تكاليف الانتاج الضعيفة. وبمقتضى دستور ١٩٨٧م قام النظام الديمقراطي بكوريا الجنوبية الذي اعتمد على الحريات العامة وفصل السلطات واستقلال القضاء، وأتاح الاستقرار السياسي الشروط الضرورية لكل نهضة اقتصادية.^{١١٢}

تتطور الصناعة بفضل وجود مقاولات عملاقة تحتكر أنشطة انتاجية متنوعة ومتكاملة وتخضع لمخططات توجيهية تضعها الدولة، كما تنتشر مؤسسات صناعية متخصصة في انتاج صناعي محدد، فمثلا تختص سامسونغ و LG في الصناعات الالكترونية، بينما تختص نيسان وهونداي في صناعة السيارات.

د - العوامل العلمية - التقنية... يعتبر البحث العلمي أهم مرتكزات تطور الصناعة الكورية، لذلك تنفق عليه الدولة حوالي ٧,١% من الناتج الداخلي . محتلة المرتبة الاولى عالميا، كما تصرف عليه المقاولات المنتجة حوالي ٥٣% متفوقة على المقاولات العالمية. وبفضل هذا الدعم المالي للبحث العلمي تقدمت كوريا الجنوبية الجنوبية ب ٥٩٣٥ طلبا براءة الاختراع للمنظمة العالمية للملكية الفكرية، محتلة المرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة الامريكية في المرتبة الاولى تليها اليابان ثم بعدها المانيا.

٢ - عوامل النمو التجاري: ^{١١٣}

خلال العقد الاخير، تضاعفت قيمة الصادرات والواردات اكثر من مرة، مما جعل كوريا الجنوبية احدى القوى التجارية الرئيسية في العالم (المرتبة ١٢ عالميا). حيث حققت صادرات كوريا الجنوبية من السلع والخدمات ٢٨٤,٤ مليار دولار في عام ٢٠٠٥ بزيادة قدرها ١٢% عن عام ٢٠٠٤ محافظة بذلك على مركزها الثاني عشر في قائمة اكبر الدول المصدرة على مستوى العالم للعام الرابع على التوالي، وأشار مكتب الاحصاء القومي الى ان النمو الاقتصادي زاد بمقدار ٤% لتحتل كوريا الجنوبية المرتبة السابعة في قائمة الدول الاعضاء الاسرع نموا داخل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وقد بلغت واردات كوريا الجنوبية من الدول الاخرى

112 -المصطفى قصابوي - كوريا الجنوبية - نموذج لبلد حديث النمو الاقتصادي
113 - عبد الحكيم الفلالي، د - كوريا الجنوبية نموذج لبلد حديث النمو. www.Madariss.fr

٢٦١,٢ مليار دولار امريكي في عام ٢٠٠٥ لتحل بذلك المرتبة الثالثة عشر من قائمة اكبر الدول المستوردة على مستوى العالم.^{١١٤}

تتشكل الصادرات الكورية في معظمها من المنتجات الصناعية. اما الواردات فتتميز بتنوعها، حيث تشمل منتجات فلاحية ومصادر الطاقة والمعادن وبعض المواد المصنعة.

ان اهم عوامل نمو التجارة الكورية هو وجود الموانئ المهمة المنفتحة على الاسواق العالمية كميناء، آنشون، بوسان، اولسان. بوهانغ (تستقبل وتنطلق منها شبكة كثيفة من السفن التجارية العالمية) كذلك التركيز على تصدير المنتجات الصناعية بنسبة ٩٣% وتبلغ ١٢% سنويا محتلة المرتبة الثاني بعد الصين ١٦% من نصيب العالم النامي المصدر للمنتجات الصناعية.

تمتاز المنتجات الصناعية المصدرة بالجودة وحفاظها على مستوى تكنولوجي جيد والاعتماد على شبكة كثيفة للخدمة بعد البيع، وتنطبق هذه المعايير اساسا على صناعة السيارات (kia, Hyundai). وتشكل عائدات تصديرها موارد مالية مهمة للنتاج المحلي. كذلك اكتساح المنتجات المصنعة وخاصة الالكترونية الدقيقة للاسواق العالمية وحصول شركات على جوائز مشرفة في مجال التصميم الصناعي، فشرية سامسونج حصلت على ٥ جوائز متفوقة على كل الشركات الآسيوية والاوربية والامريكية.^{١١٥}

آثار التنمية الاقتصادية على الرفاهية الاجتماعية في كوريا الجنوبية

تعتبر كوريا من بين دول شرق آسيا وهي اكثرها ممارسة للتعديل والتوسع في نظام الرفاه الذي تتبناه الدولة في اعقاب الازمة المالية الآسيوية، ولقد جرت محاولات متعددة لفحص وتقييم تلك المتغيرات وللتنبؤ بالتوجه المستقبلي لنظام الرفاه الاجتماعي الكوري، الا ان تلك التغيرات كانت محدودة ولا ينبغي اعتبارها مؤشرا ذا معنى لتحول فعلي نحو نظام الرفاه الاجتماعي من النسق الغربي. حيث يؤكد الباحثين بان الصفات المشتركة لدولة الرفاه في كوريا هي من النمط التنموي التي لازالت سائدة بالرغم من التغيرات الحديثة التي اعتمدت في هذا البلد، بينما يؤكد

114- www.gn4me.com- العالم اليوم، تاريخ العدد ١٤-١١-٢٠٠٦
115 - كوريا الجنوبية - وكالة الاستخبارات المركزية - كتاب حقائق العالم

البعض الاخر بان تلك التغيرات تشكل تقدما فعليا نحو نمط من الرفاه الاجتماعي مشابه للنظم الغربية، حيث الدول هي المسؤولة عن حماية المواطنين العاجزين عن العناية بانفسهم لاي سبب من الاسباب، فمن الواضح أن الازمة المالية أدت دورا مهما في زيادة الوعي العام بمشاكل الفقر والبطالة وبضرورة اصلاح نظام الرفاه الاجتماعي في كوريا الجنوبية.¹¹⁶

لقد بدأ تطوير نظام الرفاه الاجتماعي في كوريا الجنوبية في مطلع الستينات من القرن الماضي تحت وطأة انظمة تسلطية تتطلع لاستكمال مسيرتها في اقامة اقتصاد صناعي، وبقيت رغم ذلك في حالة تخلف نسبي طيلة مدة ربع القرن اللاحقة، ان اول برامج الضمان الاجتماعي التي تم تطبيقها كان نظام تقاعد الخدمة المدنية عام 1960م، ونظام تقاعد العسكريين لعام 1962م، وتبع ذلك تاسيس نظام تأمين للتعويض عن الحوادث الصناعية عام 1964م، والبدء بنظام المساعدات المعيشية وبمشروع التأمين الصحي التجريبي لعام 1965م، ولم يكن الدافع لتلك المبادرات تأمين الحماية الاجتماعية بل لاغراض الحصول على مقومات الشرعية السياسية، نتيجة لذلك لم يكن التقدم في سياسات الرفاه الاجتماعي منتظما ومستديما، بل كان متقطعا واحيانا مرتجلا بما يعكس العملية غير المنتظمة في بناء الدولة.¹¹⁷

في السنوات السابقة للأزمة الاقتصادية الآسيوية حققت كوريا الجنوبية أداءا اقتصاديا متميزا أهلها لان تحتل المرتبة الحادية عشر عل صعيد العالم من حيث حجم اقتصادها لعام 1986م، فأرتفعت مستويات الدخل والمعيشة بشكل كبير، ولم تعد مشاكل البطالة والفقر من المواضيع التي يعانها المجتمع الكوري، الا ان سياسات الرفاه الاجتماعي بقيت غير سخية مقارنة بدول صناعية اخرى، فشكل معدل الانفاق الاجتماعي في الفترة ما بين 1990-1996م مانسبته 3,57% من اجمالي الناتج المحلي، و16,86% من الانفاق العام، اما الفجوة الهوة في توفير الرفاه الاجتماعي من خلال الشركات، فنجاح كوريا في انشاء اقتصاد يعتمد على السوق قد تم من خلال نتيجة شركات كبيرة ومراعاة حشد العمل التعاوني مما شجع على تطوير منافع اجتماعية تعتمد على الشركات.¹¹⁸

116- طاهر كنعان - ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت 2006

117- مي حناينة - باحثة اردنية - ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية - مركز الدراسات الوحدة العربية - بيروت - 2006

118- مصدر سابق (طاهر كنعان)

واهم هذه المنافع الاجتماعية هي :

١- التأمين الصحي الوطني^{١١٩}.... أدخلت كوريا التأمين الصحي الوطني لأول مرة عام ١٩٧٧ وكان اساسه في البداية الشركات، بحيث يغطي بموسست صناديق مدارة بأستقلالية خاصة بمختلف المجموعات المهنية وجبه موظفوا الشركات التي يعمل فيها ٥٠٠ عامل فأكثر، وقد تم انشاء العديد من منظمات التأمين الصحي المختلفة باختلاف رسوم المساهمة فيها، كما تاسست صناديق مدارة بأستقلالية خاصة بمختلف المجموعات المهنية والمناطق الجغرافية، وفي ما بعد استطاعت كوريا تحقيق التغطية الشاملة من التأمين الصحي في عام ١٩٩٨م حيث شملت بالتغطية اصحاب المهن الحرة والاعمال الفردية من المناطق الحضرية، لقد تم في عهد حكومة (كيم داي - جانغ) في عام ١٩٩٨م اصلاح الرعاية الصحية وتجميع جمعيات التأمين ضمن نظام وطني متكامل، وصندوق موحد تديره وكالة حكومية بالمقارنة مع الماضي، حيث بلغ عدد مؤسسات التأمين الصحي حوالي (٤٢٠) مؤسسة مختلفة.

٢- نظام التقاعد^{١٢٠}.... هناك اربعة انظمة مختلفة للتقاعد في كوريا الجنوبية، حتى الان لم يتم توحيد انظمة القاعد المختلفة وهي كما يلي :

- نظام تقاعد موظفي الدولة
- نظام تقاعد العسكريين
- نظام تقاعد المعلمين والعاملين في المدارس الخاصة
- نظام تقاعد باقي المواطنين

الا ان الغالبية من المواطنين يغطيها نظام التقاعد الوطني وهو النظام الاعم. لذلك وعل الرغم من وجود الانظمة الثلاث الخاصة بالتقاعد المهني، الا انه يمكن تعريف نظام التقاعد الوطني بانه نظام متطامل للتأمين الاجتماعي العام. لقد بدأ نظام التقاعد الوطني بالتغطية الالزامية للشركات التي كانت في عام ١٩٨٨م توظف ميزيد على ٥٠ عاملا، ثم اتسع نطاق تغطيتها بالتدرج الى ان أصبحت تحقق تغطية شاملة في عام ١٩٩٩م، وخلال الازمة المالية توسعت التغطية الالزامية لنظام التقاعد الوطني لتشمل اصحاب المهن الحرة والاعمال الفردية في

119- البوابة الالكترونية لوزارة التعليم العالي - الملحقية الثقافية في كوريا الجنوبية

120- مصدر سابق (البوابة الالكترونية لوزارة التعليم العالي)

المناطق الحضرية الذين شكلوا حوالي تسعة ملايين شخصا من العاملين في الاعمال الصغيرة والعاملين بلا معايير محددة، وعلى الرغم من توسع شمول التغطية، الا ان أكثر من ثلث القوى العاملة في المناطق الحضرية بقي غير مغطى او متهربا من شموله بالنظام.

ان قيمة التقلد وفق نظام التقاعد الوطني تتحدد اعتمادا على عنصرين:
الاول... متوسط دخل الفرد على مدى حياته كمشارك (العنصر المتعلق بما يكسبه الشخص)

الثاني... متوسط دخول جميع المشاركين في نظام التقاعد الوطني (العنصر المتعلق بمعدل واحد).^{١٢١}

لقد حاولت الحكومة الكورية الجنوبية خلال الفترة ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م من عملية الاصلاح اصدار خطة جذرية لنظام التقاعد الوطني يتم بموجبها اقرار (تقاعد اساسي) معتمد على المساهمات بحيث ينخفض مستوى الانتفاع من ٧٠% الى ٤٠%، وعلى الرغم من مساعدة الاقتصاديين ورجال الاعمال لمثل تلك المحاولة، الا انها مثار خلاف ومجادلة وواجهت مقاومة سياسية من قبل مجموعات المجتمع المدني والاتحادات العمالية، وفي النهاية تم تخفيض مستوى الانتفاع من ٧٠% الى ٦٠%.^{١٢٢}

والى جانب النظام الوطني للتأمين الصحي والنظام الوطني للتقاعد، فان لدى كوريا الجنوبية برنامجين آخرين للتأمين الاجتماعي لفائدة العمال المأجورين.
الاول... هو التأمين التعويضي ضد حوادث العمل الذي اسس عام ١٩٦٤ م.
الثاني... هو التأمين ضد البطالة او فقدان فرص العمل الذي بدأ به عام ١٩٩٥ م، ويوفر هذان النظامان تأمينات اجتماعية قائمة على مساهمة المنتفعين.^{١٢٣}

٣- نظام المعونات الاجتماعية^{١٢٤}

في عام ١٩٩٩ م جرى اصلاح نظام المعونات الاجتماعية في كوريا الجنوبية الذي كان فيما سبق مجرد برنامج ضعيف للاغاثة الاجتماعية، فأقيم بدلا منه برنامج عصري للمعونة الاجتماعية العامة، ومن اللافت ان المحرك الرئيس في تطوير هذا

121- مصدر سابق - (موقع الدكتور سعود بن عيد العنزي)

122- مصدر سابق (طاهر كنعان)

123- نفس المصدر (طاهر كنعان)

124- مصدر سابق - (مي حناينة)

البرنامج كان المجتمع المدني الى جانب التغير الذي أصاب البيئة الاقتصادية والسياسية في أعقاب الازمة المالية، وأدى المجتمع المدني الدور القيادي في تشريع القانون الوطني لتأمين المعيشة الاساسية، مايعكس التقدم الكبير الذي حققته المؤسسات غير الحكومية في المجتمع الكوري.

يوفر القانون الوطني لتأمين المعيشة الاساسية برنامجا يؤمن للفقراء المساعدات الطبية والتعليمية والاسكان ومصاريف المعيشة، ويجسد عددا من مبادئ الحماية المختلفة بصورة جذرية عن مبادئ الرفاه الاجتماعي التي سادت في الماضي.

اولا... أوضح هذا البرنامج ان التمتع بمتوسط الحد الأدنى من مستويات المعيشة هو حق مدني أساسي ويلقي على الحكومة مسؤولية ضمان الحد الأدنى من مستوى المعيشة حتى لأولئك الذين ليس لديهم الوسائل للحصول على هذا المستوى.

ثانيا... افترض النظام القديم ان الافراد ما بين سن ١٨ - ٦٠ قادرون على العمل وبالتالي فنهم غير مؤهلين للاستفادة من المعونات الاجتماعية على الرغم من دخولهم المتدنية جدا، لكن البرنامج الجديد ضمن حدا أدنى من مستويات المعيشة ليس فقط للعاجزين عن الكسب بحكم عجزهم عن الحصول على وظيفة أو فرصة عمل، بل ايضا للأشخاص الذين يعيشون ظروف عوز حتى لو كانوا قادرين على العمل، وبذلك شملت المعونة الاجتماعية حتى هؤلاء.

ثالثا... وفر البرنامج فرص التدريب المهني والوظيفي والقروض الصغيرة لتمكين المنتفعين من الحصول على فرص العمل او تأسيس اعمال صغيرة تساعد في الاعالة الذاتية للمنتفعين القادرين على العمل.

رابعا... تم تأسيس لجنة حكومية رسمية لتحديد الحد الأدنى لتكاليف المعيشة وذلك على النقيض من النظام القديم السابق حين لم يكن هناك قياس رسمي لخط الفقر ولم توجد مؤسسة رسمية لتحديد الحد الأدنى من تكاليف المعيشة.

حيث ركزت الحكومة على الرعاية الاجتماعية الخاصة بالمرحومين وذوي الحاجة مع محاولة احكام ضبط شبكة الرعاية الاجتماعية لضمان حصول الاشخاص الاكثر احتياجا للمساعدات فإنه مازال يوجد هناك مزيد من الاشخاص الذين هم في حاجة ملحة للرعاية الاجتماعية وتوضيح هوية الاشخاص الذين لاتشملهم مظلة الرعاية الاجتماعية، فقدرت الحكومة ان هناك مايقارب ٢٤٠٠٠ شخص يعيشون خارج نظام الرعاية الاجتماعية، حيث ان الاشخاص الاكثر حاجة لفوائد الرعاية

الاجتماعية هم اولئك اللذين يفتقرون الى الحد الادنى للعيش بكرامة وبالتالي يترنحون على شفا كارثة، ان الحكومة فتحت شبكة ادارة الرعاية الاجتماعية المتكاملة عبر الانترنت لتقديم فوائد الرعاية الاجتماعية الى الاشخاص الاكثر حاجة بضوابط، والسماح الى كل الاشخاص في البلاد بالتمتع بفوائد الرعاية الاجتماعية من حيث الرؤية المثالية، لكن يجب ان يتم وضع الاولوية للمحتاجين والمحرومين.^{١٢٥}

المبحث الثاني : الواقع الاقتصادي للدول العربية

دفع العرب ثمنا باهضا نتيجة التغيرات والتحولات السياسية والاقتصادية التي حدثت في العالم، والتي من اهمها العولمة وتداعياتها على واقع عربي ممزق أصلا يواجه كثيرا من الصراعات والتناقضات الداخلية ومزيذا من التحديات الخارجية، وكما يقول بعض خبراء الاقتصاد، فإنه لاشك في وجود مؤامرة على العالم العربي تستهدف ابقاءه في حالة تخلف اقتصادي، وتآمر مماثل على الثروات العربية لجعلها ضعيفة مفتتة. لذا يرى الباحث أن الاقتصاد العربي أبعد ما يكون في تحقيق الرفاهية لشعوبها.

فقد فشلت التجارب العربية في ايجاد تكامل اقتصادي عربي بالرغم من ان فكر العمل العربي المشترك كان سابقا لمعظم الافكار التي قادت التجارب العالمية للتكامل الاقتصادي، فعلى الرغم من اقرار جامعة الدول العربية لاتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دولها الاعضاء في عام ١٩٥٧م ودخول الاتفاقية حيز التنفيذ عام ١٩٦٤م وقيام مجلس الوحدة الاقتصادية العربية وأقامة السوق العربية المشتركة وتحقيق تلك السوق للكثير من النجاحات في مجال تعزيز التبادل التجاري في الستينات وبداية السبعينات، الا ان هذه التجارب تعرضت لنكسات وسلبات عديدة ادت الى تعطيل مؤسسات العمل العربي المشترك وتدهور معدلات التجارة وتراجع عملية التكامل الاقتصادي العربي.^{١٢٦}

وقد ثبت ان هناك خلا هيكليا في انظمة الاقتصاد العربي أدى الى تراجع حصة الفرد من الناتج المحلي الاجمالي، وزيادة معدلات البطالة بأشكالها المختلفة، وتفشي

125- يونهاب - كوريا الجنوبية- ستركز على الرعاية الاجتماعية الخاصة- سيؤول - ٢٠١١

126- ليني وجدي الطحلاوي - مقالات - مجلة عالم الاقتصاد - ١ - ٨ - ٢٠٠٢

الامية بين مايزيد عن ٤٠% من سكان العالم العربي، فكل من البطالة والامية يهدر طاقة هائلة من سكان هذه الامة، الى جانب تفاقم مشكلة المديونية الخارجية الى حد انقل كاهل اقتصادات معظم الاقطار العربية، بأستثناءات محدودة جدا، كما ادى الى تطبيق برامج اصلاح هيكلية في عدة دول عربية في عقدي الثمانينات والتسعينات في مصر والمغرب وتونس والاردن على سبيل المثال، وليس من المتوقع أن يزيد معدل النمو في الناتج المحلي الاجمالي للعالم العربي عن ٦,٣% في المتوسط سنويا، وتحسن في نصيب الفرد بمعدل ٣,١% سنويا، و١,١% من معدل الاستهلاك سنويا.^{١٢٧}

ولغرض الايفاء بدراسة واقع الاقتصاد العربي، يجب التطرق الى اهم مفاصل القطاعات الاقتصادية المهمة في الوطن العربي:

١ - واقع القطاع الزراعي العربي...

تبلغ مساحة الرقعة الجغرافية للوطن العربي حوالي ١٤٠٢,٤٥ مليون هكتار وتبلغ مساحة الاراضي القابلة للزراعة ١٩٨,٢٠ مليون هكتار وفي عام ١٩٩٦م بلغت مساحة الاراضي المزروعة ٦٩,٢٤ مليون هكتار، وتبلغ مساحة الاراضي الحراجية (الغابات) ٧٤,٣١ مليون هكتار، وهي تشكل أقل من ٥% من الرقعة الجغرافية للوطن العربي. أما بالنسبة للمراعي فتبلغ مساحتها ٥٠٢,٦٩ مليون هكتار. وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية المرورية ١١,١٣ مليون هكتار.^{١٢٨}

لقد بلغ متوسط الفرد من القوى العاملة الزراعية من الناتج المحلي الزراعي على مستوى الوطن العربي في عام ١٩٨٠م نحو ١١١٦ دولار. وبدرجة متفاوتة من قطر عربي لآخر، كما بلغ متوسط الناتج المحلي الزراعي من الاراضي المزروعة في عام ١٩٨٠م على مستوى الوطن العربي حوالي ٥٢٧ دولار للهكتار الواحد، وفي عام ١٩٩٥م بلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي ٢١٦٧,٤٧ دولار، كما بلغ متوسط الفرد من الناتج الزراعي ٢٨٤,٠٤ دولار.^{١٢٩}

127 - فليح حسن خلف - اقتصاديات الوطن العربي - مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - ٢٠٠٤

128 - المنظمة العربية للتنمية الزراعية، قطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسكنية في الوطن العربي عام ٢٠٠٠

129 - من التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠٠

يمثل سكان الريف في الوطن العربي حوالي ٤٨% من مجموع السكان، تعتمد الغالبية العظمى منهم في نشاطها الاقتصادي على الزراعة. وكانت نسبة العمالة الزراعية في عام ١٩٩٥م حوالي ٣٦% من إجمالي القوى العاملة ويلاحظ تراجع هذه النسبة بسبب تزايد الهجرة من الريف الى المدينة الناجمة عن ضعف الخدمات الاساسية في الريف وتدني عوائد القطاع الزراعي بالمقارنة مع القطاعات الاقتصادية الاخرى.

تفاوتت نسبة العاملين في القطاع الزراعي الى إجمالي القوى العاملة من دولة الى اخرى، حيث ترتفع هذه النسبة في كل من الصومال وموريتانيا لتصل الى أكثر من ٥٣% من إجمالي القوى العاملة، وفي بلدان اخرى كالسودان واليمن يمثل العاملون في الزراعة أكثر من نصف عدد القوى العاملة فيها، وفي مصر ٣٠% وفي السعودية ١٥% وفي المغرب ٤٠% وفي العراق ٢٦% وتتنخفض هذه النسبة في الاردن لتصل الى ١٥% ولا تتجاوز تلك النسبة ٧% في الدول العربية ذات الموارد الزراعية المحدودة مثل الكويت والبحرين والامارات وقطر.

ويمكن قياس أوضاع التنمية الزراعية في الوطن العربي من خلال المؤشرات التالية:

١- متوسط قيمة انتاج العامل في القطاع الزراعي ويتم تحديد متوسط قيمة انتاج العامل في القطاع الزراعي بالأستناد على عدد من العوامل أهمها :

- سياسات تدريب العمالة والتركيب العمري للقوى العاملة.
- مدى توفر عناصر الانتاج.
- طبيعة علاقات الانتاج.
- الاسعار الزراعية المحلية والعالمية.
- علاقة قطاع الزراعة بقطاعات الاقتصاد الوطني الاخرى.

٢- معدل نمو الانتاج الزراعي..... لقد تناقضت الاهمية النسبية للقطاع الزراعي في الناتج المحلي الاجمالي للاقتصاد القومي على مستوى الوطن العربي، ويرجع ذلك الى ان معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي الزراعي كان أقل من معدل نمو الناتج المحلي الاجمالي في القطاعات الاقتصادية الاخرى، ووصل معدل نمو الناتج

الزراعي خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٠ أعلى مستوى له في ليبيا ١١,١% تليها سوريا ٨,٣% ثم الكويت ٧,٤% وأقل من ٥% في الدول الاخرى، واستمر هذا الاتجاه خلال حقبة الثمانينات والتسعينات من القرن السابق ولكن بنسب أقل. وكانت مساهمة الزراعة في الناتج المحلي الاجمالي لمجموع الدول العربية في الاعوام ١٩٩٠، ١٢,٢٠%، وفي عام ١٩٩٨، ١٣,٨٣%. وفي عام ١٩٩٩، ١٢,٧٦%، وفي عام ٢٠٠٠، ١١,٣٢%.

٣- الميزان التجاري للسلع الزراعية..... وصلت قيمة الواردات الزراعية العربية في عام ١٩٨١ حوالي ٢١,٢ مليار دولار وقد تزايدت بمعدل سنوي قدره ٢٦% خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٠، في حين بلغت قيمة الصادرات الزراعية في عام ١٩٨١ حوالي ٣,١ مليار دولار. وتجدر الاشارة الى ان نسبة قيمة الصادرات الزراعية الى قيمة الواردات الكلية قد بلغت حوالي ٥% في عام ١٩٧٩ ثم انخفضت الى نحو ٢% في عام ١٩٨٠، الامر الذي يشير الى ضآلة مساهمة الصادرات الزراعية في تمويل الواردات الكلية على مستوى جميع الدول العربية. وفي عام ١٩٩٥ وصلت قيمة الواردات الزراعية العربية الى ٢٣,١١٧ مليار دولار.

ويمكننا تحديد اهم عوامل وأسباب تدني الانتاج الزراعي والانتاجية في الوطن العربي وفقا لما يلي :

- ١- الاعتماد في معظم البلاد العربية على الزراعة المطرية، والتعرض لقسوة الظروف المناخية وتقلباتها وهذه مشكلة عامة لجميع البلاد العربية
- ٢- محدودية المياه المستخدمة للري، خاصة في الاردن وفلسطين وتونس والجزائر وسوريا واليمن وجيبوتي والامارات والبحرين والسعودية وقطر والكويت.
- ٣- ازدياد ملوحة التربة والمياه الجوفية بسبب الاستنزاف الجائر للموارد المائية، وبالاخص في البحرين وعمان وفلسطين وموريتانيا.
- ٤- تدهور خصوبة التربة بسبب الزراعة والرعي الجائر، وهذه مشكلة عامة في جميع البلاد العربية، وموجودة في مصر في الاراضي الزراعية القديمة.

130- مصدر سابق (المنظمة العربية للتنمية الزراعية)

131- منظمة الزراعة والاغذية للامم المتحدة، بيانات الحاسب الالى ٢٠٠١

- ٥- استمرار وجود الضرائب المباشرة على الزراعة في بعض البلاد العربية، وكذلك الضرائب غير المباشرة الناجمة عن التأخر في تحرير أسعار العملات في بعض الحالات ايضا، ومن الامثلة على الضرائب المباشرة ضرائب العبور التي لاتزال تفرض في السودان على السلع الغذائية بالرغم من قرار الغائها.
- ٦- تخفيض الدعم المقدم الى المزارعين بسبب السياسات غير المدروسة.
- ٧- استمرار وجود الاسعار غير المجزية لبعض المنتجات الزراعية، مما ينعكس سلبا على قرارات المنتجين.
- ٨- ارتفاع تكاليف مستلزمات الانتاج، وبالاخص في مصر والاردن واليمن ولبنان.
- ٩- انخفاض مستوى المكننة الزراعية في جميع البلاد العربية لافتقارها للتكنولوجيا الحديثة.
- ١٠- عدم توفر التقاوي والبذور المحسنة والمبيدات بالشكل الكافي، كما هو الحال في السودان والعراق وليبيا وموريتانيا والصومال واليمن.
- ١١- استمرار وجود الآفات الزراعية والامراض الحيوانية، كما في السودان وموريتانيا والصومال، وعدم اعتماد برامج وقائية للحماية منها في بعض المواسم في باقي البلاد العربية.
- ١٢- نقص توفر الاغلاف الحيوانية والمركزات منها، خاصة في المغرب والسودان والعراق واليمن.
- ١٣- واخيرا استمرار الضعف في البنيات الخدمية والتسويقية للنشاط الزراعي.

٢ - واقع القطاع الصناعي العربي

بدأت الصناعة العربية في مستهل القرن التاسع عشر على درجة كبيرة من التأخر، فقد اقتصرت على تزويد السكان بالضروريات الاولية من الغذاء والكساء والادوات المنزلية ولم تكن هناك صناعات تحويلية تتطلب استخدام عدد او آلات معقدة الصنع، أو قوى محركية، سوى القوة العضلية والمواشي، وظل هذا الحال حتى ظهر (محمد علي باشا) على ولاية مصر، وبدأ تنشيط الصناعة لغرض حربي، غير ان تلك

الصناعات ما لبثت ان زالت بزوال نفوذ محمد علي ووقوعته داخل حدوده الاولى مرة ثانية بفعل القوى الاجنبية خاصة انجلترا، وفرنسا في ذلك الوقت.^{١٣٢}

للتعرف على واقع القطاع الصناعي العربي يتطلب دراسة الاثار المترتبة على هذا الواقع من جراء المتغيرات الدولية المعاصرة ليتسنى لنا التعرف على الاثار فيما بعد بصورة موضوعية. لذا سوف يتم التطرق الى دراسة القطاع الصناعي من حيث مساهمة هذا القطاع في الناتج المحلي، وهيكلية الصناعة التحويلية العربية، وصادرات السلع الصناعي العربية وواراداتها، والى ضعف القاعدة التكنولوجية للقطاع الصناعي العربي.

١- مساهمة قطاع الصناعة في الناتج المحلي الاجمالي...

تشير البيانات المتوفرة الى انخفاض طفيف في القيمة المضافة للصناعة التحويلية العربية سنة ٢٠٠١ وذلك بنسبة بلغت ٠,٥% مقارنة بالسنة السابقة التي حققت ارتفاعا في القيمة المضافة لتصل الى اكثر من ٧٩ مليار دولار. لقد ازدادت القيمة المضافة للصناعة التحويلية العربية خلال المدة ١٩٨٥ - ٢٠٠١، الجدول رقم ١. الامر الذي نجم عنه ارتفاع نصيب الفرد من الصناعة خلال المدة ذاتها الا انه انخفض في عام ٢٠٠١ نتيجة لانخفاض القيمة المضافة. على الرغم من انخفاض القيمة المضافة، ارتفعت نسبة مساهمة الصناعة التحويلية العربية في الناتج الاجمالي لتصل الى ١١,١% سنة ٢٠٠١. ومن الملاحظ ان مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الاجمالي خلال المدة ١٩٩٠ - ٢٠٠١ شبه ثابتة وتراوح ما بين ١٠,٣% و ١١,١%.

ان ارتفاع مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الاجمالي رغم انخفاض قيمتها المضافة، تدل على تأثر هذه الصناعة والناتج المحلي ككل سلبا او ايجابا بالتطورات في القيمة المضافة للصناعة الاستخراجية. تتباين نسبة مساهمة الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الاجمالي على مستوى الاقطار العربية فتتراوح ما بين ٢,٣% في جيبوتي و ١٨,٦% في مصر وتتجاوز نسبتها ١٠% في كل من الاردن

132- مقلد، محمد سالم، د. جغرافية الوطن العربي - الانتاج الصناعي في الوطن العربي - جامعة طنطا - ٢٠٠٠

والامارات والبحرين وتونس والسعودية والمغرب وهي اقل من ذلك في باقي الاقطار العربية.^{١٣٣}

جدول رقم (١) القيمة المضافة للصناعة التحويلية العربية ومساهمتها بالنتائج المحلي الاجمالي خلال المدة ١٩٨٥ - ٢٠٠١

السنة	القيمة المضافة مليار دولار	نصيب الفرد من الصناعة دولار	المساهمة في الناتج المحلي %
1985	34,5	181	9,2
1990	48,1	230	10,3
1995	57,5	225	10,9
2000	79,1	289	10,8
2001	78,7	284	11,1

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة ١٩٩٨ ص٤٣، وسنة ٢٠٠٢ ص ٥٤ ابو ظبي

٢- هيكلية الصناعة العربية....

تشتمل الصناعة العربية على عدد من الصناعات منها الغذائية والمنسوجات والملابس الجلدية ومنها المعتمدة على النفط والغاز، والصناعات الهيدروكربونية (كالصناعات التكريرية للنفط وصناعة البتروكيماويات) اضافة الى الصناعات الكيماوية الاخرى غير الهيدروكربونية. تساهم الصناعات الغذائية بنسبة ١٣%

133- صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة ٢٠٠٢، ابو ظبي ٢٠٠٢، ص٥٣

للقيمة المضافة للصناعات التحويلية لعموم البلدان العربية وذلك سنة ٢٠٠١، وهي اقل من مساهمتها في العام السابق والتي بلغت حينها ١٧%. اما على مستوى الارقام المطلقة فقد ارتفعت القيمة المضافة لهذه الصناعة من ٧,٦ مليار دولار عام ٢٠٠٠ الى حوالي ١٠ مليار دولار عام ٢٠٠١. واختلفت نسبة مساهمة هذه الصناعة في القيمة المضافة لعموم الصناعة التحويلية على مستوى الاقطار العربية حيث تراوحت ما بين ٤% كما في الكويت و ٤٥% كما في موريتانيا، وتجاوزت نسبة المساهمة عن ٢٠% في كل من عمان، المغرب، لبنان، سورية، وتجاوزت ال ١٠% في كل من السعودية، الجزائر، الاردن، تونس، مصر. وكانت مساهمة هذه الصناعة في القيمة المضافة للصناعة التحويلية اقل من ١٠% في بقية الاقطار.^{١٣٤}

٣- صادرات السلع الصناعية العربية وواراداتها...

يشير الهيكل السلعي للتجارة الخارجية العربية استمرار الفجوة ما بين الصادرات والواردات الصناعية العربية على الرغم من التحسن المتواضع في انخفاض نسبة الصادرات من المواد الخام والوقود المعدني من ٧٢,٤% في عام ١٩٩٧ الى ٧٠,٦% من اجمالي الصادرات العربية لسنة ٢٠٠١. وعلى الرغم من هذا التحسن الا ان العجز مازال شاسعا بين الصادرات والواردات الصناعية العربية. فقد بلغت نسبة الصادرات الى الواردات ١٧,٧%، ٣٤,٧%، ٣٧%، ٣٠,٨%، ٣٣,٣%، وذلك للاعوام ١٩٩٠، ١٩٩٥، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، اي ان نسبة تغطية الواردات آفي الانخفاض وذلك من خلال مقارنة السنوات ٢٠٠٠، ٢٠٠١ بعام ١٩٩٥. ويشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠١ الى عدم حدوث تغير بالنسبة للشركاء الرئيسيين في التجارة العربية عام ٢٠٠٠ فالنسبة للصادرات الى الاتحاد الاوربي زادت حصتها لتبلغ ٢٧,٩% وحافظت الصادرات العربية اتجاه اليابان على حصتها في اجمالي الصادرات العربية الاجمالية بنسبة ١٨,٦% للعام نفسه، والاتفتت حصة الصادرات العربية الى الولايات المتحدة بدرجة طفيفة لتبلغ ١٠,٧%. اما بالنسبة لاتجاهات الواردات العربية فقد ارتفعت حصة الواردات العربية من الاتحاد الاوربي لتصل الى ٤٢,١% والولايات المتحدة لتصل الى

134- صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة ٢٠٠٢، ص ٢٥٦

١٤,٤% ومن اليابان لتصل الى ٩,٢% ودول جنوب شرق آسيا لتبلغ ٦,٣% وذلك للعام ٢٠٠٠ ايضا.^{١٣٥}

٤- ضعف القاعدة التكنولوجية للقطاع الصناعي...

هناك دراسات توصلت الى أن التكنولوجيا لم تبرز خلال العقود الاخيرة من التنمية العربية كعنصر انتاجي او مساعد له. وانما ظهرت كعنصر استهلاكي، وفي ذلك الاثبات القاطع على عدم فعالية النشاطات المبذولة لتشبيد الصرح الصناعي المطلوب لتحقيق الاعتماد التكنولوجي على الذات.^{١٣٦}

يتسم واقع العلم والتكنولوجيا في الاقطار العربية بالمحدودية، اذ يتضح من المؤشرات الاساسية ان سكان الوطن العربي يشكلون اكثر من ٤% من اجمالي سكان المعمورة تحتل المرتبة الاخيرة بين المجموعات السكانية في العالم في عدد من المؤشرات مثل الانفاق على البحث العلمي وعدد براءات الاختراع وحقوق التصنيع، ولم تتمكن الاقطار العربية خلال العقد الاخير من القرن الماضي من تنفيذ استراتيجيتها لزيادة حجم الانفاق على البحث والتطوير بصورة تدريجية لتصل الى ٠,٥% من الناتج المحلي كحد ادنى، و٢% كهدف منشود لعام ١٩٩٩، وذلك لاسباب عدة منها انخفاض نسبة النمو الاقتصادي وضعف دور القطاع الخاص في الاقتصاد العربي عامة، واستمرار التوجه نحو شراء المعرفة والتقانة من الخارج في المشاريع الصناعية الكبيرة.^{١٣٧}

مما تقدم يتضح تدني مساهمة القطاع الصناعي العربي في الناتج المحلي الاجمالي وانخفاض انتاجية العامل العربي ولازالت الصناعة العربية متواضعة من حيث تلبيتها للاحتياجات العربية، كذلك ضعف القاعدة التكنولوجية للصناعة العربية من خلال ضعف حجم الاستثمارات واعتمادها على التمويل الخارجي وانخفاض الانفاق على البحث والتطوير وانحسار المؤسسات الهندسية وضعف برامج التعليم والتدريب.

135- التقرير الاقتصادي العربي لسنة ٢٠٠١، ص ١٧١-١٧٢
- نوزاد الهيتي، فعالية نقل التكنولوجيا في التنمية العربية، مجلة التنمية الصناعية العربية، المنظمة العربية للصناعة والتعدين المغرب العدد ٣٨، ٢٠٠٠، 136

137- التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة ٢٠٠٢، ص ٧٣

واقع القطاع النفطي العربي.. نشأت صناعة النفط العربية في منطقة غير متطورة صناعيا، وفي بلاد لم تتشكل فيها العلاقات الصناعية بعد، لذا كان باستطاعة قطاع النفط توفير الموارد المالية فقط، وهي موارد تتيح رفع حجم الاستثمارات بشكل نسبي ومطلق معا، وتتجه هذه الموارد الى الخزانة العامة اساسا مما يتيح للقطاع العام توظيف استثمارات ضخمة يجب توظيفها اساسا في بناء القاعدة المادية للصناعة العربية، وتتيح موارد النفط ايضا رفع قيمة الاستهلاك العام، اي ابواب الموازنة العادية التي ينالها نصيب من الاموال النفطية. وبعض هذه الابواب ذو أثر انمائي كإنفاق وزارة التربية، والوزارات ذات الصلة بالاقتصاد كالزراعة والصناعة والمواصلات.

ان هذا الوجه الاول لعلاقة النفط بالتنمية يشكل للوهلة الاولى دليلا قاطعا على اسهام النفط اسهاما كبيرا في التنمية الاقتصادية، ان دوره في التنمية الاقتصادية قد تعدى الحدود القطرية ليشمل الاطار القومي، وتستطيع الموارد النفطية دفع عجلة التنمية الى الامام في البلدان العربية غير النفطية بواسطة القروض والمشاريع المشتركة والذي بدأ منذ ارتفاع اسعار النفط عام ١٩٧٣، كذلك الحصول على الربح الخارجي عن طريق الايدي العاملة للبلدان غير النفطية والتي هاجرت للعمل في البلدان العربية المنتجة للنفط وكذلك من خلال القروض التي تمنحها صناديق التنمية في الامارات العربية المتحدة والكويت والمملكة العربية السعودية وغيرها.

وقد شهدت دول الخليج العربية تغيرات اقتصادية واجتماعية مهمة خلال عصر النفط كان من تأثيراتها الايجابية ارتفاع مستوى المعيشة، وانتشار التعليم وتحسن المستوى الصحي وزيادة الاتصال بالخارج، والاحتكاك بثقافات مختلفة والتمتع بمنتجات العالم وانجازاته التكنولوجية، وقد نقلت هذه التغيرات اقطار الخليج العربي من حال العسر الى حال اليسر، فقد تدفقت منذ عام ١٩٧٣ الى دول الخليج العربية ثروة مالية غير مسبوقه بدلت كل مجالات الحياة فيها، وقد كان تأثير تلك التغيرات الايجابي تأثيرا كبيرا جدا، وان كان معظمه ينصب على الاستهلاك بسبب توزيع ريع النفط ونمط تخصيصه.

تعتبر الدول النفطية العربية النموذج الاهم لدول الربيع، فالصادرات النفطية تشكل اكثر من ٩٠% من واردات الموازنات واكثر من ٩٥% من واردات التصدير.^{١٣٨} ونسبة اليد العاملة في القطاع النفطي ضئيلة جدا لاتتعدى اثنين او ثلاثة في المئة سواء كانت في انتاج الثروة النفطية او في توزيعها. وتشكل هذه الثروة المنتجة مابين ٦٠ و ٨٠% من الناتج القومي لتلك الدول^{١٣٩}. ان الاعتماد الشديد على عائدات النفط يفق تلك الدول (المرونة اللازمة لمواجهة الاوضاع الاقتصادية والتكيف معها)^{١٤٠}. ان السمة الاساسية لهذه الدول هي توزيع الربيع وفقا الى معايير سياسية اجتماعية محددة، ولا سيما طبيعة الانظمة المعمول بها. فالمنتفعون من التوزيع هم رعايا الدولة من دون سواهم، اما المقيمون فيها كعاملين في مختلف القطاعات الاقتصادية ومن جنسيات مختلفة، فلا حق لهم في الربيع الا في الاجور التي يتقاضونها، فعلى سبيل المثال، اليد العاملة الآسيوية في مختلف دول الجزيرة العربية حقها في الخدمات الاجتماعية هو أقل من حقوق رعايا الدول، وان اليد العاملة الاجنبية سواء كانت آسيوية او عربية او غربية، هي اكثر عددا من مواطني الدول التي يقطنونها وهذا قد ينذر بمشاكل سياسية واجتماعية في مستقبل قد لا يكون بعيدا، فدول اليد العاملة الآسيوية كاليهند وباكستان، قد تطالب في مستقبل قريب بتحسين الاوضاع الاجتماعية لرعاياها العاملين في دول الجزيرة العربية، تمهيدا لربما لتكريس حقوق سياسية فيها تؤثر في سياسات تلك الدول، بل قد تضطر الى دعوة دول رعاية اليد العاملة الى المشاركة في توزيع الربيع.^{١٤١} وهناك مستوى اخر من الربيع في تلك الدول الا وهو الربيع الناتج داخليا عن الامتيازات الممنوحة للمقربين (واذا ابتعدنا عن علاقة الثروة الخاصة بالخدمة العامة، فان القطاع الخاص بمؤسساته الكبيرة وبخاصة العائلية منها كونت ثرواتها من قيم وقوانين الدولة الربعية التي ساعدت على خلق ظروف تسمح لهذه المؤسسات باكتساب انواع متعددة من الربيع)^{١٤٢}.

هذه الصفحات التي سردتها حول الاقتصاد العالمي وتطوره لها علاقة وثيقة بالرفاهية الاقتصادية والاجتماعية.. وأراها من منظور اقتصادي وتطور نشاطه

¹³⁸ - Beblawi.- The Rentier State in the Arab World – p. 89.

¹³⁹ - (المصدر نفسه)

¹⁴⁰ - الامم المتحدة ، مسح للتطورات الاقتصادية في منطقة الاسكوا: ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (نيويورك: الامم المتحدة، ٢٠٠٤) ص ٢٨
¹⁴¹ - زياد حافظ - دولة الرفاهية الاجتماعية - اوضاع الاقطار النفطية وغير النفطية- مركز دراسات الوحدة العربية. ٢٠٠٥ - ص ٤٣٣
¹⁴² - جناحي، العقلية الربعية وتعارضها مع مقومات الدولة الديمقراطية- ص ٥٧

العالمي ضرورة لترحها في هذه الاطروحة..، وإرتأى بعض الاساتذة الكرام
ضرورة طرح هذا الموضوع لأهميته وعلاقته بتطور الرفاهية، لذا سردت ذلك في
الصفحات التي ذكرتها.

الباب الثاني

الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية

مفهوما وتاريخا

الفصل الاول: مفهوم الرفاه الاقتصادي والاجتماعي

الفصل الثاني: تاريخ نشوء وتطور دولة الرفاه

الفصل الثالث: نماذج دولة الرفاه

الباب الثاني

الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية

ان السؤال الذي يتمحور حول دولة الرفاه هو.. هل أن لهذه الدولة نشوء تاريخي وتطور زمني؟، في المحاور التالية الاجابة على تلك التساؤل:

١- عندما نتحدث عن تاريخ وتطور دولة الرفاه، لابد لنا أن نأخذ ذلك من زمن نشوء دويلات المدن أو الامبراطوريات قبل الميلاد، وهل فكرت تلك الدول في تحقيق الرفاهية لشعوبها؟، فقد شهدت العصور قبل الميلاد تطاحنات وصراعات على الارض والثروة، بين دويلات المدن والامبراطوريات، بدءاً بأول امبراطورية شهدتها الانسانية، الا وهي الامبراطورية الأكدية- سرجون الاكدي- فهل كانت نظرة الحكام آنذاك أن تحقيق الرفاهية يتأتى من ضم الاراضي والاستحواذ على الثروات لاشباع الحاجات الفردية والمجتمع؟ إذا كانت الحروب هي جوهر وفحوى الرفاهية، فالفوز في الحروب ولو لمدة معينة كان يعني جلب الرفاهية للمجتمع المتحكم آنذاك، لذا نرى بوضوح سيطرة الحروب بين المجتمعات وقبلها بين الافراد، ولم يكن للاقتصاد أي دور في تحقيق رفاهية الدولة، لانه كان اقتصادا بطيئاً، ولكن هذا النوع من رفاهية الدولة هي أنانية وسلبية، لذا لم تحقق الرفاهية لشعوب تلك الفترة.

٢- وبحلول نهاية القرن التاسع عشر لم يعد واضعوا النظريات الاقتصادية من ذوي الاتجاه السائد ينظرون الى حقلهم هذا في المعرفة على انه متعلق بالثروة المادية، فهم بدلا من ذلك قاموا بتركيز اهتمامهم على الحس الذاتي وغير الموضوعي بالرفاه حيث تامل المخلوقات البشرية ان تستخرجه وتتوصل اليه من ثرواتها وأنشطتها الاقتصادية، وهو الامر الذي ادى بهم (وخصوصا في انكلترا) الى النظر الى علم الاقتصاد وكأنه يتعلق بشكل اساسي بالرفاه، ثم قاموا في وقت قريب جدا بالحديث عن علم اقتصاد الرفاه (وهو العنوان الجديد لكتاب ايه سي بيجو الصادر في العام ١٩٠٢ والذي كان هو نفس كتاب الطبعة الثانية الصادر في العام ١٩١٢ المعنون بالثروة والرفاه) وللنظر الى علم الاقتصاد باعتباره علم قادر على ترويج الرخاء الاقتصادي قد بدا وكأنه مجرد خطوة صغيرة غير ضارة، فقد تم في الغالب بالنسبة لكثير من سنوات النصف الاول من القرن العشرين التسليم بصحة القول على ان

عالم الاقتصاد هو ذلك العالم الخبير الذي يقوم بصياغة سياسات يتم تنفيذها بغرض ترويج رفاه اقتصادي كلي غير فردي. وقد بدا بكل وضوح على ان لدى علماء الاقتصاد واجب مهني الا وهو الدفاع عن السياسات التي تعمل حسب اعتقادهم على تعزيز الرفاهية من الناحية العلمية.^{١٤٣}

وتعتبر هذه الفترة هي الفترة التي شرع بها علماء الاقتصاد بالبدء في ايجاد فرص وفيرة للتوظيف في الحكومة، وبما ان المد الذي اصاب الرأي العام قد تحول بشكل حاسم (خلال الربع الثاني من القرن) الى جانب التدخل الحكومي الشامل في اقتصاد السوق، نظر علماء الاقتصاد بشكل متزايد الى حقلهم هذا في المعرفة وكأنه قادر على استحداث وخلق سياسات محددة جدا خاصة بحكومات يتم تنويرها بحيث تقوم باتباع هذه السياسات، وقام علماء الاقتصاد بوضع علمهم (خصوصا بفرع علم اقتصاد الرفاه) في خدمة الاحزاب السياسية. وقد تبين بأن اي برنامج سياسي واية فرضية خاصة بتشريع اقتصادي بإمكانهما ان يجدا علماء اقتصاد لديهم الاستعداد بأن يعطوا حجة علمية تعمل على دعمهما.

٣- أن عقد التسعينيات من القرن العشرين، ومطلع الألفية الثالثة، يشكلان عصر ازدهار الرأسمالية، حيث شهد الاقتصاد العالمي ما سمي بالاقتصاد الجديد أو اقتصاد المعلومات، ووجود نظم متطورة في مجال الاتصالات صاحبته حركة غير عادية من الاستحواذات في شركات الإنتاج ومؤسسات الخدمات على السواء، وتسبب ذلك في حركة نشطة غير مسبوقه في أسواق المال، وقد واكب هذه الطفرة من الازدهار للرأسمالية حدث تاريخي مهم، وهو سقوط الاتحاد السوفياتي، وانهايار الاشتراكية. أن الجميع كانوا واثقين بأن خط المسيرة الرأسمالية لن يكون غير المضي قُدماً وحث الخطى نحو مصاف أعلى، ومع أن هذا الاعتقاد ليس إلا ضلالاً أثبتت الأيام زيفه، فإن بني البشر يستسلمون له تماماً، كما استسلموا للاقتصاد الجديد. كما استشهد الكثير بالاعتقاد السائد بازدهار الرأسمالية بمقولة الرئيس الأميركي الأسبق "نحن قادة العالم بلا منازع."^{١٤٤}

وقد ضمنت هذا الباب بثلاثة فصول وكالاتي:

143- جورج نايمهانز، تاريخ النظرية الاقتصادية، الاسهامات الكلاسيكية، ترجمة أ.د، صقر احمد صقر، المكتبة الاكاديمية، ١٩٩٧
144- نفس المصدر

الفصل الاول .. البنية الفكرية لمفهوم دولة الرفاهية

الفصل الثاني .. تاريخ نشوء وتطور دولة الرفاه

الفصل الثالث.. النماذج المعاصرة لدولة الرفاهية

الفصل الاول

البنية الفكرية لمفهوم دولة الرفاهية

مفهوم الرفاهية كفكر وبنيته ضمن أدبيات العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية قد أخذ مفاهيم عديدة.. وهذه المفاهيم تميل الى موضوع تناول الرفاهية فيه، فمثلا العلوم الاقتصادية تتناولها من منظور الانتاج وزيادته مما يسهل زيادة العرض وبالتالي الى انخفاض الاسعار وزيادة درجات الاشباع ايجابا عن طريق الاستهلاك، أما القانون فيتناولها بانها حق من حقوق الانسان في التمتع بالرفاهية واشباع حاجات الانسان المتعددة، اما العلوم الاجتماعية فتتناولها من منطلق حق الفرد في الرفاهية وانه يعمل ويكد كي يحصل على كفايته من اشباع الرغبات، كل هذه المفاهيم تصب في مفهوم موحد الا وهو، الرفاهية حق من حقوق الفرد الاساسية بالتمتع بأشباع حاجاته الانسانية المتعددة. وفي المباحث التالية أحاول شرح تلك المفاهيم وكالاتي:

المبحث الاول : مفهوم الرفاه ودولة الرفاهية

على الرغم من الاستخدام الشائع لمصطلح (دولة الرفاه) سواء في الخطاب السياسي أو الاجتماعي، أو في ادبيات البحث، والتي لا يمكن تمييزها عن الرفاهية بمفهومها العام.. لان الآن وفي العصر الحديث، الدولة هي المسؤولة عن تحقيق الرفاهية لمواطنيها لذا فإن الرفاهية الحالية هي نفسها دولة الرفاه، وفي الحقيقة لا يوجد أي اجماع حول الدلالة الدقيقة لهذا المصطلح، يمكن العثور في الادبيات المختصة على تعريفات عديدة لمصطلح دولة الرفاه، تعكس الميول النظرية أو المبدئية للباحثين أو المميزات الخاصة للحالات التي يدرسونها، يذهب بعض الباحثين الى ان مجرد وجود جهاز خدمات رفاه في دولة معينة يكفي لتعريفها كدولة رفاه، على النقيض من هذا التوجه الذي يكتفي بحد أدنى من أجل تعريف دولة ما (كدولة رفاه)، هناك باحثون آخرون يشددون تحديدا على الفروق الكبيرة بين دول غرب أوروبا وبين دول شمال امريكا التي تسمى عادة دول رفاه، يزعم هؤلاء ان عدم الوضوح في تعريف دولة الرفاه ينبع من عدم وجود نموذج عالمي ل (دولة الرفاه) بل هناك نماذج مختلفة في غاية الاختلاف لدولة الرفاه في دول عديدة، على سبيل المثال: نموذج دولة الرفاه الاسكندنافية يختلف كثيرا عن ذلك النموذج الذي يميز الانظمة

الليبرالية كالولايات المتحدة الامريكية وكندا، وكلاهما يختلف كثيرا عن دولة الرفاه المحافظة التي تميز دول وسط اوروبا، كألمانيا على سبيل المثال.

وعلى الرغم من الاختلاف بين الدول المسماة دول الرفاه اعتمادا على مبادئها الفكرية إلا انه يمكن العثور على عدد من المميزات المشتركة بين معظم دول الرفاه والتوصل الى تعريف يميز بين دول الرفاه وبين دول أخرى تتضمن أجهزة رفاه معينة، تلبي الاحتياجات المختلفة لمواطنيها، إلا انه لا يمكن تعريفها كدول رفاه نتيجة للتكاليف المتعلقة بتشغيل الاجهزة اللازمة في دولة الرفاه فإن جميع دول الرفاه هي دول صناعية، متطورة وغنية نسبيا، بالإضافة الى هذا فإن معظم هذه الدول هي دول رأسمالية ذات اقتصاد سوق متطور، لكن لا يمكن اعتبار وجود دولة رفاه وفقا لبنية اقتصادية واسعة فحسب، بل يتطلب أيضا وجود نظام حكم ديمقراطي يعترف بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية لمواطنيه، وفي هذا السياق فإن الخدمات التي تقدمها دولة الرفاه لمواطنيها ليست بمثابة إحسان، بل هي جزء من الحقوق الاساسية التي يستحقها كل مواطن، وبناء على ذلك يمكننا القول أن دولة الرفاه هي دولة تلبي الاحتياجات الانسانية الاساسية لمواطنيها كجزء من إحقاق حقوقهم السياسية، وبشكل أكثر تحديدا إن دولة الرفاه تسعى الى ضمان الامن الاجتماعي لمواطنيها، وتوفير دخل ثابت وتغذية ورعاية طبية وتعليم وسكن وعمل وخدمات رفاه خاصة لكل مواطنيها، وكذلك تقليص الفجوات الاجتماعية الى حد معين، ويتم تحقيق هذه الاهداف بواسطة فعاليات تبادر اليها الدولة بعدد من الطرق، تشمل مدفوعات مباشرة لمخصصات التقاعد، تزويدا مباشرا للخدمات الاجتماعية، ضمان تقاعد غير مباشر بواسطة نظام الضرائب، وكذلك عمليات تدخل مختلفة في الاقتصاد وسوق العمل¹⁴⁵. وفي المحاور التالية اسلط الضوء على بعض المفاهيم.

١- **المعنى اللغوي للاقتصاد...** الاقتصاد لغة: من القصد وهو التوسط وطلب الأمد. ويقال

¹⁴⁵ - Clasen, J, Comparative Social Policy, Oxford: Blackwell, 1999.

هو على قصد: أي رشد وطريق قصد: أي سهل. وقصدت قصده، أي نحوه. ويفسر الاقتصاد الرفاه كآتي:

أ- اصطلاحاً : يقصد بالرفاهية الاقتصادية ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية العامة الذي يمكن قياسه نقدياً بطريق مباشر أو غير مباشر. وعلى أساس هذا التعريف يمكن أن تؤدي زيادة الرفاهية الاقتصادية إلى زيادة الرفاهية العامة، وإن كان لا يبدو أن هناك ارتباط بينهما، ويعتقد بعض الاقتصاديين أن دراسة الرفاهية الاقتصادية يجب أن تقتصر على تحليل الأسباب والعوامل التي يمكن أن تؤدي إلى تحقيق أكبر قدر من الاستقرار النفسي والمادي والاجتماعي للفرد ضمن مجتمع معين، وهي بذلك تكون دراسة علمية إيجابية. ويعتقد البعض الآخر أن دراسة الرفاهية الاقتصادية يجب أن تشمل وضع السياسة التي يجب أن تتبع لتحقيق الرفاهية، وبذلك تصبح الدراسة غير علمية خالصة حيث لا بد أن تأخذ هذه الدراسة في الاعتبار الخلفيات السياسية التي ترتبط بالموضوع وبذلك تخرج عن دراسة علم الاقتصاد، والامثلة الحديثة على ذلك أصبحت كثيرة - مع طائرات معينة من التحليق فوق مناطق معينة بسبب ضجيجها، إزالة مناظر طبيعية جميلة لإقامة المصانع الضخمة، استهلاك أراضي زراعية لإقامة مطارات بجانب المدن، إقامة محطات توليد الطاقة النووي وما يترتب على ذلك من نقص في الرفاهية بالنسبة للبعض وزيادة في الرفاهية بالنسبة للبعض الآخر.

ب- كما يربط الاقتصاد والرفاهية الاقتصادية بالدخل الاقتصادي فكلما زاد الدخل الاقتصادي كلما كان هناك رفاهية، ولم يمنع الإسلام مثل هذه الرفاهية، حتى أن الرسول (ص) قال (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)، فطالما كان هناك دخل وفير فليس هناك مانع أن يتمتع الفرد بذلك المال وأن يحيا حياة مرفهة سعيدة^{١٤٦}.

146- المرجع: لسان العرب ١٦٩٨/٣، المصباح ٦٠٩/٢، فقه الاقتصاد العام.

٢- مصطلحات الرفاهية^{١٤٧}

*- الرفاهية.. لغويا : في معجم الصحاح المعني بالمصطلحات العربية ولمؤلفه العلامة أسماعيل بن حماد الجوهري والمولود في مدينة فراب، وهو ابن أخت العلامة الكبير إسحق الفارابي صاحب ديوان الادب " ١٠٠٩م " وقد ذكر في الصحاح كلمة رفاه اي رفه الشخص عن نفسه وأسرته أو رفه الحاكم لرعيته، أو رعاية ورفاه الله لبني البشر، وهو اول تعريف لمفهوم الرفاهية في العربية. ويعرف بعض الكتاب الرفاهية بأنها حالة تمس حياة الفرد والجماعة وتعمل على إشباع الحاجات البيولوجية الاساسية للانسان من مأكّل وملبس ومسكن والحاجات التي تتطلبها الحياة الاجتماعية، مثل التعليم والثقافة والخدمات الطبية والأمن الاجتماعي وهناك من يوجز هذه المتطلبات كلها بالقول أن الرفاهية هي تحقيق مستوى لائق للمجتمع في جميع وجوه حياته.

*- الرفاهية اقتصاديا : يعني اقتصاد الرفاهية بالنتائج الاجتماعية التي يمكن قياسها موضوعيا وتناولها في النظرية الاقتصادية، فالدخل القومي، أي تدفق السلع والخدمات يقترن إقترانا مباشرا بالرفاهية وكلما ازداد الدخل القومي وازدادت المساواة في توزيعه عظمت رفاهية المجتمع الاقتصادية، كما يعني اقتصاد الرفاهية بدراسة وتقييم الكفاءة الاقتصادية والنظم المتعلقة في توزيع الموارد بما يؤدي الى تحقيق أكبر قدر من المنفعة الاجتماعية وتوفير الظروف التي يمكن عن طريقها تقوم السياسات الاقتصادية في تحقيق الرفاهية للمجتمع وتستدعي هذه السياسات التدخل لتشجيع المشروعات المنتجة وعدالة التوزيع عن طريق الضرائب مايزيد من الانتاج ومن إشباع الحاجات.

*- حد الرفاهية : حد الرفاهية فكرة تمثل الحد الاقصى للرفاهية الذي يمكن أي شخص في المجتمع ان يتمتع به مع التسليم بمستويات الرفاهية لبقية افراده، ولن يكون هناك وضع داخل حد الرفاهية يمكن ان يعد كاشفا عن الرفاهية الاجتماعية القصوى وعلى العكس لن تكون هناك نقطة خارج حد الرفاهية يمكن ان يصل اليها المجتمع.

*- دولة الرفاهية : دولة الرفاهية هي مايفترضه المجتمع في الدولة التي تتحمل مسؤولية رسمية وواضحة نحو تحقيق الرفاهية الاساسية لمواطنيها، وتوفير الخدمات الاجتماعية المتنوعة حتى يتسنى زيادة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ويظهر مثل هذه الحالة اذا أصبح المجتمع أو الذين يتولون امورهم مقتنعين بأن رفاهية الفرد بجانب حفظ النظام والامن القومي من الاهمية بمكان، حتى أنه لا يمكن تركها للتقاليد أو التنظيمات غير الرسمية والمشروعات الخاصة، بل هي مسؤولية الحكومة. وينطلق التزام دولة الرفاهية بتحقيق الرفاهية الاساسية لاجزاء المجتمع من قناعة الدولة او الشعب بالحقيقة التي تؤكد على الدور الهام لرفاهية الفرد في حفظ النظام والامن القومي.

ويقابل دولة الرفاهية التي تقوم بأداء الخدمات التي يتطلبها المجتمع الدولة الحارسة (Gendarme State) وهي التي تقتصر وظيفتها على وضع القواعد لصيانة النظام في المجتمع.^{١٤٨}

وهناك تعريف آخر يطلق على دولة الرفاهية اسم الدولة الرعوية وهي:

" إن الدولة الرعوية هي هيئة تسلطية تدعي الحق في إخضاع الفرد وحقوقه إخضاعا كاملا لمصلحتها، وتزعم بأنها المقاول أو رب العمل الرئيسي ومزود المجتمع بالخدمات التي يحتاجها في آن، وبكلمات أخرى، فإن الدولة الرعوية تستحوذ على مهمات إقتصادية شاملة وتسهر على مصلحة المواطنين بتزويدهم بالخدمات الأساسية كالصحية منها والتربوية والإسكانية"^{١٤٩}.

ويعرف البعض دولة الرفاهية كالاتي:

" مصطلح يشير الى قيام الدولة بتقديم... خدمات، وتأمينات اجتماعية، ومعونات الى افراد المجتمع بما يحقق ارتفاع مستوى المعيشة أو ضمان حد أدنى لها. وينطلق هذا المفهوم من: حق كل انسان في الحياة الكريمة، ومن نظرة اجتماعية وانسانية قوامها وجود رابطة قوية بين رفاهية (طيب العيش) الافراد ورفاهية المجتمع، وتشمل الخدمات والتأمينات في دولة الرفاهية .. التعليم، الصحة، ومستوى من الدخل،

148 - احمد زكي بدوي، د. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٤٦٦

149 - عامر رشيد مبيض، موسوعة الثقافة السياسية والاجتماعية والاقتصادي والعسكرية، مصطلحات ومفاهيم، ص ٧٢٠

وتوفير العمل، والتأمين ضد العجز والشيخوخة على سبيل المثال لا الحصر، ولا تعتبر دولة الرفاهية إشتراكية بالضرورة على الرغم من وجود سمات مشتركة^{١٥١}.
التعريف المتقدم يصف دولة الرفاهية بالدولة التي تقدم الى افراد المجتمع خدمات وتأمينات ومعونات، وذلك إما لتحقيق ارتفاع مستوى المعيشة أو لضمان حد أدنى للمعيشة، وينطلق التزام دولة الرفاهية بتقديم تلك الخدمات والتأمينات والمعونات من حق كل انسان في الحياة الكريمة، ومن نظرة اجتماعية وإنسانية تقوم على أساس وجود علاقة قوية بين رفاهية الافراد والمجتمع. كما يذكر التعريف بعض الامثلة لتلك الخدمات والتأمينات والمعونات مما يؤكد على اختلاف كم ونوع ومجال الخدمات والتأمينات والمعونات من دولة رفاه معينة الى دولة رفاه أخرى، وينبه التعريف الى ان دولة الرفاهية لاتعتبر اشتراكية بالضرورة على الرغم من وجود بعض السمات المشتركة بين الدولة الاشتراكية ودولة الرفاهية والتي تكاد تتلخص في أصل التزام الدولتين بتقديم الخدمات والتأمينات والمعونات المذكورة لكن من منطلقات وتفسيرات متباينة وتمويلات مختلفة لتلك الخدمات والمعونات ونظام اقتصادي مختلف^{١٥١}.

هناك من يربط بين دولة الرفاه من جهة والاشتراكية أو الديمقراطية الاجتماعية أو اليسار أو اليسار الوسط أو اليسار الجديد أو الوسط أو الطريق الثالث أو الرأسمالية الخيرة أو الليبرالية أو النيوليبرالية اليسارية أو زيادة الضرائب أو حزب العمال في المملكة المتحدة أو الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الامريكية من جهة ثانية، ويقابله من يربط بين الدولة الحارسة من جهة والرأسمالية أو اليمين أو النيوليبرالية اليمينية أو المحافظين الجدد أو تخفيض الضرائب أو الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة الامريكية أو حزب المحافظين في المملكة المتحدة من جهة ثانية. يبدو أن ذلك الربط على إطلاقه ليس بصحيح كما هو واضح من المصاديق المذكورة إضافة الى انه لاتوجد دولة رفاهية مطلقة كما لا توجد دولة حارسة بالشكل المطلق للدولة الحارسة^{١٥٢}.

150- عبد الوهاب الكيلاني، د. كتاب موسوعة السياسة- الجزء الثاني، ص ٧١٣

151- الباحث

152- فؤاد عباس، الاسلام مع الدولة الحارسة أم مع دولة الرفاهية؟

إن من الضروري وضع مفهوم لمصطلح " دولة الرفاهية " فلا يمكن مطلقاً مناقشة محور دولة الرفاهية في الواقع الاجتماعي من دون أن نعرف ماذا تعني بالتحديد كلمة " دولة الرفاهية " والتي تعني العديد من المفاهيم حتى في الفكر المعرفي الغربي. وتحديد مفهوم المصطلح سيسمح بلايغال في موضوع دولة الرفاهية التي تختلف صدقيتها من دولة إلى أخرى، فالتجربة السويدية غير التجربة الفرنسية، وهذه الأخيرة في نمطيتها غير التجربة الدنماركية وهكذا دواليك.

دولة الرفاهية هي ليست تركيبية إجتماعية وتاريخية في كل من مضمونها المادي والتأويلي فحسب، لأن من شأن ذلك أن يلمح ضمناً أنها موجودة خارج أزمة رأس المال العالمية، وأنها حل مستدام للتناقضات الطبقيّة الداخلية وتقف فوق سيمياء التناقضات الطبقيّة الدولية الواضحة من خلال العلاقات الدولية، دولة الرفاهية هي نتاج التاريخ أولاً وصانعه ثانياً، والسياق والتمييز مهمان بقدر ما تعزز دولة الرفاهية التطور المتدرج لثقافة نزعة إنسانية من جهة، وبقدر ماهية جوهرية خاضعة على نحو أوضح لقاعدة حكم رأس المال كعلاقة اجتماعية، من جهة أخرى. من هنا فإنها بأستثناء دول الرفاهية الحيادية الصغيرة الإسكندنافية، ديمقراطية اجتماعية ترشو طبقاتها العاملة لتخصصها أو لتذهب بها في نهاية الأمر الى الحرب كما فعلت كثيراً منذ الحرب العالمية الأولى^{١٥٣}.

لكي تكون دولة رفاهية، لا بد أولاً من دولة و لا أي دولة، كأن تكون بلدية أو إمبراطورية لا مركزية، بل ينبغي أن تكون دولة أمة. وكتقليب لنموذج الدولة القديمة، فإن الدولة الامّة شكل خاص من التنظيم الاجتماعي متشابه مع نهوض مرحلة تاريخية محددة جداً من مراحل الرأسمالية. ولذلك ليست الدولة الامّة شيئاً خارجياً بالنسبة الى ارتباط رأس المال، إنها مظهر أساسي لوجود الطبقات في المجتمعات الصناعية الحديثة، إنها تركيبية حقوق وسلطة معتمدة على درجة الازمة وميزان القوى بين الطبقات فيها. ولئن كان موضوع الرأسمالية حكم رأس المال، فلا يمكن للدولة الامّة أن تكون مستقلة عن رأس المال، إذ حتى عندما تطيح الطبقة العاملة البورجوازيات الحاكمة، فإن رأس المال كأرتباط اجتماعي يبقى ما دامت الدولة تصون الإكراه الناشئ من عملية العمل الرأسمالي ونظام الاجور. والدولة

153- القادري، علي. أ، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦

الامة، وهي كذلك حقا عند هذا المستوى من التجريد، هي إما بورجوازية بالوكالة ، وإما بورجوازية مجسدة في جسد جديد¹⁵⁴.

في أوائل القرن التاسع عشر دفع المزيد من التعليقات المحابية للحقوق، أي ما زاد عن التعليقات المؤيدة لطبيعة سلطة الدولة، وكانت الدولة الامة، على الاغلب، "تحقيق الروح" أو "الوجود الفعلي للفكرة الاخلاقية"¹⁵⁵.

وفي ذروة زمن المقاربة القائمة على الحقوق، أواسط القرن التاسع عشر، أصبحت " دولة مستقلة، دولة تكون سلطة قوانينها في إرادة الشعب في تلك الدولة "¹⁵⁶.

كان العصر العالمي زما كان فيه العمل المؤثر الذي كتبه " إيسبنغ – أندرسون " وهو العوالم الثلاثة (رأسمالية الرفاهية) يقسم عالم الرفاهية الى عناقيد في محاولة لربطها في الخلفية بالحقيقة الحاسمة في النهاية عن محاسبة كبرى وتوزيع الدخل¹⁵⁷.

ويقدم غورنيك وجاكوبس وصفا لهذا العمل:¹⁵⁸

تتضمن طوبولوجيا إيسبنغ – أندرسون: دولة الرفاهية الاجتماعية الديمقراطية، التي تضم مبدئيا بلدان الشمال، دول الرفاهية المحافظة (أو ذات النزعة الاندماجية) التي تهيمن عليها بلدان القارة الأوروبية (تمثلها : بلجيكا، وألمانيا وهولندا)، ودول الرفاهية الليبرالية (أو الباقية)، (وتمثلها : كندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة)، وفي نظام الحكم الديمقراطي الاجتماعي، تقوم الاستحقاقات على مبدأ الحقوق الكلية للمواطنة الاجتماعية، وفي نظام الحكم المحافظ تقوم الاستحقاقات على أداء العمل، وفي البلدان الليبرالية تستمد الاستحقاقات بصفة أولية من تقديرات حاجة الفرد.

لقد حولت السياسات الليبرالية الجديدة الضرائب المتصلة بجانب الانتاج الى ضرائب على الاستهلاك، وأصبحت متغلطة الكلمات مثل " استهداف الفوائد " و " التقدير

¹⁵⁴ - نفس المصدر

¹⁵⁵ - Georg Wilhelm Friedrich Hegel, The Philosophy of Right, Oxford University Press, 1952.

¹⁵⁶ - Henry E. Allison, Kants Theory of Freedom (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1990).

¹⁵⁷ - Gosta Esping – Andersen, The Three Worlds of Welfare capitalism (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990).

¹⁵⁸ - Janet C. Gornick and Jerry A. Jacobs, " Gender, the Welfare State, and Public Employment: A Comparative Study of Seven Industrialized Countries" American Sociological Review, vol. 63, no.5. 1998, p. 692.

المبني على الحاجات " تحت نواقص وأنعدام توازن معلوماتي حول البيع والشراء، والاختيار العكسي والخطر الاخلاقي. وتعين على الدولة أن تعيد الرفاهية بأرخص تكلفة ممكنة، كما تعين عليها ان تتعامل مع مشكلة تواؤم في الحوافز يمكن أن تحل بطريقة بنوية قائمة على طبيعة المعلومات، وفي وقت حدوث النقطة الدنيا من هزيمة دولة الرفاهية، لم يذكر الا القليل عن حقيقة أن معدلات الربح كانت صاعدة الى مستويات تاريخية غير مسبوقه وأن تفاوت المداخل عالميا كان قد يصبح اكثر حدة، ويمكن تلخيص الحالة الذهنية السائدة بهذه التعريفات الجديدة لدولة الرفاهية¹⁵⁹ ضمن المفهوم الدارج لبعض المفكرين وكالاتي:

*- يقترح سنور (Snower) فواتير للصحة والتربية من أجل تحقيق فوائد للسوق الحرة، ومع ذلك تناول انعدام التوازي المعلوماتي عن الائتمان في هذه القطاعات¹⁶⁰.

*- يرى فيلبس (Phelps) دولة الرفاهية بأعتبار أنها نظام من الاستحقاقات والفوائد، يبرره وجود معلومات غير موازية ونواقص في السوق، إنما لا يرى مع ذلك لماذا ينبغي أن لا يكون تأميننا من القطاع الخاص، وهو يشير علاوة على هذا الى أن هذا الأمر يفضي الى وضع من نوع وضع محنة السجن الذي فيه يتم تقويض الحوافز والدوافع الى العمل، الامر الذي يؤدي الى ارتفاع معدلات البطالة¹⁶¹.

*- يدمج ليندبيك وآخرون "عام 1999م" دراسة نفوذ الاعراف الاجتماعية التي يعنون بها أثر البرهنة الميكانيكية (أو بتعريف أدق- الوصمة أو الاستهلاك الغامض السلبي)، الذي فيه تزيد حوافز من يحصل على منافع أكثر (أو مضار أقل) من عمل ذلك : من المرجح أن تؤدي زيادة في عدد الاشخاص الذين يتلقون منافع الرفاهية الى إضعاف الأعراف الاجتماعية التي تدفع الى أن يعيش المرء على عمله، بالإضافة الى هذا فإن الأفراد الذين يعيشون على التحويلات العامة يمكن بمضي الوقت أن يقيموا وقت فراغهم أكثر¹⁶².

¹⁵⁹- Fine, (Whither the Welfare State: Public Versus Private Consumption?.

¹⁶⁰ - D. Snower, " What is the Domain of the welfare State" London: Macmillan. 1996.

¹⁶¹ - E. phelps. " on the Damaging Side Effects of the Welfare System: How, Why and What to Do " in: Baldassarri, baganetto and Phelps, eds. Ibid.

¹⁶² - A. Lindbeck, " Welfare State Dynamics "in: European Commission, The welfare State in Europe, Luxembourg, 1997.

كانت سياسات الدولة تتقرر بواسطة الناخب المتوسط، على الرغم من أن هذا يمكن أن يستكمل بنظرية عن النشاط السياسي توضع تكاليف اكتساب النفوذ ضد التيار الذي يتمثل في عمل هذا، وكما يشرح أزار ليندبيك : إن المحنة الأساسية لدولة الرفاهية هي انه كلما زاد سخاء المنافع كبر حجم الانحرافات الضريبية، ليس هذا فحسب، بل أيضا عدد المستفيدين من هذه المنافع، وذلك بسبب الخطر الاخلاقي والغش للحصول على المنافع¹⁶³.

إن نزع الطابع الاجتماعي على نطاق واسع عن الإصلاحات الليبرالية الجديدة في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين، والتسوية اللاحقة في الرفاهية، توفر دليلا إضافيا يدعم الرأي الذي يذهب اليه مياسو (Meillassoux) والقائل بأن أزمة رأسمالية في غياب بديل أيديولوجي في طبقة عاملة متماسكة يفضي الى تسليع تام للحياة الإنسانية، تسليع سيرد فيه (العامل الحر) الى حالة إغتراب كامل¹⁶⁴.

المبحث الثاني : مفهوم البنية الفكرية لدولة الرفاه

مع نشوء الرأسمالية منذ القرن الرابع عشر والخامس عشر في المجتمع الاوروبي ، بعد التطور في الزراعة وبعض الصناعات التقليدية انتقلت البنية الاقتصادية الى بيوتات المال " المصارف " من قبل بعض الأشخاص المبدعين ولذلك كونوا رأسماليات صغيرة تدير امور التجارة والزراعة والخدمات والنقل وغيرها، وتطورها في القرن السادس عشر في إيطاليا وهولندا وإسبانيا، ثم تفجيرها كثورة صناعية في القرن الثامن عشر في بريطانيا ولاحقا في فرنسا وألمانيا قبل تدويلها وانتشارها في قارات العالم الخمس، وحتى الثورة الشيوعية في روسيا مطلع القرن العشرين، عاش العالم عدة قرون من صعود الرأسمالية بلا منافس يذكر. ويمكن استبيان البنية الفكرية لدولة الرفاه حسب المحاور التالية :

¹⁶³ - A. Lindbeck. (Hazardous Welfare-State Dynamics) American Economic Review, vol. 85. No 2: 1995. P 9

¹⁶⁴ - Claude Meillassoux, Maidens, Meal, and Money: Capitalism and the Domestic Community, Cambridge University 1981.

المحور الاول: مرحلة آدم سميث مرحلة الرأسمالية التجارية " التي تلت المركنتلية " فإن مرحلة القرن التاسع عشر بكل أحداثه العظيمة كان مرحلة التحول نحو الاحتكار^{١٦٥}.

المحور الثاني: تطورت الرأسمالية المعاصرة بدءاً من عصر النهضة في إيطاليا في القرن السادس عشر مروراً بعصر الثورة الصناعية في بريطانيا ولاحقاً في ألمانيا وتبعها التقدم الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية. كان ملوك أوروبا فوق طبقة الاقطاعيين لكنهم اضطروا الى الاقتراض من مؤسسي البنوك الجديدة التي تشكلت في العصور الاخيرة من النهضة والعصور الجديدة للرأسمالية الصناعية" خصوصاً في القرن التاسع عشر "، ليتمكنوا من مواجهة أعبائهم الاقتصادية ولا سيما في فترة الحرب ولينفذوا في فترات السلم مشاريعهم الكبرى الصناعية والزراعية والمائية والعمرائية فضلاً عن اهتماماتهم الاجتماعية والثقافية^{١٦٦}.

المحور الثالث: أدت انتصارات النظام الديمقراطي المتعاضمة في البلدان المختلفة الى تراجع الانظمة المطلقة الاستبدادية وأضطر الملوك الى التخلي بصورة متزايدة عن سلطاتهم الملكية المطلقة والى التعايش والتعاون مع فئات البرجوازية العليا والوسطى والاحزاب الديمقراطية ولاحقاً التنظيمات العمالية والنقابية. لكن اندلاع الثورة الصناعية والزج بالعمال بشكل جماعي في المصانع بعد سحبهم من الأرياف وكذلك سحب النساء والاطفال من الريف والزراعة وأستخدامهم المتزايد في عملية الانتاج في دول أوروبا الغربية ثم الولايات المتحدة الأمريكية، أدى الى ظهور الاحتجاج الاجتماعي والدعوة المتزايدة الى الاشتراكية والشيوعية^{١٦٧}.

المحور الرابع: وبهدف وقف هذا المد الشيوعي من جهة ، وللسيطرة على الأزمة الاقتصادية من جهة أخرى، قاموا بتقديم تنازلات للعمال وإعطائهم مزايا إجتماعية تضاهي ما كان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية توفر لعمالها في ظل أنظمتها الشيوعية، فلقد دفع الخوف من إنجرار نقابات العمال الى الشيوعية وزعزعة الاوضاع المحلية بالقيادة الاشتراكيين الديمقراطيين الى صياغة تسويات تاريخية

165- الرادوي تيسير، تاريخ الافكار والوقائع الاقتصادية. جامعة حلب، حلب، ١٩٩٠، ص ٢٣٩

166- دهمان، عبد المنعم، اقتصاد السوق الاجتماعي وتحديات تطبيقه في سورية، حلب ٢٠٠٧

167- الشراوي عبد الحكيم مصطفى، العولمة المالية وامكانات التحكم، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ١٧

(شكلت بدايات دولة الرفاه الاجتماعي)، كانت على شكل عقود اجتماعية مع قادة العمال والنقابات في بلدانهم والتأمين على العمال ضد البطالة والتقاعد المعاشي والسكن، تحول بذلك دون اتجاههم نحو الشيوعية وتبني عقيدتها^{١٦٨}.

المحور الخامس: جاءت الافكار الجديدة للرأسمالية لتحدد آفاق التعاون بين العمال والرأسماليين، حيث قام كينز بدراسة الاسباب الاقتصادية للأزمة الرأسمالية الكبرى، ووضع جملة من المقترحات عرفت بالسياسات الكينزية، كان أهمها يمثل إنقلاب على الافكار التي كانت سائدة، وهو ضرورة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، لرفع الطلب الفعال ومنع الاحتكار، ومحاربة ارتفاع الاسعار، وقد انتشرت هذه السياسات في الدول الرأسمالية وخصوصاً الولايات المتحدة وأوروبا، وشكلت الاساس النظري لنظام دولة الرفاه الاجتماعي^{١٦٩}.

كما ساعد في ظهور أنظمة الديمقراطية الاجتماعية والأوروبية والأمريكية وعقدتها تسويات تاريخية عبر المصالحة بين العمال والرأسماليين بواسطة الدولة وضماناتها، هو أن الدول كانت متطورة صناعياً وتحقق بفضل الإنتاج المتطور قيمة مضافة عالية في الصناعة التحويلية والخدمات المتطورة، ويمكنها ان تحول جزءاً من الفائض الاقتصادي للضمان الاجتماعي المتحقق بفعل الإنتاجية العالية، بسبب امتلاكها جهازاً إنتاجياً متطوراً، بحيث يمكن تخصيص هذا الجزء من القيمة المضافة في التأمين الاجتماعي والتنمية الاجتماعية والتقاعد والسكن^{١٧٠}.

تعددت التجارب الرأسمالية في تطبيق نظام دولة الرفاه الاجتماعي، وكل دولة طبقته وفقاً لمعطياتها وتكوينها، وقد كانت التجربة السويدية لدولة الرفاهية من أفضل التجارب الأوروبية وأقدمها، وتحل هذه التجربة مكانة متميزة في تجارب الدمج بين الرأسمالية القائمة على اقتصاد السوق ونظام التنافس والربح والاشتراكية القائمة على العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي وتوظيف النمو الاقتصادي بصفة رئيسة في التنمية الاجتماعية^{١٧١}.

168- الشمالي نصر، فساد النظام العالمي. دار المستقبل، دمشق ١٩٩٥، ص ٤٠

169- الرادوي تيسير، تاريخ الافكار والوقائع الاقتصادية. مصدر سابق، ص ٥٦٠

170- بوكسبرغر جيرالد وكليمنت هارلد، الكذبات العشر للعولمة، سلسلة الرضا للمعلومات، دمشق ١٩٩٩، ص ٧٤

171- مصدر سابق عبد المنعم دهمان

المحور السادس: في النصف من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تمسك الماركسيون والمنادون بالصراع الطبقي عموماً بمبدأ المواجهة والصراع المصيري بين العمال والرأسماليين، وأعتبروا أن نظام السوق الرأسمالي هو نظام الاستغلال الطبقي والإفقار الجماعي والحروب بين الأمم، ودعوا إلى تقويض دولته الدولة الطبقيّة الرأسمالية تقويضاً تاماً وإحلال نظام الاشتراكية ودولتها محلها، ورفض الماركسيون فكرة المصالحة والتوفيق بين نظام السوق الاقتصادي الرأسمالي ونظام الدولة الاشتراكي، ومن هنا أعلنوا ديكتاتورية البروليتاريا نظاماً ديمقراطياً ضرورياً لتفكيك الدولة الطبقيّة الرأسمالية وتقويضها وإحلال دولة العمال والفلاحين ثم الدولة الاشتراكية محلها^{١٧٢}.

المحور السابع: بدأت الأصول التاريخية لدولة الرفاه مع أزمة الكساد الكبير التي حدثت في العام ١٩٢٩م، حيث تم تسريح ملايين العمال عن العمل دفعة واحدة " تشكلت مشكلة البطالة الحادة"، أحدثت أزمة فكرية وأجتماعية واقتصادية عميقة للغاية، حيث دفعت هذه الأزمة الكثير من العمال إلى تبني أفكار الاشتراكية والشيوعية، وأمام تزايد النفوذ السياسي والفكري للشيوعية برزت في الثلاثينات من القرن الماضي أحزاب اشتراكية في أوروبا، وصلت هذه الأحزاب إلى الحكم في دول أوروبا الغربية، وفي الأربعينات قامت أحزاب شيوعية أوربية بدور مرموق في مقاومة النازية والفاشية، وأثر الازدهار الاقتصادي الذي تلا انتهاء الحرب العالمية الثانية توصلت أحزاب اشتراكية ديمقراطية، وبرز دور هذه الأحزاب الأوروبية في الحد من تهديد الشيوعية الأيديولوجي و السياسي، وإبعاد العمال والنقابات العمالية عن الانخراط في الشيوعية^{١٧٣}.

كانت السويد منذ تلك الفترة دولة متطورة تكنولوجيا وصناعياً واقتصادياً وكانت الحركات النقابية والسياسية فيها شديدة الحراك عالية التواصل مع الصراعات الاجتماعية والسياسية والفكرية الحامية في أوروبا ولا سيما بشأن الربح الرأسمالي والأجر العمالي وبشأن نظام السوق ورفاهية المجتمع، وقد أعلن الاشتراكيون الديمقراطيون السويديون في العام ١٩٣٢ السلم الأهلي والوفاق الطبقي وقاموا بتسوية تاريخية ومتجددة بين قوة العمل وقوة رأس المال، قوة العاملين وقوة الدولة

172- مصدر سابق ، عبد المنعم دهمان

173- أمين سمير، في مواجهة أزمة عصرنا. مؤسسة النشر العربي. بيروت ١٩٩٧، ص ٥٣

الرأسمالية بشركاتها ومصارفها ومؤسساتها المالية، وفي هذا المناخ أعلن الاشتراكيون الديمقراطيون في دولة السويد مبارتهم التاريخية الى تحويل سياسات التسوية والتصالح والتعاون بين العمال وأرباب العمل، تلخصت تلك المبادرة بإعلان دولة الازدهار والرفاه الاجتماعي على أساس التوافق الطبقي والمنهج التفاوضي^{١٧٤}.

ان الرأسمالية تفصل العامل عن وسائل إنتاجه ولا تقدر أن تؤمن فرص عمل لكل قوة العمل، فإن دولة الرفاه تكون الميكانيزم الذي يؤمن للنظام الرأسمالي قدراته على التحول والتحمل من ناحية، ويعطي الفئات الشعبية التي حرمت من وسائل إنتاجها حقا مكتسبا من جراء نضالات الفئات العاملة، وهي بهذا تختلف عن منظومة الصدقة التي عادة ما تنطبق على الذين ليس لديهم القدرة على الانتاج لأسباب غير مرتبطة بقدرة المنظومة الاجتماعية على إنتاج فرص العمل لكل من هو مؤهل للعمل، وهذا المنطق يضع الحق قبل الواجب^{١٧٥}

دولة الرفاه هي ظاهرة سياسية واقتصادية حديثة عهد نسبيا، كان أول من استعمل مصطلح (دولة الرفاه) المستشار الألماني (فرانتز فون بابن) عام ١٩٣٢م في مهاجمة التشريع الاجتماعي الشامل لجمهورية فايمر، ولم يكتسب هذا المصطلح دلالة إيجابية إلا في مستهل أربعينات القرن العشرين عندما أراد رئيس أساقفة كانتربري وليم تمبل ان يقارن بين اهتمام النظام الديمقراطي البريطاني برفاهية مواطنيه وبين روح العنف في ألمانيا النازية^{١٧٦}.

لم تبدأ فكرة مسؤولية الدولة عن رفاهية مواطنيها مع نشوء دولة الرفاه الحديثة. لقد اعتبر قانون (حقوق الفقراء) الذي سن في بريطانيا عام ١٦٠١م بمثابة القانون الرائد في هذا المجال لأنه حدد لأول مرة التزامات سلطات الدولة تجاه رفاهية مواطنيها، غير ان هذا القانون والقوانين التي تلتها في بريطانيا وفي دول أخرى ركزت مسؤولية الدولة في الناس الذين لم تكن لديهم أية امكانية للحد الأدنى من البقاء بدون مساعدة المجموع لهم. أضف الى ذلك أن هذه المساعدة كانت دائما محدودة للغاية ومقرونة بشروط مهينة ومزعجة. لقد طبق أقرب مثال الى نموذج دولة الرفاه الحديثة في ألمانيا خلال العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر، حيث

174 - حبيب مطانيوس، قراءة في القطاع الخاص، بحث مقدم لندوة الثلاثاء الاقتصادي، جمعية العلوم الاقتصادية. دمشق، ٢٠٠٥/٣/٢٩

175 - أ، علي القادري، ندوة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت . ٢٠٠٦

176 - فان كيسبيركن، الرأسمالية الاجتماعية، لندن، روتليدج، ١٩٩٥

فرض المستشار الألماني بسمارك لأسباب سياسية وكجزء من صراعه مع الحركة الاشتراكية – الديمقراطية، نظاما للضمان الاجتماعي تابعا للدولة، الذي منح ضمانا اجتماعيا للعمال إذا لم يتمكنوا الاعتياش من العمل بسبب إصابة عمل أو بسبب الشيخوخة¹⁷⁷.

المحور الثامن: أدت الأزمة الاقتصادية الحادة التي ضربت العالم الصناعي بعد انهيار سوق الأوراق المالية في وول ستريت عام 1929م والبطالة الشاملة التي تلتها الى تغير جذري في هذا التوجه، لأول مرة كان هناك خطر حقيقي يهدد النظام الاجتماعي القائم من قبل العاطلين عن العمل والمشردين الذين أيدوا الحركات السياسية الراديكالية، كما كان هناك إحساس بأن الحلول الاقتصادية التقليدية غير قادرة على حل هذه الازمة الاقتصادية، إن الحاجة الى البحث عن توجه اقتصادي يحفظ استقرار الاقتصاد الرأسمالي، وكذلك الحاجة الى خلق جهاز رفاهية يحفظ الحد الأدنى من البقاء لمن لا يستطيعون العمل رغما عنهم، ولدت دولة الرفاه. وبالفعل مع نهاية الثلاثينات وضعت أسس دولة الرفاه في عدة دول، إما على هيئة برنامج " نيو ديل " الذي بادر اليه فرانكلين روزفلات في الولايات المتحدة الامريكية، أو على هيئة إطار مفهوم " بيت الشعب " في السويد، أو على هيئة قوانين الرفاه المختلفة التي تم اعتمادها في دول اخرى¹⁷⁸.

أن الحرب العالمية الثانية وويلاتها المريعة التي عاشها مواطنوا أوروبا الغربية والشعور بالمصير المشترك الذي نشأ خلال الحرب ، إضافة الى الرغبة في خلق مجتمع أفضل في أعقابها، أوجدت جميعها أرضية مواتية لمسألة دولة الرفاه بعدما وضعت الحرب أوزارها، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح الحديث ممكنا وبحق عن (عهد دولة الرفاه).

المحور التاسع: يرتبط النموذج الاصيلي لدولة الرفاه بأسم بريطانيين هما: جون مينارد كينز ووليم بفريدج. ذهب عالم الاقتصاد كينز في مؤلفاته في نهاية الثلاثينات الى ان الطريق الوحيد التي تستطيع الدولة الرأسمالية بواسطتها البقاء هي من خلال التدخل الحكومي من أجل استقرار السوق الحرة ، لقد زعم كينز أنه ينبغي على

177 - Clasen, J., Comparative Social Policy, Oxford: Blackwell, 1999.

178 - Pierson, C., Beyond the Welfare State. Cambridge: Polity, 1998.

الحكومة بواسطة ميزانيتها ان توجه وتساعد السوق في نشاطها وأن تضمن التشغيل التام وانه يمكن التوصل الى استقرار السوق والتشغيل التام من خلال النمو الاقتصادي المتواصل الذي يمكن ضمانه بواسطة الاستثمارات الحكومية، والمدفوعات التحويلية للمواطنين بواسطة جهاز الرفاه والاستعداد لخلق عجز في الميزانية أثناء فترات الركود الاقتصادي¹⁷⁹.

إرتبط إسم وليم بفريدج بدولة الرفاه بشكل أساسي بفضل وثيقة قدمها للحكومة البريطانية عام ١٩٢٤م تتناول تنظيم خدمات الرفاه في الدولة وأطلق عليها اسم " خطة بفريدج ". كانت هذه الخطة في الحقيقة خطة عمل من أجل تكوين دولة الرفاه، ذهب بفريدج في الوثيقة الى انه يمكن مكافحة العوز والقضاء على الفقر بواسطة خلق تشغيل تام وإقامة جهاز شمولي للضمان الاجتماعي يكفل لكل انسان الحق الأدنى من أجل البقاء وحرية الحصول على خدمات الرفاه، التربية والصحة بغض النظر عن دخله¹⁸⁰.

إن ما يميز خطة بفريدج يكمن في انها اقترحت جهازا يخدم كل المواطنين ويموله الجميع، لم يعد هناك جهاز معونة يخدم المحتاجين وهامش المجتمع فحسب، بل جهازا يقدم لكل فرد في المجتمع، بغض النظر عن مكانته أو وضعه الشروط التي تكفل بقاءه بكرامة منذ يوم ولادته وحتى يوم وفاته، إستطاع بفريدج بفضل خطته ان ينقل الاهتمام بهذه المواضيع من هامش حلبة الجدل السياسي والمجتمع الى مركز المسرح السياسي والاجتماعي، لقد سعة منذ البداية قاصدا الى خلق شعور في أوساط المواطنين على مختلف طبقاتهم بأن لهم مصلحة مباشرة في جهاز ضمان اجتماعي غير مخصص للفقراء والمساكين فحسب، بل يمنح الحقوق الاجتماعية والامن لكل مواطني الدولة، وبعبارة اخرى إن خطة بفريدج عبارة عن خطة عالمية، خطة لا تشترط استحقاقها باختيار يفحص حاجة الانسان، بل تمنح الخدمات لكل المواطنين على اساس عالمي، لقد حظيت خطة بفريدج التي صدرت في أسوء المراحل التي مرت بها بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية، بشعبية فائقة. لم تتحمس الحكومة البريطانية برئاسة تشرشل في بداية الامر الى توصيات بفريدج، لكنها اضطرت الى تبني التقرير بأكمله. إن هذه الردود تجاه التقرير على ما يبدو نبعت من التوقيت الذي

¹⁷⁹ - Pierson,C., The New politics of the Welfare State. Oxford: Oxford University Press, 2001.

¹⁸⁰ - Espin-Andersen, G, Welfare States hn Transition, London: Sage, 1996.

نشر التقرير والمغزى الذي نسب اليه. لقد منح التقرير للشعب البريطاني المبرر لمواصلة الحرب متمثلا في الامل بمجتمع أفضل يتم إنشاؤه بعد إحراز النصر¹⁸¹.

المحور العاشر: كانت الاعوام الثلاثين التي أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية بمثابة سنوات ازدهار دولة الرفاه، اعتمدت كل الدول الرأسمالية في اوربا، وأمريكا، وأستراليا سياسة دولة الرفاه. على الرغم من أن تقرير بفريدج لم يطبق بحذافيره في أي دولة، ولا حتى في بريطانيا، إلا أنه أصبح مصدر إلهام لخطط إعادة بناء الدول التي شاركت في الحرب، لقد حفز النمو الاقتصادي السريع الذي ميز تلك الانظمة الاقتصادية في الخمسينات والستينات من القرن العشرين مشاعر التضامن التي نمت خلال فترة الحرب، وطموح واضعي السياسات في هذه الدول على خلق مجتمعات توفر لمواطنيها العمل ومستوى معيشة جيد أفضل من دول المعسكر الاشتراكي، جميع هذه العوامل حفزت على تطور دول رفاة شاملة في كل الدول الديمقراطية الصناعية، فقد طبقت كل هذه الدول بشكل أو بآخر برامج الضمان الاجتماعي ووفرت للمواطنين الحماية من الاخطار المختلفة وطورت للإسكان والصحة والتربية الشاملة، كما اوجدت أجهزة رفاة ومعونة خاصة وعملت على الحد من الفقر وتقليص الفجوات الاجتماعية ، لقد أوجد النمو الاقتصادي الحثيث في هذه الدول الذي استند الى مفاهيم كينز الاقتصادية في التشغيل التام الذي امتازت به معظمها، والذي اوجد اجماعا واسع النطاق حول دولة الرفاه ومفاهيمها، واتاح إنفاق مصروفات طائلة مقابل خدمات الرفاه الحكومية. وإذا كانت دول الرفاه قد انفقت عام ١٩٦٠ نحو عشر مصروفاتها على الخدمات الاجتماعية، فأن معدل المصروفات على الشؤون الاجتماعية في دول الرفاه قد تضاعف عام ١٩٧٥ الى نسبة أكثر من ٢٠% من الناتج المحلي الاجمالي، ففي مطلع السنوات الثلاثين كان فقط نصف السكان العاملين مؤمنين ضد الخسائر التي قد تلحق بمدخولاتهم نتيجة إصابات العمل أو البطالة أو الشيخوخة، بينما نجد أن ٩٠% من القوى العاملة في عام ١٩٧٥ قد حصيت بتغطية كاملة ضد هذه المخاطر.¹⁸²

181 - Clasen, J. Comparative Social Policy, Blackwell, 1999

182 - Pierson, C., The New Politics of the Welfare State. Oxford: Oxford University Press, 2001.

المحور الحادي عشر: إن هذا التطور السريع والشامل الذي طرأ على دول الرفاه تباطئ كثيراً بدءاً من منتصف السبعينات، أن أزمة النفط التي أصابت العالم الصناعي عام ١٩٧٣ نتيجة للمقاطعة التي فرضتها الدول المنتجة للنفط، أدى إلى تباطئ النمو الاقتصادي وتناقص فرص العمل، كل هذا فاقم الأزمة الاقتصادية في تلك الدول، أضف إلى ذلك أن استمرار الانخفاض في معدل الولادة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ومقابل ذلك ارتفاع معدل الحياة قد أديا إلى تغير ديمغرافي هام يتمثل في ارتفاع ملحوظ بنسبة السكان المسنين وتراجع في القوى العاملة، مما أدت هذه الأزمة الاقتصادية والتغيرات الديمغرافية إلى تزايد كبير في عدد المواطنين في دول الرفاه الذين يحتاجون إلى خدمات الرفاه، وإلى انخفاض في مصادر التمويل التي يمكن بواسطتها تمويل مثل هذه الخدمات، هذه العملية التي يطلق عليها أحياناً " أزمة دولة الرفاه " أثارت تساؤلات حادة حول مفهوم دولة الرفاه، وحول الفرضيات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية التي تقوم عليها وحول تطورها في المستقبل.^{١٨٣}

من الواضح وبعد اندلاع أزمة دولة الرفاه كانت المخاوف من إختفاء دولة الرفاه في غير موضعها، صحيح أن معدل نمو الانفاق على الرفاهية قد تباطئ في فترة الأزمة وتم تقليص عملية تنفيذ برامج رفاه جديدة وطرأ تشديد على معايير استحقاق برامج معينة موجودة، لكن لم تطرأ تغييرات بعيدة المدى على أي دولة من دول الرفاه، بل ولا في تلك الدول التي حكمها رؤساء عارضوا بشدة مبدأ دولة الرفاه، مثل: رونالد ريغان في الولايات المتحدة الأمريكية ومارغريت ثاتشر في بريطانيا، فعلى سبيل المثال مازال الانفاق حتى اليوم على الخدمات الاجتماعية يصل إلى نسبة تتراوح بين الثلث والنصف من إجمالي الناتج المحلي في دول الرفاه جميعها.^{١٨٤}

أن دول الرفاه اليوم تختلف في نواح عديدة عن دول الرفاه التي كانت موجودة في الفترة التي سبقت الأزمة عام ١٩٧٣، لأن دول الرفاه المعاصرة تنشط في بيئة اقتصادية تختلف كلية عن السابق لأنها تمتاز الآن بالعولمة والترابط المشترك المتزايد، وبمناخ اقتصادي بطيء وبتغييرات عميقة في سوق العمل، تتمثل في تثبيت البطالة والعمل الجزئي.

¹⁸³ - Espin – Andersen, G., The Three Worlds of Welfare Capitalism, Cambridge: Polity Press, 1999.

¹⁸⁴ - نفس المصدر

كذلك هناك جهات شخصية ومؤسسات بلا أهداف ربحية تلعب دورا متزايدا في توفير خدمات الرفاه، فقد طالت عملية الخصخصة ايضا مجالات الرفاه على الرغم من أن هذه العملية لم تؤد الى تقليص ملموس في نفقات الرفاه، بل أدت الى انتقال جذري في مجال تزويد خدمات مختلفة ومتنوعة في أيدي الدولة الى ايدي جهات مختلفة تعمل في السوق الحرة، الى جانب التأييد الجماهيري الواسع لتدخل الدولة في توفير ضمان اجتماعي ورفاهية ملموسة. ان مصطلح او مفهوم دولة الرفاهية الاجتماعية لاينطبق في الواقع الا على مرحلة معينة من المراحل التي مر بها الدور الاجتماعي للدولة في الغرب، وبهذا الخصوص يمكن التمييز بين مراحل ثلاث مرت بها السياسات الاجتماعية في الدول الصناعية المتقدمة وهي:¹⁸⁵

المرحلة الاولى: جاءت فيها تدخلات الدولة في المجال الاجتماعي عبارة عن خروقات محدودة لمفهوم " الدولة الحارس " أو " الدولة الشرطي " التي تسهر على الحفاظ على مبدأ (دعه يعمل دعه يمر)، هذه الخروقات تهدف الى معالجة بعض المشاكل الاجتماعية التي رافقت عملية التراكم الرأسمالي في القرن التاسع عشر، التخفيف من معانات الطبقة العاملة والفقراء من جهة، وتحسين شروط العمل وظروفه من جهة ثانية.

المرحلة الثانية: جاءت فيها تدخلات الدولة في المجال الاجتماعي بهدف معالجة الازمات الاقتصادية التي أخذت طابعا حادا بلغت أقصاه مع أزمة عام ١٩٢٩، وأستتاف عملية النمو الاقتصادي وجعلها قابلة للاستمرار، والمقصود بهذه التدخلات مجموعة الإجراءات ذات المنحنى الكينزي التي تهدف الى دفع وزيادة الطلب الفعال وتأمين التشغيل الكامل، أي ان تدخل الدولة في المجال الاجتماعي أصبح يشكل شرطا ضروريا لاستمرار النشاط الاقتصادي.

المرحلة الثالثة: هي المرحلة التي يصح الكلام فيها عن دولة الرفاه الاجتماعي في أكثر البلدان الغربية تقدما، وحيث أصبحت فيها وظيفة السياسة الاجتماعية، بالإضافة الى الوظيفتين السابقتين " معالجة المشاكل الاجتماعية الناتجة من التراكم الرأسمالي وتأمين استمرار عملية النمو الاقتصادي "، وظيفة توزيع ثمار النمو وارتفاع الانتاجية بالاستناد الى مفاهيم قيمية من قبيل مفهوم الحقوق الاجتماعية التي

185- نجيب عيسى، دولة الرفاهية الاجتماعية، ندوة فكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٣٥

اصبحت جزءا من شرعة حقوق الانسان ومفهوم العدالة وإتاحة فرص متساوية أمام جميع المواطنين، ما يجعل دولة الرفاهية الاجتماعية تتميز بارتفاع حصة القطاع العام من الناتج المحلي الاجمالي، وارتفاع حصة الإنفاق الاجتماعي من الانفاق العام، وآليات لإعادة توزيع الدخل بشكل يضيق من التفاوت بين مختلف الفئات الاجتماعية.

إن الاهتمام بدولة الرفاهية الاجتماعية في الدول الصناعية المتقدمة كان نتيجة عاملين: ١٨٦

الاول: الازمة الاقتصادية البنوية التي تعرضت لها الدولة الرأسمالية والتي تمثلت في أزمة عام ١٩٢٩ التي بدأت في الولايات المتحدة الامريكية ثم انتقلت الى باقي الدول الرأسمالية الصناعية، وهنا جاءت الكينزية لتقدم الحلول من أجل صيانة النظام الرأسمالي وضمان تطوره بعد اجتيازه الازمة، وبالتالي ظهرت الدولة التدخلية التي شاعن في الدول الصناعية المتقدمة بعد الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الستينات في القرن الماضي.

الثاني: الرغبة الجامحة في مواجهة النموذج الاشتراكي الذي تبلور وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية في النموذج السوفياتي، وتأتي دولة الرفاه في شكلها المعاصر في إطار المنافسة بين نظامين الرأسمالي والاشتراكي. ونتيجة المساومة التاريخية بين أرباب العمل والنقابات برعاية الدولة. ولهذا نجد أنه ما أن سنحت الفرصة للبرالية الاقتصادية الجديدة لأن تتقدم بسبب عجز الكينزية تقديم حلول لمشكلات الركود التضخمي في أواخر الستينات في القرن الماضي وحالات الضعف التي أصابت الحركة العمالية ، حتى تقدمت لتضع برامجها موضع التنفيذ والذي تمثل في نجاح المحافظين في إنكلترا وتولي مارغريت تاتشر عام ١٩٧٩م ونجاح ريغان والجمهوريين في انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٨٠م.

أن مفهوم دولة الرفاه يختلف عن مفهوم الدولة التدخلية في الاقتصاد، لان الدولة يمكن ان تتدخل في الاقتصاد من دون ان تتمكن أو تى ترغب في إقامة دولة رفاه، وتطور هذا النموذج في سياق المشكلات الاجتماعية التي واجهتها النظم الرأسمالية ورغبتها في تفادي أن يؤدي الصراع الطبقي الى حل على النمط

186- منير الحمش، دولة الرفاهية الاجتماعية ، الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦، ص ١٣٨

السوفيياتي أو بأستلهم الفكر الماركسي التقليدي، والواقع ان الاهتمام بالمشكلة الاجتماعية أثير على المستويين المحلي والدولي، فمثلا منظمة العمل الدولية التي نشأت أيضا في أعقاب الحرب العالمية الاولى وكانت معنية ببلورة نموذج للتعاون بين أطراف عملية الإنتاج، أي العمال وأرباب الاعمال وبمشاركة الدولة، وأثمر هذا التعاون مجموعة ضخمة جدا من الاتفاقات الدولية المتعلقة بحماية العمل والعمال ورعايتهم اجتماعيا وصحيا، وقد ولجت الى هذا الموضوع إما من مدخل حقوق الانسان وعلى الاخص الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، أو مدخل السلم والامن الدوليين على أعتبار أن الصراع الطبقي قد يؤدي الى الاضرار بالسلم الدولي^{١٨٧} وبعد انهيار النموذج الاشتراكي السوفيياتي، واندلاع العولمة التي تعتبر الليبرالية الاقتصادية الجديدة جوهرها الاقتصادي، بدأ الحديث عن الطريق الثالث كمحاولة لاستمرار الدولة الرأسمالية الصناعية المتطورة والمحافظة على جوهرها بتقديم المعونات والضمان الاجتماعي وضمان حدود معينة من تدخل الدولة في الشأن الاقتصادي والاجتماعي، لينسجم ذلك مع الدعوة الى العولمة^{١٨٨}.

187- حسن نافعة، دولة الرفاهية الاجتماعية، الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٣٩
188- نفس المصدر

الفصل الثاني

نشوء وتطور دولة الرفاهية

دولة الرفاهية هي نموذجا لمجتمع رأسمالي متقدم، نضجت فيه التكوينات الطبقيّة والتنظيمات الحزبية وحقق مستوى مرتفعا من النمو الاقتصادي والإنتاجية، ولكنه كان مصحوبا بفوارق واسعة في توزيع الدخل والثروة، صارت تشكل تهديدا للتقدم الاقتصادي ذاته، ومن هنا بحثت الرأسمالية عن حل لا يمس الأركان الأساسية للنظام الرأسمالي، فظهرت دولة الرفاه. ويتضمن هذا الفصل مبحثين وهما:

المبحث الاول.... تاريخ نشوء دولة الرفاهية.

ويتضمن المبحث الثاني ... تطور دولة الرفاهية.

المبحث الاول : نشوء دولة الرفاه ١٨٩

هل كان في التاريخ الانساني بروز دولة رفاهية لصالح الافراد او المجتمع؟

بالتأكيد أن الجواب يكتنفه الغموض، لان دولة الرفاهية الاقتصادية تعني إيجاد تنظيم أسس دولة مؤمنة بالرفاه الاقتصادي أولا، وثانيا وجود مجتمع عامل يتفاعل مع الرفاهية، وهذين العاملين لن نجد لهما طريقا في العصور القديمة، ولكن بعد التطور الكبير في تعلم الانسان الزراعة وتطويرها، ثم الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر حدا بالمجتمعات تناول الرفاهية كجزء أساسي في برنامجها الاقتصادي والابتعاد عن الانتكاسات الاقتصادية الحادة.

كما كان من بين الاستجابات الاكثر دلالة للكساد الكبير في الولايات المتحدة اقامة ما سمي فيما بعد (دولة الرفاهة) وهي تسمية اطلقت على الموافقة المحدودة احيانا، والادانة والاستنكار في اغلب الاحيان، وربما كانت هذه هي الظاهرة التي بقيت أكثر من غيرها مما سمي (ثورة روزفلت) ولكن الولايات المتحدة لاتستطيع ان تزعم انها راعية تطور هذه الدولة. فلقد سبقتها في الاخذ بها، في كثير من جوانبها، دول أخرى غيرها. ومن اجل ان يحيط المرء بالمصادر القرينية والفكرية لهذا التغيير البالغ الدلالة في الحياة الاقتصادية ينبغي ان يعود الى أوروبا، وأن يرجع في التاريخ الى نصف قرن كامل، فقد ولدت (دولة الرفاهة) في المانيا في عهد الكونت أوتون

189-جون كينيث جالبريت- تاريخ الفكر الاقتصادي- الماضي صورة الحاضر- عالم المعرفة- الكويت- ١٩٧٨ ص ٢٢٧- ٢٢٧

فون بسمارك (١٨١٥-١٨٩٨). ففي ثمانينات القرن التاسع عشر لم يتعثر العمل الاجتماعي في ألمانيا نتيجة للقيود الراديكالية والكلاسيكية بشأن دور الدولة، ولقد كان الاقتصاديون الألمان معنيين بالتاريخ، ولم يكن عملهم بوجه عام مصدرا للتحذير الجاد بشأن التدخل الحكومي، ووفقا للتراث الروسي والألماني كانت الدولة تتسم بالكفاءة والنفع، وتتمتع بمكانة عالية وما كان يعتبر الخطر الرئيسي في ذلك العصر هو اليقظة المتزايدة للطبقة العاملة الصناعية التي تنمو بسرعة، والتي تفتح بوضوح على الافكار الثورية، ولاسيما الافكار النابعة من مواطنها الذي كان قد رحل مؤخرا (كارل ماركس). وكمثال واضح للخوف من الثورة باعتبارها باعثا على الاصلاح سعى بسمارك الى التخفيف من حدة المظالم الاكثر قسوة للرأسمالية. ففي الفترة بين العامين ١٨٨٤-١٨٨٧، وبعد مناقشات مطولة أعتمد الرايشستاغ تشريعات توفر بشكل أولي تأمينا ضد الحوادث والمرض والشيخوخة والاعاقة. وأعقب ذلك اتخاذ اجراءات مماثلة، وان تكن بصورة جزئية في النمسا والمجر وغيرهما من دول اوروبا. ومن يعترضون الآن على دولة الرفاهية يستندون الى تراث تاريخي طويل. كما ان المناقشة الدائرة حول جدوى هذه السياسة ومدى مشروعيتها ترجع الآن الى مائة سنة كاملة.

وقد جاءت فترة اكثر شمولا، ومن بعض النواحي أكثر تأثيرا في هذه العملية في بريطانيا بعد خمسة وعشرين عاما من المبادرة الكبرى التي قام بها بسمارك. ولم يكن هذا التحرك في انكلترا نتيجة للخوف من الثورة بقدر ما كان نتيجة للآثار الواعية والمطلعة التي قام بها رجال ونساء ومنظمات من امثال سيدني وبياتريس ويب، ه. ج. ويلز، جورج برناردشو. والجمعية الفابية والنقابات العمالية التي كان قد أصبح لها في ذلك الوقت نفوذ كبير وصوت مسموع. وتحت رعاية لويد جورج الذي كان وزيرا للخزانة، صدرت في العام ١٩١١ تشريعات للتأمين ضد المرض وأعتلال الصحة، ثم التأمين ضد البطالة. وكان قد سبق ذلك صدور قانون بشأن نظام للمعاشات التقاعدية للشيخوخة، ولم تحدد طبيعة المشتركين فيه، وفي الوقت نفسه لم ينص على الضرائب اللازمة لتوفير اعتماداته، وكان النص البريطاني بشأن تعويض البطالة يمضي الى أبعد من سابقه الألماني، والذي كان لويد جورج قد

تقصى جوانبه بنفسه، والواقع ان المانيا لم تكن حتى العام ١٩٢٧ قد طبقت التامين ضد البطالة.^{١٩٠}

وعندما تضمنت ميزانية العام ١٩١٠ الاجراءات الضريبية المصاحبة لتشريعات الرفاهية في بريطانيا، ثارت نزاعات وضغوط سياسية لم يسبق لها مثيل، وأدى ذلك الى اجراء انتخابات في العام ١٩١٠، والى ازمة دستورية خطيرة لم تتمكن حكومة حزب الاحرار من التغلب عليها في مجلس اللوردات الا بالتهديد بمنح لقب (نبيل) لعدد من الاشخاص يكفي للموافقة على الضرائب اللازمة، ولكن كانت تدابير الرفاهية التي اتخذت في بريطانيا وكذلك في المانيا قد حمت الفئات المحظوظة من هجوم اكثر عنفا في وقت لاحق، فان هذه الفئات لم تستطع ان تدرك بسهولة في ذلك الوقت الحاجة الى هذه التدابير. ويمكن ان يقال بكل صدق ان انتصار لويد جورج في العامين ١٩١٠ و ١٩١١ قد مهد الطريق للاجراءات التي اتخذتها أمريكا بعد ذلك بربع قرن. وقد كانت بريطانيا هي الموطن للأرثوذكسية الكلاسيكية، ولكنها قبلت الان، مع كثير من التردد. هذا التعديل الجوهري في النظام وبالتحديد هذا التخفيف من قسوته، وهو تخفيف جوهري حقا. وذلك نموذج كان على الولايات المتحدة محاكته.

كما ان المواقف الكلاسيكية تجاه تشريعات الرفاهية في بريطانيا قد خففت كثيرا من غلوائها في السنوات التي اعقبت مبادرة لويد جورج. ففي العام ١٩٢٠ نشر (آرثر بيجو)^{١٩١} كتابه الاساسي في الاقتصاد والذي يعتبر النظر لكتاب (المبادئ) الذي وضعه مارشال قبل ثلاثين عاما، وكان من الامور ذات الدلالة أنه أطلق عليه اسم (اقتصاديات الرفاهية)^{١٩٢}

ولم يكن بيجو ممن يأخذون بالتجديدات الراديكالية، وحتى وقت متأخر ، يرجع الى العام ١٩٣٣، كان يؤكد انه مع توافر المنافسة الحرة الكاملة التي كان يفترض وجودها بوجه عام وان لم يكن بصورة كاملة يكون هناك دائما اتجاه قوي نحو العمالة الكاملة، وما يشهده اي وقت من بطالة كهذه انما يرجع بالكامل الى المقاومات الاحتكاكية التي تؤدي الى الحيلولة دون حدوث التوفيق المناسب بين الاجور

190- نفس المصدر (جون كينيث)
191- (١٨٧٧-١٩٥٩)، خليفة الفريد مارشال في كل من مكانته العلمية ومنصبه المهني في جامعة كامبريدج. (الباحث)
١٩٢- ماكميلان - اقتصاديات الرفاهية - لندن ١٩٢٠

والاسعار على الفور . ولكنه كان بعيدا عن النظرية الكلاسيكية في نقطة جوهرية، فالنظرية المتشددة كانت ترى دائما – واستمرت ترى حتى بعد بيجو- ان المنفعة الحدية للنقود لمن يملكها من الافراد، على خلاف المنفعة الحدية لكل سلعة على حدة لاتتناقص، بل انها تظل على حالها، فالمزيد منها لايعطي اشباعا أقل نتيجة للوحدة المضافة. وكانت النظرية السائدة ترى ان المنافع المتبادلة بين الاشخاص غير قابلة للمقارنة. فمع زيادة الكميات من سلعة معينة يحصل المستفيد على اشباع متناقص من الزيادات التي تطرأ. ولكن لايمكن ان يقال ان الشخص الذي لديه سلع اكثر يكون لديه اشباع اقل من اي زيادة من الشخص الذي لديه سلع أقل. ومشاعر الاشخاص المختلفين لاتقبل المقارنه ، ذلك ان اجراء مقارنات كهذه يعني انكار ما للعواطف من عمق وما تتسم به من تعقيد، وهو مايعد انطارا لكل اشكال التفكير العلمي الذي يطمح اليه الاقتصاديين ذوي السمعة الحسنة.¹⁹³

ومهما بدا ذلك مقصورا على فئة محدودة فقد كان له تاثير عملي ملموس، اذ كان يعني انه ليس ثمة أساس اقتصادي قوي لتحويل الدخل او الثروة المتركمة من الاغنياء الى الفقراء، فتقدير الاغنياء للنقود واستمتاعهم بها لايقلان مع زيادة الحجم، وعلى ذلك لايمكن ان يقال ان الاغنياء بحكم غناهم تكون معاناتهم نتيجة لفقد الثروة الحدية او الدخل الحدي أقل من معاناة من هم اقل غنى. كما لايمكن ان يقال ان الاشباع من الاستهلاك الذي تخلوا عنهبقل عن الاشباع – اي المنفعة- التي يحصل عليها الفقراء. ومن ناحية النظرية الاقتصادية البحتة كانت تلك مقارنة غير مشروعة. وعلى ذلك فان الاقتصاد الكلاسيكي لايقود اجراء اعادة توزيع الدخل. وهنا نصل الى النقطة الجوهرية في صورة او أخرى وهو ان تدبير الرفاهية تتضمن دائما اعادة توزيع من هذا القبيل، ولذا فان النزعة الأرثوذكسية الكلاسيكية ظلت معارضة لها. وبالنسبة للاغنياء كان ذلك مرة اخرى استنتاجا مريحا للغاية¹⁹⁴

وفر بيجو سبيلا للخلاص من نهج الفكر الكلاسيكي. اذ رأى انه مادام الانتاج الكلي لاينخفض بسبب هذا الاجراء، فان الرفاهية الاقتصادية اي مجموع الاشباع المستمد من النظام تتعزز بتحويل بعض الموارد المتاحة (القابلة للانفاق) من الاغنياء الى الفقراء. ورأى ان المنفعة الحدية للنقود تتخفض بزيادة الكمية، وعلى ذلك فان الاسرة

193- مصدر سابق (جون كينيث)

194 - نفس المصدر (جون كينيث)

الفقيرة تحصل على استمتاع اكبر مما تحصل عليه الاسرة الغنية نتيجة لحدوث زيادة في الدخل، وما توفره هذه الزيادة من سلع. ولم تكن تلك ضربة قاضية للمواقف الارثوذكسية، فقد ظلت هناك شكوك فيما يتعلق بمقارنة المنافع المتبادلة بين الاشخاص، وما زالت هذه الشكوك قائمة حتى الان بدرجة ما، ولكن آراء بيجو اعطت تأييدا قويا لاعادة توزيع الدخل التي تنطوي عليها تدابير الرفاهية. وقد جاء هذا من داخل الفكر السائد المستقر، وكانت هذه الثغرة في الارثوذكسية الكلاسيكية احد العوامل التي ساعدت على التحرك نحو دولة الرفاهية.¹⁹⁵

في منتصف ثلاثينات القرن العشرين هبط على واشنطن عدد كبير من الاقتصاديين الشبان والى جانب تركيزهم الاساسي في وزارة الزراعة - حيث شغل ريكفورد توجويل منصب وكيل للوزارة ولم يكن ذلك مصادفة - لوحظ انتشار هؤلاء الاقتصاديين في اجهزة حكومية اخرى، وبسببهم اكتسبت عبارة (استاذ جامعي) professor بالنسبة للكثيرين مغزى سياسيا يثير الازدراء يشبه الى حد ما تعبير (منحرف جنسيا) وتاما مثلما انتقل الاقتصاديون الزراعيون - الذين كانت الدوائر الاكاديمية تعفيهم من القيود الكلاسيكية- ليتولوا المسؤولية عن السياسة والادارة الزراعية، فذلك كانت الحال بالنسبة للاقتصاديين المؤسسين- الذين كانوا قد أعفوا ايضا من القيود الكلاسيكية- اذ اخذوا على عاتقهم الدعوة الى دولة الرفاهية وارساء قواعدها.¹⁹⁶

وبينما كان هناك سابقون على هؤلاء في اماكن اخرى - ايفلين م. بيرنز (1900-1985) في جامعة كولومبيا، بول ه. دوجلاس (1892-1976) في جامعة شيكاغو- فان جامعة وسكونسن كانت هي مصدر كل من الآراء والمبادرات العملية التي تعتبر الاساس لتشريعات الرفاهية. ويعتبر جون كومنز (1862-1945) الاستاذ في تلك الجامعة، الشخصية الامريكية المناظرة لبسمارك ولويد جورج.¹⁹⁸

وكان كومنز في سنوات نضوجه هو الناتج النهائي للامع والفائق التأثير لمرحلة دراسية مضطربة وذات سجل اكايمي كان محبطا في البداية، وقد حمله عمله في

195 - شيحة، مصطفى رشدي، د - الاقتصاد العام للرفاهية - الدار الجامعية للطباعة والنشر - بيروت 1993

196 - مصدر سابق (جون كينيث)

197 - شرع في الجمع بين سجل اكايمي مرموق وسجل سياسي مميز باعتباره احد أعضاء مجلس الشيوخ الامريكي. (الباحث)

198 - مصدر سابق (جون كينيث)

الفترة الاخيرة الى سلسلة من الكليات والجامعات في الغرب الاوسط والشرق من الولايات المتحدة- أوهيو ويسليان، وأوبرلين، وجامعة انديانا، وجامعة سيراكيز. وكما حدث في حالة فيلان فان هذه الجامعات وجدت من الانسب ان ينتقل كومنز للتدريس في مكان اخر وربما لم يكن مما يلفت النظر انه كان يفصل من الجامعات اكثر مما كان يعين فيها. وكان هناك أشخاص عملوا على انقاذ كومنز، من بينهم ريتشارد ت. ايلي (١٨٥٤-١٩٤٣)، وهو من الشخصيات الرائدة في الانشقاق الاقتصادي الأمريكي، والذي كان من قبل مؤسسا للرابطة الاقتصادية الامريكية، وفي نهاية الامر قام ايلي باحضار كومنز الى جامعة وسكونسن، حيث الف كتبا تتميز بالاطلاع الواسع، وتتناول بوجه عام وتعالج بصورة غير مطردة تأثير المنظمات، بما فيها الدولة، في المواطن، وتضمنت تلك الكتب تفاصيل الاساس القانوني لهذه العلاقة وتاريخها في الفكر والممارسة عبر القرون.

وكان انجازه الاكبر هو جمع وقيادة حاشية من الزملاء والطلاب الانكباء المخلصين الذين لم تكن تشغلهم الآراء الارثوذكسية الكلاسيكية، وشرعوا معا بطريقة عملية في التصدي للمظالم الاجتماعية الواضحة في تلك الفترة وكانت ادواتهم الرئيسية هي حكومة وسكونسن في ماديسون والتي كان يسيطر عليها أعضاء من الاسرة الحاكمة، وكانت خطة وسكونسن وهي انجاز مشترك بين رجال الاقتصاد ورجال السياسة تشمل قانونا رائدا للخدمة المدنية في الولاية، والتنظيم الفعال لاسعار خدمات المرافق العامة وتقييد اسعار الفوائد الربوية، وتأييد حركة النقابات العمالية، وفرض ضريبة الدخل في الولاية، وأخيرا في العام ١٩٣٢ وضع نظام للتعويض عن البطالة في الولاية.^{١٩٩}

وكانت خطة المعاشات التقاعدية، وهي خطة ذات نطاق متواضع للغاية، ترمي الى تكوين احتياطات من ضريبة نوعية على الاجور تغطي الجانب الاكبر من المطالبات عندما يصل معظم العاملين في الوقت الحالي الى سن التقاعد، ونظرا لان الولايات المتحدة كانت لاتزال تعاني انكماشاً حاداً، فان هذه الضريبة كانت ذات طبيعة انكماشية واضحة، اذ كان القدر الذي يستبعد من تيار القوة الشرائية أكبر من القدر العائد في المعاشات التقاعدية الجارية. وكان البديل اي ان تدفع المبالغ

المطلوبة من الميزانية الفيدرالية العامة، ان يؤدي ذلك الى زيادة العجز، او يتطلب زيادة أقل في الضريبة النوعية، وربما زيادة في ضريبة الدخل، وقد كان الاحتمال الاول مستبعدا نتيجة للالتزام الاقتصادي المستمر بالتمويل المتحفظ، كما كان الاحتمال الاخير مستبعدا ايضا نتيجة للمقاومة السياسية لفرض ضرائب على الاكثر ثراء لمصلحة الاقل ثراء، وعلى الشباب لمصلحة كبار السن، ومنذ ذلك الحين استمر سريان المبدأ القائل ان حسابات التأمينات الاجتماعية، اي المعاشات التقاعدية لكبار السن، يجب ان تعتمد على الضرائب الخاصة بها.²⁰⁰

اما جماعة الاعمال التي تحتاج آراؤها الى اشارة خاصة، فلم تبد هذا القدر من التسامح، وليس هناك تشريع في التاريخ الامريكي هوجم بقدر من المرارة من جانب المتحدثين بأسم دوائر الاعمال يمثل ما هوجم به (قانون التأمينات الاجتماعية) المقترح ، وقد حذر (مجلس المؤتمر الصناعي الوطني) من (التامين ضد البطالة لايمكن ان يوضع على اساس مالي سليم) وقالت الرابطة ان هذا القانون سييسر (السيطرة الاشتراكية في نهاية الامر على الحياة والصناعة)، كما ان الفريد ب سلون الصغير، الذي كان في ذلك الوقت الرئيس المسيطر على شركة جنرال موتورز، أكد في عبارة قاطعة (ان مخاطر هذا القانون باقية للعيان)، وأعلن جيمس ل. دونلي من (رابطة رجال الصناعة في الينوي) انه مخطط لتقويض الحياة الوطنية (عن طريق القضاء على روح المبادرة، وتثبيط الاقتصاد في الانفاق، وخنق المسؤولية الفردية)، وقال تشارلز دينبي الصغير، من (رابطة المحامين الامريكيين)، (ان هذا القانون سيؤدي عاجلا او آجلا الى التخلي الحتمي عن الرأسمالية الخاصة).²⁰¹

وفي صياغة شاملة لهذه المواقف جميعا كتب آرثر م. شلزنجر الصغير يقول (مع تطبيق تأمين البطالة لن يعمل احد، ومع تطبيق تأمينات كبار السن ومن هم على قيد الحياة لن يدخر أحد. وستكون النتيجة التحلل الخلقي والافلاس المالي وانهايار الجمهورية)، وتحدث جون تاير نائب شمال ولاية نيويورك في الكونجرس مدافعا عن المعارضة التي تبديها دوائر الاعمال فقال: (لم يحدث في اي وقت في تاريخ العالم ان قدم هنا اي تدبير كهذا يرمي الى الحيلولة دون الانعاش الاقتصادي وأستعباد العمال ومنع اي امكان لقيام اصحاب الاعمال بتوفير العمل للناس)، وكان

200- نفس المصدر (جون كينيث)

201- نفس المصدر (جون كينيث)

احد زملائه، وهو النائب دانيال ريد اكثر وضوحا فقال: (اننا سنشعر فوق ظهورنا بسوط الجلاد) وصوتت المعارضة الجمهورية بكاملها، بعدم الموافقة على القانون، ولكن عندما وصل الى مجلس النواب كان هناك رأي آخر مخالف تماما، فقد قبله المجلس بأغلبية هائلة ٣٧١ صوتا ضد ٣٣ صوتا. ٢٠٢

وجاء سيل مستمر من مظاهر القلق والشكوى من جانب من رأوا في تدابير الرفاهة عدوا طبيعيا للمؤسسات الحرة ومدمرا للحوافز التي تسيير عجلتها، وفي ايام لاحقة زادت الحكومات ذات النهج المحافظ الصريح في الولايات المتحدة وبريطانيا من حدة هذا القلق وجعلته نغمة عالية، وظهر الى جانبهم من يكررون – مع التظاهر بالجد – ما سبق ان نادى به بنتنام وسبنسر ووليم جراهام سومنر. ٢٠٣

ومع هدوء مايشعر به المحرومون من الملكية من الغضب، هدأت مشاعرهم نتيجة لتدابير دولة الرفاهة نفسها، مثلما هدأت المخاوف البسماركية من الثورة، أما الاشتراكية التي واجهت مشاكل عميقة الجذور في الاداء، فقد تضاءلت كبديل محتمل. وكانت النتيجة ان اشدت الهجوم الصريح على تدابير الرفاهة، ولكن بدرجة ملحوظة لم تترجم العبارات الطنانة الكبيرة والمنتشرة الى عمل على ارض الواقع، ولم يحدث ذلك في اي مكان في العالم الصناعي. وعندما واجه المشرعون الاداريون الواقع، بما في ذلك النتائج السياسية الاكيدة لمحاولات تفكيك دولة الرفاهة، لم يلبث المسؤولون ان تراجعوا. ٢٠٤

202 - آرثر شيلزنجر The Age of Roosevelt: Vol. 2. The Coming of the New Deal (بوسطن: هوتون ميغلين ١٩٥٨، ص ٣١١-٣١٢)

203 - جورج جيلدر Wealth and Poverty (نيويورك: بيزيك بوكس، ١٩٨١)

204 - The Triumph of politics - دافيد ستوكمان - نيويورك: هاربر أندرو، ١٩٨٦

المبحث الثاني: تطور دولة الرفاه

وضع لينين كتابه (الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية) على خلفية التحضيرات للحرب العالمية الاولى التي بدأت في ألمانيا. ووجه نقاشه لقائد الاممية الثانية، المفكر كارل كاوتسكي، زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، الذي دعم الحرب مدعيا انها حرب بين الامم تتطلب من الشعب التجند دفاعا عن الوطن، ورفض التحديد بأن الرأسمالية أستنفذت نفسها. لينين من جهته ادعى ان سبب الحرب كامن في أن رأس المال المالي والصناعي في ألمانيا كبر جدا، ولكنه لم يجد لنفسه مكانا في العالم يتوسع اليه بعد ان تم تقسيم العالم بين الدول الاستعمارية العظمى، وتحديدا بريطانيا وفرنسا. وفسر لينين الحرب بانها محاولة لاعادة تقسيم العالم بالقوة، ناجمة عن تغيير في موازين القوى بين الدول العظمى.

وعاد لينين الى تحليل ماركس بهدف تحديد المرحلة التي تمر بها الرأسمالية، حسب تحليل ماركس الرأسمالية تميل للتطور من منافسة حرة الى التمرکز او الاحتكارات العالمية التي هي النقيض التام للمنافسة، وهي اقرب شكلا للنظام الاقتصادي الاشتراكي . لينين الذي يثبت بأحصائيات من فترته صحة الاتجاه، يشير الى ان المصانع الكبرى التي صدمت في الازمات الدورية، توصلت لضرورة احتكار السوق بهدف تنظيمه والتحكم بالعرض والطلب ومنع انهيار الاسعار الناجم عن المنافسة الحرة، الاحتكارات الصناعية في تلك الفترة اضطرت ان تبحث عن رأس المال الكبير والمواد الخام في كل مكان في العالم بعد ان عجزت الدولة عن اشباع طمعها، الى جانب ذلك نما رأس المال المالي (المصرفي) الفائض الذي بحث لنفسه عن اماكن للاستثمار حتى في الدول المستقلة التي احتاجت للديون.

وأذا ما اعتبرنا ان الرأسمالية هي نوع من دول الرفاه في العالم فأنها قد استفردت في دوليتها المعاصرة بالبشرية، وكمحور كل نشاطاتها وبخاصة الاقتصادي منها، حول القيمة المحورية، اي القيمة السلعية. حيث يخضع الكل الاجتماعي لأحد مفرداته التاريخية : السوق، حيث التجارة كمجال لتحقيق الربح النقدي الفردي، الذي هو هدف المشروع الرأسمالي، وبخاصة في مشكلة التاريخ المعاصر، اي تشكل الاحتكارات الدولية النشاط، في انتماها الى مجموعات متباينة النشاط، مجموعات

مالية عملاقة تستهدف في بحثها عن الربح النقدي، عبر استقطاب الثروة، كل المجتمع الدولي بثلاثية اجتماعية تدور حول الربح النقدي.

*- **اقتصاديا**، بتصيد كل ماهو قوة شرائية يمكن ان تمثل طلبا على سلع تتبعها أيا كان المشتري وأيا كان مكان وجوده على خارطة الكرة الارضية، وانما بكينونته كفرد يحرم من كل سند جماعي وينتزع من كل انتماء اجتماعي، اي مع اختزاله الى مجرد اضافة حدية لرقم اعمال المشروع الاحتكاري.

*- **وسياسيا**، بلقنة الدولة القائمة بتوقيتها الى وحدات خاضعة واهية ومتصارعة.

*- **وأجتماعيا**، بشرذمة المجتمعات الى جزئيات عرقية وطائفية لاهية عن وجودها بعداءاتها البدنية المنافية للوجود الاجتماعي.^{٢٠٥}

هذه الثلاثية الاجتماعية المميزة لحركة رأس المال الدولي تتبلور عبر صراع عالمي بين نماذج ثلاثة للرأسمالية:^{٢٠٦}

النموذج الاول: هو رأسمالية الليبرالية الأنغلو ساكسونية الجديدة التي تطلق العنان لقوى السوق التي تمتطيها الولايات المتحدة الامريكية، وهي ليبرالية ترث الليبرالية البريطانية منذ منتصف القرن التاسع عشر، مع فارق كفي تاريخي، اذ بينما كانت بريطانيا تدعو اليها بقفازات الدبلوماسية الاستعمارية ذات البوارج الحديثة، تقذف الولايات المتحدة الامريكية بالليبرالية الجديدة عبر بربرية لقوى السوق، تعززها عند الضرورة ترسانة الحروب المالية وقائمة العقوبات الدولية (الاقتصادية وغير الاقتصادية) وسطوة المنظمات الدولية بضغوطها المالية والقانونية، وترسانات السلاح، مع ما تنتهي اليه هذه الترسانات الى عسكرة مباشرة وصريحة للعلاقات الدولية.

النموذج الثاني: الذي يعوق عملية الصراع هذه على الصعيد الدولي هو نموذج رأسمالية الدولة (الحانية) الاوروبية (دولة الرفاهية الاجتماعية) وهو نموذج لرأسمالية تيقنت عبر صراعات القوى الاجتماعية أواخر القرن التاسع عشر، أن الحيلولة دون التعبير على حساب رأس المال لا يتحقق الا بدور للدولة الرأسمالية تتضمن بعد التوازن ليس في توزيع الثروة، وانما في نمط توزيع الدخل تصحيحا

205- محمد دويدار، العولمة الاقتصادية، مقولة علمية ام مقولة أيديولوجية؟،

206- محمد دويدار، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٦

للأداء المعوج لقوى السوق، وكذلك للحد من عمل قانون النمو الغير متوازن عبر تقلبات الدورة الاقتصادية، بما تتضمنه من تقلبات في مستوى تشغيل قوى الانتاج البشرية والمادية ومستوى الدخل، وما يتضمنه ذلك من بطالة للقوة العاملة وتعطل للطاقة الانتاجية المادية. وهو نموذج لايسلم الان من أزمة اجتماعية- سياسية يعيشها رأس المال- بين تناقضاته مع القوى الاجتماعية الاخرى في داخل كل بلد أوروبي- وتناقضاته في داخل الاطار الاوروبي، وتناقضاتها مع رؤوس الاموال الدولية الاخرى، اي على الصعيد الدولي.

النموذج الثالث : في عملية الصراع الدولية هذه فهو نموذج رأسمالية الدولة التوجيهية الساعية الى افادة المشروع الرأسمالي من أخلاقيات العمل في المجتمع القديم والحريصة على الحد من التناقض بين المشروعات بقصد تحقيق أداء أكفأ، وبخاصة على صعيد السوق الدولية، ليس فقط كقوة تصديرية وانما كذلك كقوة مالية، ونحن هنا بصدد نموذج الرأسمالية اليابانية الذي بدأ في العقدين الاخيرين يعوق أزمة محاولة انفكاك من تناقض الانغماس الفعلي في عادات عمل الاجير ووهم الابقاء على عادات العمل السابقة على الرأسمالية، في اطار من التغيرات الكيفية المعاكسة في اقتصاديات شرق وجنوب شرق آسيا.

في خضم هذا الصراع المركب تتبلور الخصائص الموضوعية لعملية تراكم رأس المال على الصعيد الدولي، التي نركز في داخلها على نموذج الدولة الحانية او ما أطلق عليها دولة الرفاهية الاجتماعية. لرسم ابعاد العملية التاريخية التي أدت الى ظهورها مع منتصف القرن العشرين، متضمنة في الوقت ذاته بذور أزماتها مع نهايات هذا القرن.

نعلم ان التطور الرأسمالي تمحور طوال القرن التاسع عشر حول بناء الاساس الصناعي في الاقتصاديات الرأسمالية التي اصبحت اقتصاديات سلعية متقدمة، وخلق السوق الرأسمالية الدولية بأحتواء بقية المجتمعات عبر تغلغل رأس المال، بعدوانية متعددة الابعاد والوسائل، في هياكل المستعمرات وأشباه المستعمرات لتحويلها الى اقتصاديات سلعية تتحول فيها وسائل الانتاج الاساسية : الارض، وقوة العمل، الى سلعة، وتجري تعبئة جل الفائض الاقتصادي الذي تنتجه في شكله التقليدي او في أشكاله الجديدة، نحو الاقتصاديات الرأسمالية المتبوعة، بطريقة

مباشرة او غير مباشرة عبر علاقات التبادل التي يبورها نمط اول لتقسيم العمل على الصعيد الدولي وتطور الصناعة، بما يصاحبه من ثورة زراعية ثانية في شكلها الرأسمالي، بما يعني التزايد المتسارع للطبقة العاملة كليا، في شكل تجمعات كبيرة في دوائر متزايدة الاتساع، تتم في بلدان غربية تدخل في مراحل تاريخية متتالية في عملية تحقيق الشروط التاريخية للانتاج الرأسمالي: بريطانيا، هولندا، فرنسا، الولايات المتحدة الامريكية، المانيا، الامر الذي يعني تعدد الاقطاب الرأسمالية الاحتمالية والتناقض في داخل رأس المال الدولي.²⁰⁷

تتطور النظرية الاجتماعية باتجاهاتها الفلسفية كهاد للممارسة الاجتماعية، وتتطور التنظيمات الاقتصادية والسياسية للطبقات الاجتماعية المختلفة، وبخاصة في شكل الاحزاب السياسية والتنظيمات النقابية العمالية واتحادات الصناعات والتنظيمات النقابية المهنية، في اطار تطور الدولة القومية لتصبح الشكل التاريخي السائد للتنظيم السياسي للمجتمعات، ونكون هنا بصدد الدولة الرأسمالية في ظل اشكال تنظيمية قانونية مختلفة، وتتصارع الدول الغربية من اجل السيطرة على الاجزاء الاخرى من العالم والهيمنة على الاسواق الدولية، صراعا يجعل من الحرب شكلا رئيسيا للصراع، مع تغير مستمر في اشكالها وأهدافها ووسائلها، في اتجاه عولمة حقيقية لهذه الظاهرة في احضان التكوين الاجتماعي الرأسمالي، بدأ من الحرب العالمية الاولى، عبورا بالحرب العالمية الثانية، ثم وصولا الى الحرب الدائرة لبناء امبراطورية رأس المال الامريكي تحت شعار الحرب ضد (الارهاب)، وهي حرب تتخطى عولمتها حدود الغلاف الجوي للكرة الارضية مستخدمة المسارات الممكنة في الفضاء، ويصبح من الطبيعي ان يسود الاتجاه نحو العسكرة الحالية للعلاقات الدولية.²⁰⁸

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية يبرز في البلدان الرأسمالية المتقدمة عامل آخر يدفع الى المزيد من تدخل الدولة، وهذه المرة في المجال الديمغرافي، بعد ان أدت اتجاهات التغير السكاني مع التطور الاقتصادي الرأسمالي، بعد فترة الى تناقص معدلات النمو السكاني على نحو ادى الى نوع من الركود السكاني ابتداء من ثلاثينات القرن العشرين، وهو مايعني النقص النسبي في القوة العاملة امام الاجتياح

207- عبد الهادي، دلال. أم- ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت- الطبعة الاولى، 2006. ص 115
208- مصدر سابق (محمد دويدار)

الكبير لها، وبخاصة الى اعادة مدمرته الحرب في أوروبا الغربية، الامر الذي يدفع بالدولة الرأسمالية الى التدخل في مجال تجدد القوة العاملة. وكان تدخل الدولة في أوروبا الغربية ازاء الركود السكاني وتضاؤل معدل المواليد بعد الحرب العالمية الثانية في اتجاهين: الاول... العمل على زيادة معدلات النمو السكاني بتشجيع النسل عبر التأمين الصحي والتأمينات الاجتماعية الاخرى والسياسة السكانية. والثاني... فتح ابواب اقتصادياتها الوطنية امام تدفق القوة العاملة المهاجرة من المستعمرات القائمة او القديمة نحو الاقتصاد المتقدم الغربي، مع استمرار الولايات المتحدة الامريكية وكندا واستراليا في سياسة استقبال القوة العاملة المهاجرة على نحو انتقائي يحابي استنزاف العقول من الاجزاء الاخرى من العالم.²⁰⁹

ومن هذا يمكن جمع العوامل التي أدت تاريخيا الى ظهور الدولة الرأسمالية (الحانية) في الاقتصاديات الرأسمالية التي اصبحت متقدمة وبخاصة من ثلاثينات القرن العشرين وعلى الاخص مع منتصف القرن بما يلي :

١- ماصاحب التطور الراسمالي في البلدان الغربية من تطور كمي وكيفي للطبقة العاملة وتطور تنظيماتها النقابية والسياسية ، وتطورها من ثم كقوى مؤتمرة في حركة المجتمع، الامر الذي يتعين معه تفعيل الدور المحوري للدولة الرأسمالية المتمثل في تحقيق التوازن السياسي الذي يحول دون التغيير على حساب راس المال، وهو مايعني امكانية تحقيق حد ادنى من المطالب الاقتصادية والاجتماعية للطبقات العمالية.

٢- قد بلورت الحرب العالمية الاولى عاملا آخر أثر لفترة طويلة في سلوك الدولة في البلدان الرأسمالية الغربية، هذا العامل يتمثل في ما طرحته الحرب من امكانية تاريخية لخلق شروط لتنظيم اجتماعي بديل للرأسمالية،

٣- ان ما انتهى اليه التطور الراسمالي من تناقص معدلات النمو الاقتصادي في الزمن الطويل، وبخاصة في عز فترة الحرب الباردة، بضرورة العمل على زيادة هذه المعدلات، عن طريق نوع من تدخل الدولة رمز اليه بالتخطيط التأشيري، بدأتها

فرنسا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولاسيما مع وجود قطاع عام يقوم بنشاطات مادية ومالية وخدمية، ويؤدي دورا محوريا في الاقتصاد الوطني.²¹⁰

٤- ان ابرز مايجب التمعن فيه هو التلازم والترافق بين الليبرالية الاقتصادية والليبرالية السياسية، فعلى نقيض ما يأتي به أيديولوجيا الليبرالية، امثال فوكوياما، نجد ان الاصلاح باتجاه مزيد من الليبرالية قد تزامن مع انحراف الدولة باتجاه مزيد من القمع (قمع داخل المؤسسة الانتاجية من خلال القضاء على صلاحيات الأجراء وضماناتهم، و قمع في المجتمع من خلال التشدد في القوانين الجزائية والاجراءات الامنية).²¹¹

٥- ان التاكيد على الخصوصية التاريخية لدولة الرفاه عندما نتحدث عنها فاننا لانتحدث عن مجرد تدخل الدولة بتقديم خدمات رعاية او حماية اجتماعية، وانما نتحدث عن نموذج برز تاريخيا وبشكل متبلور في الدول الصناعية المتقدمة عقب الحرب العالمية الثانية، في خضم الصراع بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي، وفي سياق صراع طبقي محتدم، وفي اطار سعي الدول الرأسمالية الى ايجاد حل يقيها مخاطر التحول الى الاشتراكية، ولاسيما في مفهومها الماركسي.²¹²

٦- دولة الرفاهية هي اذاً نموذج لمجتمع رأسمالي متقدم، نضجت فيه التكوينات الطبقة والتنظيمات الحزبية وحقق مستوى مرتفعا من النمو الاقتصادي والانتاجية ولكنه مصحوبا بفوارق واسعة في توزيع الدخل والثروة، صارت تشكل تهديدا للتماسك والاستقرار الاجتماعي والسياسي، بل انها صارت تشكل تهديدا للتقدم الاقتصادي ذاته. ومن هنا بحثت الرأسمالية عن حل لايمس الاركان الاساسية للنظام الرأسمالي، فظهرت دولة الرعاية.²¹³

٧- لايمكن التكلم عن دولة الرفاهية بشكل عام، اي منذ أخذت الدولة في الغرب تمارس بعض التدخلات في المجال الاجتماعي، فمصطلح او مفهوم دولة الرفاهية الاجتماعية لاينطبق في الواقع الا على مرحلة معينة من المراحل التي مر بها الدور

210- مصدر سابق (دلال عبد الهادي)

211- فؤاد نهرا، استاذ جامعي في الفلسفة والعلوم السياسية- فرنسا

212- ابراهيم العيسوي، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز الدراسات العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦، ص ١٣٢

213- نفس المصدر (ابراهيم العيسوي)

الاجتماعي للدولة في الغرب. وبهذا الخصوص يمكن التمييز بين مراحل ثلاث مرت بها السياسات الاجتماعية في الدول الصناعية المتقدمة: ٢١٤

المرحلة الاولى ... جاءت فيها تدخلات الدولة في المجال الاجتماعي عبارة عن (خروقات) محدودة لمفهوم (الدولة الحارس) او (الدولة الشرطي) التي تسهر على الحفاظ على مبدأ (دعه يعمل دعه يمر). هذه الخروقات تهدف الى معالجة بعض المشاكل الاجتماعية التي رافقت عملية التراكم الرأسمالي في القرن التاسع عشر، التخفيف من معاناة الطبقة العاملة والفقراء من جهة، وتحسين شروط العمل وظروفه من جهة ثانية.

المرحلة الثانية ... جاءت فيها تدخلات الدولة في المجال الاجتماعي بهدف معالجة الازمات الاقتصادية التي أخذت طابعا حادا بلغت اقصاه مع ازمة عام ١٩٢٩م، واسنناف عملية النمو الاقتصادي وجعلها قابلة للاستمرار. والمقصود بهذه التدخلات مجموعة الاجراءات ذات المنحنى الكينزي التي تهدف الى دفع وزيادة الطلب الفعال وتأمين التشغيل الكامل، اي ان تدخل الدولة في المجال الاجتماعي أصبح يشكل شرطا ضروريا لاستمرار النشاط الاقتصادي.

المرحلة الثالثة ... هي المرحلة التي يصح الكلام فيها عن دولة الرفاه الاجتماعي في أكثر البلدان الغربية تقدما، حيث أصبحت فيها وظيفة السياسة الاجتماعية، بالاضافة الى الوظيفتين السابقتين (معالجة المشاكل الاجتماعية الناتجة من التراكم الرأسمالي وتأمين استمرار عملية النمو الاقتصادي)، وظيفة توزيع ثمار النمو وأرتفاع الانتاجية بالاستناد الى مفاهيم قيمة من قبيل مفهوم الحقوق الاجتماعية التي اصبحت جزءا من شرعة حقوق الانسان ومفهوم العدالة واتاحة فرص متساوية امام جميع المواطنين، مايجعل دولة الرفاهية الاجتماعية تتميز بارتفاع حصة القطاع العام من الناتج المحلي الاجمالي، وأرتفاع حصة الانفاق الاجتماعي من الانفاق العام، وآليات لإعادة توزيع الدخل بشكل يضيق من التفاوت بين مختلف الفئات الاجتماعية.

214- نجيب عيسى، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٣٥-١٣٦

الفصل الثالث

نماذج دولة الرفاه

يندرج التأمل في موضوع الدولة الراعية في فرنسا وألمانيا في إطار الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي أحدثها الطور الاخير للعولمة الرأسمالية.

فمنذ منتصف الثمانينات عم حديث الاقتصاديين حول مسألة أزمة نموذج المساومة الاجتماعية الذي كان ميزة الحقبات الاربع التالية لإعلان المبادرة الكينزية المتمثلة ب(سياسة الصفقة الجديدة)، أي أن الخطاب السائد حتى منتصف السبعينات كان في المجتمعات الاوروبية الغربية يتأرجح بين الرأسمالية الإصلاحية والمطالب الاشتراكية ، ولم تكن إمكانية تفكيك هذا النموذج مطروحة سوى في بعض الأوساط الأكاديمية التي تناولت نقض مقومات الاقتصاد الكينزي. أما نموذج المساومة الاجتماعية والتي تمت تحت سقف الرأسمالية، فقد انعكست على عدة مستويات مثل مستوى تنظيم العمل وعلاقات الإنتاج ومستوى إعادة توزيع الدخل القومي الذي شكّل الأساس الأول لمهمات دولة الرعاية بالمعنى الضيق للكلمة ومنها مستوى الاستثمار في النظام التربوي الذي هدف إلى إعادة النظر الى احتكار الطبقات الميسورة للتعليم العالي.^{21٥}

إعتاد العديد من علماء الاجتماع على اعتماد تعريف ضيق للدولة الراعية: فهي على حد تعريفهم الدولة التي تتولى مهمة تغطية المخاطر الاجتماعية الأساسية مثل المرض والبطالة والشيخوخة، الى مهمة إعالة الأسرة. وأنطلاقاً من هذا التعريف تطرح جانباً قضيتان أساسيتان من مهمات الدولة التدخلية وهما :

- * - قضية الانفاق على النظام التعليمي.
- * - قضية تنظيم العلاقات الإنتاجية عن طريق التشريعات المتعلقة بضبط وسير العمل داخل الوحدات الإنتاجية.

215- فؤاد نهر، النموذج الدولي الفرنسي والنموذج التعاوني الالمانى، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦

استطراداً توفر لنا التصنيف الشائع الذي قام به عالم الاجتماع إسبينغ أندرسن بين ثلاثة نماذج للدولة الراعية وهي:²¹⁶

أولاً: النموذج الليبرالي الذي تتميز به بريطانيا والذي تكتفي فيه الدولة بتأمين الحد الأدنى من الاحتياجات الاجتماعية تاركة الى القطاعات الأخرى – المؤسسة الانتاجية والشركات الخاصة مهمة تأمين مايزيد على ذلك الحد الأدنى. وبالرغم مما قيل عن خطة لورد بيفريدج (Lord Beveridge)، يبقى ان هذه الاخيرة تشكل اساس ذلك النموذج لأنه يفرض تغطية للمجتمع بأسره لكنها متوقفة على الضروريات، وأهمها النظام الصحي.

ثانياً: النموذج التعاوني الشائع في فرنسا وألمانيا الذي يعتمد على مؤسسات تديرها وتمولها أطراف العلاقة الإنتاجية، ممثلة بالنقابات العمالية وبنقابات أرباب العمل، وتعتمد على الدخل الذي يحققه الأجراء داخل المؤسسة الإنتاجية. ولاتتدخل فيه الدولة مباشرة سوى في تأمين الاحتياجات غير المرتبطة بالعمل والإنتاج، مثل إعانة الأسر بحسب عدد الأولاد، وإعانة الشرائح الأكثر فقراً.

ثالثاً: النموذج الاجتماعي – الديمقراطي الذي تلعب فيه الدولة دوراً محورياً مباشراً في تأمين المخاطر الاجتماعية المذكورة، من خلال سياسة ضريبية فعالة (إعتماذ الضريبة التصاعدية)، ومن خلال إعادة توزيع الثروة من أجل تأمين حد أقصى من تغطية الحاجات الاجتماعية الناجمة عن البطالة والمرض والشيخوخة وحالات العسر والفقير المختلفة. وتتنمي الدول الأسكندنافية الى هذا النمط.

المبحث الاول النموذج الليبرالي

إن تاريخ دولة الرفاهية في المملكة المتحدة يرتبط بأنحسار المد الاستعماري التقليدي، ففي ظل الاستعمار المباشر كانت الدولة الرأسمالية المركزية توفر الرفاهية لأبنائها من خلال النهب الاستعماري، وبالتالي لم تكن في حاجة الى تحميل رعاياها عبء المتطلبات التي حرصت على ان تصلهم من خلال الدعوة الى الحرية الاقتصادية محلياً وعالمياً. وفي الوقت الحالي نجد النموذج الامريكي يقوم على أساس حمل لواء العولمة، ليتحول بالاستعمار الى صورته غير المباشرة أو

²¹⁶ - Gosta Esping Andersen, Social class, Social Democracy, and state policy, party policy and party Decomposition in Denmark and Sweden, New Social Science Monograph, E8(Copenhagen, New Social Science Monographs. 1980

الاستعمار الجديد، وبالتالي يوظف قوى الدولة للهيمنة على المؤسسات الاقتصادية سواء في شكل منظمات دولية أو أسواق عالمية وغزو اسواق الخدمات وآلية عابرات القوميات لتوليد عائدات تخفف العبء عن أصحاب رأس المال، بينما تبنت بريطانيا في التسعينات الطريق الثالث، الذي تحمل العمال مسؤولية توفير مظلتهم الاجتماعية الخاصة.

رفض كينز افتراض الكلاسيك بشأن قدرة المجتمع على تصحيح الأختلالات الناتجة من تعارض المصالح، بل أكد على فكرة تنافر المصالح، وكانت الحجة التي يسوقها في هذا هي وجود تعدد في الأفكار وفي القوى المهيمنة على السوق²¹⁷. بما يحول دون قدرة المجتمع على تحقيق التصحيح الذاتي.

وعلى النقيض من معظم الافكار السابقة عليه، وثق كينز في جهاز الدولة بأعتبر ان اللجوء اليه ضرورة طالما أن النظام الرأسمالي عنده ميل تلقائي الى الركود، بل ارتأى ان تدخل الدولة يكون لانقاذ الاقتصاد بصفة عامة، وحجته في ذلك الانفاق الحكومي جزء مهم من الطلب الفعال الذي يمكن التحكم فيه مقارنة بالإنفاق الاستثماري أو الاستهلاكي الخاص²¹⁸.

وقد اعتمد كينز مفهوما يعد هو المفهوم المحوري في نظريته، وهو مفهوم (إدارة الدولة للطلب الفعال) الذي أعطى الوظيفة الاقتصادية للدولة مكانة بارزة. وقصد كينز بمفهوم (إدارة الدولة للطلب الفعال) اعتبار دور الدولة في خلق الطلب وإدارته أمراً ضرورياً كي يمكن الاقتصاد أن يستعيد قدرته على تحقيق التشغيل الكامل بأعتبره أمراً مرغوباً فيه عموماً في الاقتصاد القومي²¹⁹.

ومن المهم الإشارة الى ان النظرية الكينزية بكثير من استنتاجاتها تشكل بالفعل محاولة توفيقية بين المذهبين الفردي والجماعي، فكينز في مطالبته بتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وضع الأساس الاقتصادي للعديد من الاحزاب الاشتراكية والحركات العمالية، أن تتدخل وأن تفرض ضرائب على الفئات الغنية لصالح الفئات الفقيرة، على أساس أن ميل هذه الفئات الفقيرة الى الاستهلاك أعلى من نظيراتها الغنية، بما يعني زيادة كبيرة في قيمة المضاعف ومن ثم مزيد من تدفق السلع

217- J.M.Keynes,(The end of laissez faire) collected writings (London: Macmillan, 1982).

218 - Paul Mattick, marks and keynes: The limits of the mixed economies (London: Marlin Press, 1974), p. 89.

219- عاطف قبرصي. دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى ، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٧٦

والنقود في عمليات مبادلة، لا يبدو لها أنها ستواجه ركوداً طالما أن جهاز الدولة يقبض على عملية إدارة الطلب²²⁰.

ومع رواج النظرية الكينزية ظهر هؤلاء المنظرون الجدد ، وقد قدموا العديد من المقترحات التي كانت تنطلق في مضمونها من الافتراضات نفسها التي انطلق منها كينز، وكانوا في ذلك يعبرون عن خليط من افكار النظرية الديمقراطية الاجتماعية والنظرية المؤسسية والمنفعة الاجتماعية لجون ستيوارت مل John Stuart Mill. ومن هنا ظهر مفهوم (العدالة الاجتماعية) في كتابات بول سوزي مثلاً بأعتبره يعبر عن قيمة حاكمة من قيم المجتمع الرأسمالي وربطه بالديمقراطية، وكيف ان الرأسمالية وإن كانت تعني في كثير من قيمها الحرية وغياب القيود، فإن الديمقراطية، كالوجه الآخر لليبرالية، تقتضي ان يكون للدولة دور اجتماعي واقتصادي يزيد على حدود الحراسة والأمن العام²²¹.

ويبقى ان نشير الى ان جزءاً لا يتجزأ من عملية بناء النظرية الكينزية قد ارتبط بقدرة الكينزيين الجدد على التصدي للانتقادات التي وجهت الى النظرية وعلى رأسها.

١- أن النظرية العامة لكينز هي نظرية خاصة بلأجل القصير فقط، ومن ثم هي لا تصلح لتفسير التطورات طويلة المدى، وكان كينز قد برر هذا الطابع القصير المدى بقوله المشهور (كلنا سنموت في الاجل الطويل)²²². بيد ان هذا الرد لم يكن مقنعا لأن اقتصادات الدول الرأسمالية بالفعل عانت لاحقا مشاكل ازدياد المديونية والعجز في موازنتها على النحو الذي أفضى الى التضخم ومن ثم الكساد بسبب ضعف القوة الشرائية للنقود. ومن هنا بات واضحا أن النظرية تعاني عدم اتساق داخليا لأن الحل الذي تقدمه من خلال زيادة الإنفاق العام يتضمن تدخل الدولة بالإنفاق في العديد من المجالات التي تقضي حتما الى زيادة العجز في الموازنات²²³.

٢- ان النظرية العامة قد اتسمت بطابعها الساكن، ومن ثم فهي لاتأخذ بعين الاعتبار فكرة ديمومة النظام الرأسمالي ومستقبل النمو فيه وتوازنه الديناميكي عبر الزمن، بمعنى أنها قدمت حلا لمشكلة قائمة بذاتها في موقف قائم بذاته، ألا وهي مشكلة

220 - P.A. Samuelson, Economists and the History of Ideas (Cambridge, MA: Harvard University Press; 1962) pp. 190-195.

221- نفس المصدر ، ص ١٠٤ - ١١١.

222 - Keynes(The End of Laissez Faire) p. 190.

223- مصدر سابق، عاطف قيرصي

الكساد في فترة الركود، أي إن النظرية لا تتسم بالديمومة، بمعنى انها نظرية ترتبط بظرف اقتصادي محدد، ولكن كينز لم يقدم تصورا ديناميكياً لما سيؤول إليه الوضع بعد حدوث حالة الانتعاش، وما الذي يضمن استمرارها^{٢٢٤}.

وعموما كانت فضيلة كينز هو انه اعترف بالحقيقة، وهي ان الرأسمالية تنطوي على وجود عدم استقرار وميل شديد نحو الركود والقصور المزمع في استخدام الموارد البشرية والمادية. وكانت المهمة الاساسية التي أنجزها هي أنه وصل بالأقتصاد الكلاسيكي الى حافة الهاوية، وأثبت أن تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ليس خطيئة، لما يتيح تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي من قدرات لمعالجة الأزمات والبطالة. وهكذا أعترف كينز بشكل ضمني أن رأسمالية الاحتكارات لا يمكنها أن تستمر إلا إذا ساندتها الدولة، وبذلك بشر كينز بلامح عهد جديد هو عهد (رأسمالية الدولة الاحتكارية) الذي يحدث فيها التحالف التام بين الدولة والقوى الرأسمالية^{٢٢٥}.

تنطلق النظرية الليبرالية الجديدة من حقيقة مؤداها أن نماذج دولة الرفاه والسياسات الكينزية والنظرية المؤسسية، كلها تنزع نحو الاشتراكية أكثر من نزوعها نحو الرأسمالية، وأن الرأسمالية دونما حاجة لأي محاولات توفيقية، قادرة على أن تصحح أي اختلال يحدث داخلها، بل إنهم يرجعون الأزمات التي حدثت في المجتمعات الرأسمالية ذاتها الى تخلي الدولة عن دورها الأساسي. ومن تركز حجة هؤلاء حول مفهوم أساسي هو مفهوم (الفشل الحكومي) ^{٢٢٦}.

وتتبنى نظرية الليبرالية الجيدة للوظيفة التوزيعية للدولة على اسس ثلاث:

١- إحياء نموذج الدولة الحارسة

أكد كل من روبرت نوزيك وفريدريك هايك (Robert Nozick and Friedrik Hayek)، على ان أفضل اشكال الدول (هي الدول التي تمارس وظائفها من دون

²²⁴ - T.W.Hutchison, The politics and philosophy Economics: Marxians,keynesians,and Austrians(oxford:Blakwell, 1981,p89-96

²²⁵ - المصدر نفسه ، ص٢٢

²²⁶ - Howard Davis and Richard Scase,(western capitalism and state socialism) sociological inquiry, 1990 p.208

المساس بأكبر قدر ممكن من حرية الأفراد والجماعات المختلفة داخلها... بأن تحميمهم وتتركهم لتنظيم أنفسهم)²²⁷

يفترض نوزيك أن الرفاهية في المجتمع تصل الى أقصاها عندما يكون عدد أولئك الذين يتمتعون بالمتع الشخصية كما يحدونها هم أكبر ممن يستشعرون الألم²²⁸.

وتظهر أهمية المدرسة الليبرالية الجديدة في أنها جاءت شديدة المحافظة، أي تدافع عن مصالح الفئات المسيطرة اجتماعيا واقتصاديا – مقارنة بالنظريات الأخرى التي كانت بمثابة اجتهادات توفيقية بين كل من الرأسمالية والأشتراكية مثل الكينزيين والديمقراطيين الاجتماعيين والمؤسسين الليبراليين. وقد دافع فريدريك هايك (١٨٩٩ – ١٩٩٢) عن فكرة (الدولة غير المتدخلة) استنادا الى تقاليد الفكر الفلسفي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وأصبح أقصى ما يجب أن تقوم به الدولة من وجهة نظر الليبراليين الجدد أن ترسخ عددا من القيم الأساسية مثل : الحرية المساواة الملكية والمنافسة، وبقبولها من الجميع، تشكل هذه القواعد (دستور الحرية) الذي ينبغي للدولة ان تكتفي بحراسته²²⁹.

وظل كل من هايك ونوزيك يقودان الحملة ضد الدولة المتدخلة مدافعين عن حتمية التزامها بحدود الحراسة والامن حتى الثمانينات، عندما زاد الاقتناع بمقولتهما، فخفضت الدول الصناعية قروضها للبلدان النامية، وأعدت تقييم القروض التي منحها لبعض القطاعات المثقلة بالديون، وأعلنت عدم التزامها بالتشغيل الكامل، وخفضت الضرائب على المشروعات²³⁰. ولقد لاقى التيار الليبرالي الجديد العديد ممن روجوا له بأعتبره انتصارا ساحقا للفكر الرأسمالي الذي يرفض كل اشكال التدخل الحكومي وقيادة الدولة للنشاط الاقتصادي، على اعتبار أنه من معتقدات الماضي وأن المستقبل للدولة غير المتدخلة، وهذا ما روج له كل من فوكوياما وريتش.

227 - Robert Nozick, Anarchy, state and Utopia (London: oxford press; New York: Basic Books; 1974, pp. 74-80, and Robert Hebroner, (Reflections on the Triumph of Capitalism), New York, 1989)p. 98.

228 - Nozick, Ibid, p. 57.

229 - Homa Katouzian, Ideology and Method in Economics, Macmillan New Studies in Economics, London, Macmillan, 1980

230 - Mickey Kaus, the end of equality (New York: Yale University press; Basic Books, 1992, pp. 96-103

وفي هذا الكتاب يؤكد الباحث على انه (على الدولة أن توقف محاولة استخدام الضرائب وسياسات الانفاق من أجل تضييق الفجوة بين الاغنياء والفقراء.. وبدلا من ذلك عليها أن تتبنى الليبرالية المدنية التي تدعم بواسطتها الميادين العامة التي تمتزج فيها الطبقات الاجتماعية)

٢- الأولوية للسياسات النقدية بدلا من السياسات المالية

يرى النقديون، وهم يمثلون مدرسة مهمة داخل النظرية الليبرالية الجديدة، أنه ينبغي أن تنحسر الدولة المتدخلة وأن تكف عن محاولة تحقيق الرفاه أو التشغيل الكامل وأن تقتصر على عدد من المهام المحدودة للغاية مثل الحفاظ على الامن الداخلي والخارجي والمرافق الأساسية، أي وظائف (الدولة الحارسة). لكن تطورا مهما قد لحق بالنظرية الليبرالية الجديدة نتيجة حتمية تدخل الدولة لتحقيق الصالح العام، يتعلق بعرض النقود. ويثير النقديون قضية مهمة تتعلق بدور الدولة في إدارة السياسة النقدية، إذ إن المعروض من النقود هو المتغير الأهم في ما يتعلق باستقرار الاقتصاد أو عدم استقراره، بل إن النقديين يعتبرون أن أزمة الكساد الكبير (١٩٢٩ - ١٩٣٣) هي أزمة نقدية، بمعنى أن البنوك المركزية لو تدخلت بزيادة المعروض من النقود لما حدثت الأزمة، أما الازمات التي حدثت بدءاً من السبعينات فهي نتيجة السياسات التدخلية غير الرشيدة من قبل الدولة، بما أفضى الى تمويل للعجز عن طريق ضخ كميات أكبر من النقود، مآدى الى الآفات الاربع الاساسية وهي: التضخم، انخفاض تراكم رأس المال، تراجع معدلات النمو، زيادة معدل البطالة، ومن هنا ينبغي أن تتدخل الدول بزيادة سعر الفائدة لأمتصاص الفائض النقدي المتداول، وترفض السياسات المالية التي تنادي بزيادة الضرائب ما سيؤدي الى تراجع الادخار والاستثمار والعمل، وقصارى القول إن الليبرالية الجديدة طالبت بخفض الإنفاق الاجتماعي وخفض الضرائب على الخول والثروات المرتفعة، وبالتالي تتخلى عن نظريات (دولة الرفاه والرأسمالية الاجتماعية)^{٢٣١}.

٣- إعادة توزيع الدخل

قد تضمن هذا الاتجاه تحركا على مستويين : إعادة النظر في الضرائب وبيع الشركات، والمشروعات المملوكة بواسطة الدولة للقطاع الخاص، فقد ظهر اتجاه قوي في الليبرالية الجديدة يهاجم دعوى الصالح العام ومقولات (دولة الرفاه)، واعتبرها خروجاً عن قواعد القانون الطبيعي، فهاجم الضرائب المرتفعة التي فرضت على دخول وأرباح الافراد والشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية والمالية، وعلى مستوى آخر تذهب النظرية الليبرالية الجديدة الى نقل ملكية

231- عبد الفتاح. معتز بالله، أ.د، الاسس الفلسفية والسياسية للوظيفة التوزيعية للدولة، بيروت ٢٠٠٦، ص١٦٩

الشركات المملوكة للدولة الى القطاع الخاص، ما سوف يحقق كفاءة انتاجية أكبر وفائدة أعظم للمستهلكين. ويجدد الليبراليون الجدد عدم ثقتهم في الدولة باعتبارها على حد تعبير هايك (أسوأ من يملك، وأسوأ من ينفق)، وتقوم رؤية الليبراليين على ان القضية ليست فقط التشغيل الكامل، ولكنها ايضا التخصيص الامثل للموارد²³².

وبصدد تقييم الليبرالية الجديدة، فما لا شك فيه أن هناك عودة مرة أخرى الى الجدل القديم بين الفردية المتطرفة والجماعية المتطرفة. وإذا كان الليبراليون الجدد يتنبأون بمزيد من الإنتعاش في اقتصاداتهم بعد ان تتزايد قدرات الافراد على الحركة، إلا ان بول جونسون (paul johnson) وجشوا كوهين (Joshua Cohen) يؤكدان على انه لا تزال هناك مقدمات أزمة ستواجهها الرأسمالية حتماً، وإن لم تقدم لها إجابات مبتكرة، فإنها ستواجه المصير نفسه الذي واجهته في الثلاثينات. وهذه المقدمات ترجع الى عوامل ثلاثة²³³.

١- التفاوت في توزيع الدخل والثروة داخل تلك المجتمعات.

٢- البطالة الحادة التي تشمل العديد منها.

٣- تراكم المنتجات نتيجة الكساد الذي تشهده هذه الاقتصادات، بل ان توجه الليبرالية الجديدة يشير الى حقيقة أن علاج مشاكل التضخم لا يمكن ان يتم إلا بقبول درجة من درجات البطالة ، بل ان التطور التكنولوجي يشير الى ان مشكلة البطالة ستتفاقم بسبب ان قطاع الخدمات الذي كان ينظر اليه على انه البديل الذي يمكن ان يستوعب أعداداً متزايدة من العمالة قد اتجه ايضا، نتيجة التطور التكنولوجي، الى الاعتماد على المعرفة الكثيفة نتيجة ما يسمى ب(تحول القوة)²³⁴. محل العمالة الكثيفة، وهو ماتشير اليه تطور معدلات البطالة في أوروبا والولايات المتحدة واليابان، بل ايضا دخول الدول الصناعية الجديدة في هذا المأزق من منتصف الثمانينات على نحو

²³²- نفس المصدر، معترز بالله عبد الفتاح

²³³ - Paul Johnson,(what ever happened to socialism?) readers digest, vol. 141, 1992,pp.111 and 114, and Cohen Joshua, (Maximizing social Welfare or instutionalizing democratic ideals), politics and society, 1991, pp. 39 -58

²³⁴- Johnson, Ibid, p. 157

زايد، بما يجعل سياساتها التي تدعم المنافسة تنتهي بها الى حرب اقتصادية لاتضمن الاستقرار²³⁵.

بل اكثر من ذلك، فإن تحول القوة هذا سيعني ان المجتمعات التي سينحسر فيها دور الدولة، متزامنا مع التطور التكنولوجي، ستواجه مشكلة حقيقية ليس على صعيد توفير العمل لمن يقدرون عليه ولا يجدونه، بل ايضا على مستوى فئة ليست بالقليلة ممن يعملون اليوم، قادرين راغبين، ولكنهم سيفقدون شرط القدرة نتيجة التطور التكنولوجي، وبطبيعة الحال سينطبق عليهم مبدئي (سيادة العمل) و (البقاء للأصلح)²³⁶.

وربما سيفضي هذا الى اعادة النظر مرة اخرى في الوظيفة الاقتصادية للدولة بما سيجبر النظم الليبرالية حتما الى اتباع نظام (التخطيط بالمشاركة) الذي تسترشد فيه الدولة بمصالح الجماعات والقوى المختلفة المكونة للمجتمع، والمتوقع كذلك ان تنبعث جماعات المصلحة والحركات العمالية مرة اخرى مطالبة بدور اكثر فعالية للدولة من مجرد وظيفة (الأمن المادي) وإنما ستطالبها بمزيد من (الأمن الاجتماعي)²³⁷.

المبحث الثاني : النموذج التعاوني

ان خصوصية كل دولة ليست بالضرورة ناجمة عن تاريخها ولا هي دائمة مستقرة الى غير رجعة، انما يأتي النموذج الطاغي في فترة تاريخية ما نتيجة لموازن القوى السياسية ونتيجة للتناقضات الخاصة بالنموذج الذي سبقه، فعلى سبيل المثال كان النظام الألماني دولويا وشديد المركزية منذ عهد بسمارك انتهاءً بالرايخ الثالث، ومن ثم احكم قطيعه مع هذا النموذج مع نشأة جمهورية المانيا الفيدرالية واعتماد مبدأ الرأسمالية الاجتماعية مع لودفيغ إرهارد، فأصبحت المشاركة بين العمال وأرباب العمل هي أساس قانون العمل والضمان الاجتماعي. ونجد ايضا أن اعتماد النموذج الليبرالي لم يكن بالضرورة إرثا تاريخيا أنكلوساكسونيا بقدر ما جاء نتيجة لأزمة

²³⁵ - Adam pruworski, (could we feed everyone?, the irrationality of capitalism and the infeasibility of socialism), politics and society, vol. 19, 1991, pp. 1 - 38

²³⁶ - Cui Zhiyuan, (Market lincompleteness, Innovation and Reform), politics and society, 1991, pp. 59 - 69

²³⁷ - Robin Hahnel, (participatory planning) science and society, 1992, pp. 39 - 59.

السياسات العمالية المتتالية، وبقدر ما جاء مزعزا لأسس الدولة الراعية السائدة في السبعينات^{٢٣٨}.

الإنفاق الاجتماعي في النمط التعاوني

في ميدان الإنفاق الاجتماعي نشهد تقاربا بين النموذجين الفرنسي والألماني اللذين يعتمدان على المؤسسات التي يمولها الانتاج ودخل العاملين الأجراء، والتي يديرها اطراف علاقات الانتاج بحيث تتضمن في صيغة تعادلية المؤسسات ممثلين عن نقابات العمال وممثلين لأرباب العمل. وتتبع هذه المؤسسات الادارية من إرادة الطرفين العمالي والرأسمالي الممثلين على صعيد الدولة والأقاليم بأعضاء النقابات الممثلة والمنتخبة من قبلهما. لكن الدولة وضعت لها اطارا تشريعيا ينظم العلاقة بين الاطراف المتدخلة في إدارة صناديق الضمان الاجتماعي، وضوابط مالية لتأمين الشفافية في إدارة النفقات، والمتضمن في (قانون الضمان الاجتماعي)، وقد ساهمت المؤسسات المركزية والدولة في توحيد أنظمة ضمان أجراء القطاع الخاص مهما اختلفت انتماءاتهم المهنية، وكذلك في توحيد شروط اقتطاع القسائم وشروط الانفاق وكيفيته وفقا الى جداول محددة^{٢٣٩}.

والجدير بالذكر أن ميزانية صناديق الضمان الاجتماعي تعتمد اساسا على الحصص المقتطعة من الاجور، وتعتمد على مصدر أساسي هو العمل، فعلى سبيل المثال يظهر كشف الاجور الفارق بين الأجر الإجمالي (أي قبل أقتطاع الحصص) وبين الأجر الصافي (بعد اقتطاعها، كما انه يظهر مدى اشتراك رب العمل في هذه الحصص. وفي قائمة الحصص المقتطعة تظهر نسبة كل نوع من أنواع التأمين، ولا سيما أن كل واحد منها يرتبط بصندوق ضمان مستقل له ميزانيته الخاصة^{٢٤٠}.

يشكل هذا النموذج بديلا للنموذج المعتمد في الكثير من الدول الاوروبية ذات النهج الليبرالي أو الاجتماعي الديمقراطي، حيث تقتطع ميزانية الضمان الاجتماعي من

238- فؤاد نهر، النموذج التعاوني لدولة الرفاه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦، ص ٢١١

239- نفس المصدر. ص ٢١٤

240- نفس المصدر

الميزانية العامة للدولة وتمولها شتى أنواع الضرائب ولا سيما الضريبة على الدخل، كما انه يتميز عن أنماط أخرى لامركزية من الضمان الاجتماعي ومنها: ²⁴¹

*- نمط التعاونيات المحلية والمهنية المتخصصة الذي أعمدته دول أوروبا الجنوبية في مرحلة أولى والتي أنتشرت في ظل الحكومات الفاشية السابقة متسببة في تفاوت بالغ بين أصناف الأجراء.

*- نمط الضمان الذي توفره المؤسسة الإنتاجية مباشرة، والذي يتميز أيضا باعتماده على الوحدات الصغيرة.

أما مبررات هذا النظام فمصدرها النظرية القائلة إن العمل هو مصدر الدخل والثروات، وهي مقولة يعود أصلها الى نظريتي ريكاردو وماركس، وغايتها إظهار الطبقة العاملة للمجتمع أن الدخل الذي يقطع لتأمين المخاطر الاجتماعية ما هو الا نتاج لعملها. أما الغاية التالية فتتمثل في الإصرار على إمتلاك هذا تادخل بصورة مباشرة عن طريق الصناديق ذات الطابع التعاوني الخاضعة لإدارة وإشراف المؤسسات التعاقدية العمالية - الرأسمالية.

ولهذا النظام التعاوني أثر مهم وهو إرتباط الإنفاق الاجتماعي بمستوى الدخل، وتحديد مستواه ومعدله نسبة الى مستوى الأجور. وبمقتضى هذا المنطق يحدد مستوى الإنفاق على البطالة كنسبة معينة من مبلغ الاجور، على مدى فترة محددة، كذلك الامر بالنسبة الى معاش الشيخوخة. لكن الإنفاق الصحي لا يرتبط بمستوى المعيشة وإنما بمقدار الحاجة الى المعالجة الطبية والاستشفائية.

وأستطرادا لاتتبنى الدولة إصلاحا ما لنمط الإنفاق أو الإدارة إلا وتستشير المؤسسات التعاقدية التي تسير صناديق الضمان الاجتماعي، وإن كانت صلاحية هذه الأخيرة استشارية في الكثير من الامور في مثال فرنسا، إلا ان الدولة تستطيع ان تلعب دورا محوريا في حال تراكم عجز ميزانية صناديق الضمان الاجتماعي، ففي فرنسا اعتمدت هذه الاخيرة عام ١٩٩٠ تشريعا يقر بأستقلالية المالية لتلك الصناديق، مما يجعل تدخل الدولة لإنقاذها عملا استثنائيا غالبا ما يقابله ضغط عليها تمهيدا لمطالبتها بإصلاحات جديدة. إذ ليست استقلالية الضمان الاجتماعي عن ميزانية

²⁴¹ - Bruno Palier, Gouverner la securite sociale: Les Reformes du systeme francais de protection sociale depuis 1945.

الدولة العامة ضمانا للحفاظ على حقوق الأجراء، وكذلك على مستوى الإنفاق الاجتماعي المرتجى، ولا سيما ان العجز أصبح مطردا في كل واحد من صناديق الضمان، وقد تجاوز عجز ميزانية الضمان الصحي في فرنسا ١٣,٢ مليار يورو وهو رقم قياسي لم يشهد من قبل^{٢٤٢}.

النظام التربوي في النمط التعاوني^{٢٤٣}

نكتفي هنا بالمثال الفرنسي في ما يتعلق بالنموذج التربوي لنبيين كيف أنه كان شديد المركزية حتى منتصف الثمانينات، فوفقا لنموذجه الاصيلي يعتبر هذا النظام من أشدها مركزية في أوروبا لأسباب هي :

*- أن تعيين الأساتذة والإنفاق عليهم وحتى تبديل مواقعهم يتم على مستوى الدولة المركزية التي تتولى هذه المهمات بأسرها.

*- أن الإنفاق على المباني والمعدات كان يقع على عاتق الدولة المركزية حتى عام ١٩٨٢ (الى حين المصادقة على قانون اللامركزية).

*- أن البرامج الدراسية للتعليم الابتدائي والثانوي تحدد بقة على مستوى وطني من قبل وزارة التربية.

*- إن شهادة نهاية التعليم الثانوي هي واحدة للجميع ولها قيمة مهما كانت المدرسة التي تخرج منها التلميذ.

*- إن الشهادات الجامعية تعتبر نظريا متساوية مهما كان موقع الجامعة.

وتعتمد الجامعات الرسمية على انفاق الدولة الذي يستمد مباشرة من الميزانية العامة المعتمدة في مجلس النواب وكذلك على إنفاق المجالس الإقليمية، لكنها لا تعتمد إلا بصورة جزئية على الاقساط الجامعية، كون هذه الاخيرة متواضعة نسبة الى تلك التي تفرضها الجامعات البريطانية والامريكية.

يبقى أن ثمة اصلاحات أتت لتحت المؤسسات التربوية المدرسية والجامعية، للبحث عن شراكة مع المؤسسات الرسمية المحلية والإقليمية (المجالس الاقليمية والبلدية) والقطاع الخاص. ويبقى أن مستوى تطور هذه الأخيرة لم يبلغ مستوى الشراكة التي

242- التقرير التمهيدي لإصلاح ميزانية الضمان الاجتماعي الذي أعده مجلس الشيوخ الفرنسي في تشرين الثاني/ ٢٠٠٤.

243- مصدر سابق (فؤاد نهرو)

تعرفها الجامعات الأنكلوساكسونية، وتظل هذه الشراكة هامشية، ولكن الفكرة ليست مستبعدة.

يبقى ان النظام التربوي أصبح الحقل الأساسي الذي توفر فيه الدولة الراحية خدماتها الكاملة لأوسع شرائح المجتمع. إذ تنفق الدولة مباشرة على المدارس والجامعات والمعاهد الرسمية ، وتتبنى سياسة نشطة في ازدياد قدرة الجامعات على استيعاب الأعداد المتزايدة للتلامذة والطلاب، لقد تأخر النظام التربوي الفرنسي عن الدول المجاورة في إصلاحاته الديمقراطية، إذ إنه لم يوفر بالفعل فرصة إكمال الدراسة الثانوية للجميع إلا بعد إصلاحات عام ١٩٨٩، ولاسيما القانون الاطار الذي يدعو الى ضرورة حصول ٨٠ % من الشباب على مستوى البكالوريا. يبقى ان الازدياد السريع لأعداد الطلاب الذي نتج عن هذا الاصلاح لم يقابله سياسة مناسبة للجامعات، إذ إن هذه الاخيرة ظلت تستوعب هؤلاء من دون شرط ولا امتحانات مسبقة، ما أدى الى تضخم عدد الطلاب وإلى الانخفاض التدريجي لمستوى هؤلاء، فعلى سبيل المثال ازداد عدد طلاب الجامعات في فرنسا بنسبة تفوق ٢٥٠ % بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٩٥. لقد أدى ذلك الى ارتفاع الكلفة الاجمالية للتعليم العالي في فرنسا، كما ان نسبة مردودية الطالب انخفضت بسبب ارتفاع معدلات الخروج والضياح ، وإذ تبين الإحصاءات الاخيرة أن كلفة الطالب الواحد المتوسطة تقارب ٧٥٠٠ يورو.

ويشهد النظام الجامعي الفرنسي التناقضات التالية :

*- ارتفاع الكلفة الاجمالية للتعليم العالي مع انخفاض مستوى الانفاق على الطالب الواحد الذي يظل أدنى من معدلات الدول الاوروبية الكبرى (٦٨٠٠ يورو للطالب مقابل ما لا يزيد على ١,٠٠٠ يورو للطالب في دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية)^{٢٤٤}.

*- المستوى المتدني (نسبة الى الدول الأوروبية المجاورة مثل بريطانيا والمانيا) لرواتب الأساتذة الجامعيين والذين تدنت قدرتهم الشرائية بسبب التضخم والتجميد النسبي لرواتب الموظفين،

*- طغيان النزعة البيروقراطية في إدارة بعض الجامعات، وطغيان الحسابات الشخصية والسياسية (بالمعنى الاوسع للكلمة) وغياب آلية موضوعية لقياس الإنتاجية في ميدان التعليم والبحث العلمي، مع العلم أن تلك المقاييس وضعت في النظام الجامعي الأمريكي وأدت الى تناقضات سافرة.

وأخيرا يتميز النظام الجامعي الفرنسي بتركيبته الثنائية، إذ إن المعاهد المخصصة لتخريج النخبة المسيطرة سياسيا واقتصاديا تقع خارج النظام الجامعي، وتتميز بنزعتها النخبوية الشديدة، في حين تركت الجامعة للطبقات الوسطى، ما أدى إلى ما يسميه علماء الاجتماع بأنخفاض معدل صرف الشهادات بسبب تضخم هذه الاخيرة^{٢٤٥}.

لكن وبالرغم من ما سبق يظل مستوى التعليم العالي في فرنسا مرتفعا للغاية بسبب مضمون التعليم وكثافة الدورات التدريسية والمستوى المرتفع للأساتذة الوافدين، بسبب شدة المنافسة.

الإصلاح الاجتماعي

تبين مما سبق أن المؤسسات التي كانت في الستينات تؤمن استقرار المجتمع دخلت طور أزمتها، لكن الحديث عن الأزمة يتطلب تلميحاً الى المخارج والحلول، ولا سيما ان المحافظة على النظام كما هو لم يعد ممكنا على المدى المتوسط، لم يبق النظامان الالمانى والفرنسي بمعزل عن محاولات الإصلاح وأهمها الإصلاحات التي أحدثتها الحكومة الالمانية الاخيرة لنظامي الشيوخوخة والبطالة على سبيل المثال. كما ان الحكومات الفرنسية المتتالية قدمت ردود فعل. ونجد عدة أنماط من الردود الإصلاحية، منها ما يقع على طرف العقيدة الاقتصادية الليبرالية المتجددة، ومنها ما يقع على خط يساري يقضي بتشديد القبضة على رأس المال. ومن أمثلة الاصلاحات التي تقع على الطرف الأول، إصلاح نظام تأمين البطالة الالمانى الذي يلتحق الى حد ما بالنظام البريطانى، حيث أن هذا الاخير ألغى التعويض المحدد على أساس الدخل السابق لصالح معونة الحد الأدنى التي قد تحذف في حال رفض العاطل عن العمل ثلاثة عروض للعمل، ومن أمثلتها فتح الباب أمام توفير جزء من معاش التقاعد عن طريق تشكيل رأسمال خاص Retraites Par capitalisation الذي لم

²⁴⁵ - Raymond Boudon, L, enegalite chances;la mobilite sociale dans les societies industrielles, Paris:1984

يلق أصداءً إيجابية في المجتمع الفرنسي، ومن أمثالها أيضا اقتراح بعض الاقتصاديين برفع رسوم التسجيل في الجامعات إلى ما يعادل نصف النفقة التي تقدمها الدولة لكل طالب^{٢٤٦}.

أما الإصلاحات التي تقع على طرف التيارات اليسارية فتقتضي بتغريم الشركات التي تلجأ بصورة مستمرة إلى الصرف الجماعي للعمال، من خلال المطالبة باستعادة مساعدات الدولة ومن خلال فرض رسوم وغرامات خاصة. ونجد من بينها اقتراحات بإدخال ضريبة خاصة على المضاربات المالية في سوق الأسهم، وهي تسمى بضريبة توبين (نسبة إلى الاقتصادي الشهير)، كما أننا نجد اقتراحات تقتضي بتضييق الهوة بين الفئات الأكثر ثراءً والفئات الأكثر فقراً انطلاقاً من المشاهدة العيانية لظاهرة مضاعفة الثروات الكبرى^{٢٤٧}.

وإذ يظل الجدل قائماً في المجتمعين الألماني والفرنسي، يبقى الإصلاح رهناً بموازن القوى السياسية، حيث أن ثمة عوامل قد تساهم في الحؤول دون الانتقال إلى النظام الليبرالي الأنكلوساكسوني، وهي قوة تمسك الأجراء الفرنسيين بمنطلق الحفاظ على المكتسبات، ونفور غالبية الرأي العام من النموذج الليبرالي (مما دفع اليمين الفرنسي إلى الجهر بما يسمى بالنموذج الفرنسي) ووزن القطاع العام (حيث تستوعب قطاعات الدولة والمؤسسات الرسمية أكثر من ٥ ملايين موظف) الذي يكون أول متضرر من الإصلاحات الليبرالية، لكننا لا بد أن نتساءل عما إذا كانت الضرورات الاقتصادية هي التي ستفند طاقات المجتمع من أجل تمرير الإصلاح الليبرالي، أم أن المجتمع السياسي الفرنسي سيكون قادراً على ابتكار نموذج جديد يستطيع ضبط قواعد التراكم والمنافسة الرأسماليين؟ الأمر متوقف على عوامل عدة منها قدرة القوى الاجتماعية على ابتكار نماذج جديدة وقدرتها على فرض الحلول على المستويين الأوروبي والعالمي^{٢٤٨}.

²⁴⁶ - Vincent Vandenberghe, (L, Université and doit-elle être gratuite) Problemes économiques, 2004

²⁴⁷ - Jerome Gautie, (Protection de l'emploi: De la deregulation à la flexicurite), Problemes économiques, 2005

²⁴⁸ - مصدر سابق، فؤاد نهرا

المبحث الثالث : النموذج الاجتماعي الديمقراطي

تختلف سياسات الرفاهية الاجتماعية في ما بين الدول الرأسمالية في الغرب، على الرغم من أن الهدف في كل هذه الدول هو تقليل التفاوت في ما بين فئات المجتمع، ومحاربة الفقر، وتحقيق درجة معينة من العدالة الاجتماعية. لكن، تتباين النظم والمؤسسات والوسائل في هذا الميدان، كما إن الآثار الاجتماعية والسياسية تتباين هي الأخرى، في ما بين هذه البلدان، فبعض هذه النظم ومن خلال سياسات الرفاهية، تعيد صياغة هوية الأفراد، وتخلق مصالح مشتركة في ما بين الفئات الاجتماعية، لتؤدي في نهاية المطاف الى تحالفات سياسية، تدعم سياسات الرفاهية أو تضعفها. لقد حاول تيتموس (Titmuss) تصنيف دولة الرفاهية الاجتماعية في الغرب الى أنماط متعددة²⁴⁹: نمط المتبقي (Residual)، حيث تتدخل الدولة حين تفشل الوسائل الأخرى (العائلة، الأقارب، الجيران، زملاء العمل....) بتدبير الحاجة، وفي هذا النمط يكون حضور الدولة مسألة مؤقتة بالنسبة الى حياة المواطن، أما النمط الثاني فهو المؤسسي (Institutional) الذي تقدم فيه عناصر الرفاهية (العناية بالأطفال، التعليم، العناية الصحية، العناية بكبار السن، التقاعد، خدمات النقل للكبار والمعاقين) التي هي حقوق يتمتع بها الجميع فحضور الدولة، بحسب هذا النمط، هو دائم ولجميع المواطنين، ويميز تيتموس ضمن النمط المؤسسي نوعين من الرفاهية الاجتماعية، أحدهما النمط الشامل (Universal) والآخر هو الانتقائي (Selective). يقوم الاول على أساس شمول جميع المواطنين بعناصر الرفاهية، فيما يقوم الثاني على أساس انتقاء الفئات الاجتماعية التي لها الحق بالتمتع بعناصر الرفاهية، خصوصا الفقيرة منها، والواقع ان الاختلاف والنقاش لايزالان محتدمين حول كفاءة كل منهما في تقليل التفاوت وتحقيق العدالة الاجتماعية، لكن من الملاحظ عموما أن البلدان الرأسمالية التي تنشط بها الاحزاب المسيحية الديمقراطية تميل الى نظام الانتقائي، فيما تميل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الى نظام الشمولية²⁵⁰ لايعد النمط الاسكندنافي متميزا عن بقية أنماط الرفاهية الاجتماعي، لانه يمثل النموذج الامثل (An Ideal Type) للنمط الشامل وحسب بل بسبب التوليف الذي

249 - Richard M. Titmuss, Social Policy: An Interoduction (London; Allen and Unwin, 1974) and Developing social policy in conditions change; the role of social welfare, pp. 254- 268.

250 - Hans L. Zetterberg, Befor and beyond the Welfare State: Three Lectures (Stockholm: City University 1995,pp 43-45

يعتمده: فهو يولف ما بين الاشتراكية والليبرالية من ناحية، وما بين السوق والاستخدام من ناحية ثانية، إن الشمول والتوليف اللذين شاعا وطبقا في البلدان الاسكندنافية: السويد ، الدنمارك ، فنلندا ، النرويج، وأخيرا أيسلندا، أعطيا هذه المجموعة من البلدان الصغيرة سمات مشتركة للرفاهية الاجتماعية، لتستحق ما يمكن تسميته (الطريق الوسط) للتطور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وما يميز النمط الاسكندنافي عن بقية البلدان الاوربية، هو كون برامج الرفاهية في الاولى كانت قد قامت على اساس تحالفات واسعة بين الاحزاب السياسية والطبقات الاجتماعية، من ناحية، كما ان تدخل الدولة في جميع ميادين الرفاهية قام على أساس التعبئة من القاعدة، من ناحية اخرى، فكل من تعويضات المرض النقدية وضمانات البطالة نظمت على شكل صناديق ضمان طوعية مستقلة، غالبا ما أنشأتها النقابات ودعمتها الدولة في ما بعد، هذا النمط من الحركة الشعبية المنطلقة من القاعدة كانت الاساس الذي قامت عليه، في ما بعد التغطية الشاملة للسكان بالضمانات الاجتماعية²⁵¹.

إن رسوخ وتطور نمط الرفاهية الاسكندنافي قد يعود الى إستناده على قاعدة شعبية واسعة، تؤدي فيها مؤسسات المجتمع المدني دوراً نشيطاً، فالعمال والفلاحون والعمال الزراعيون والطبقات المتوسطة في هذه البلدان تنتمي الى نقابات وأحزاب وجمعيات تمثل مصالحهم بكيفية واضحة وقوية. وأدى المفكرون دورا بارزا في بلورة المشاكل الاجتماعية التي عاناها مواطنو هذه البلدان، ففي السويد على سبيل المثال لا الحصر، ساهم المفكرون في مختلف وجوه المسألة الاجتماعية، فأخذ الخطاب الذي يتناول المسائل الاجتماعية يتزايد منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، لكن ايقاع هذا الخطاب أخذ يتصاعد في أوائل القرن الماضي. حيث تناول هذا الخطاب مسألة العمل والعمال، والايوضاع النفسية للمجتمع، والصحة الاجتماعية، والثقافة الشعبية، ومسألة الاسكان، والقضايا

²⁵¹ - Olli Kangas and Joakim Palme, (statism eroded? Labour-market Benefits and challenges to the Scandinavian Welfare State) in: Erik Jörgen Hansen; Welfare Trends in the Scandinavian countries (Armonk, NY: M. E.sharpe,1993, pp. 3-24

الاجتماعية العامة، والمسألة النسوية، والاشتراكية، والضرائب، والجمعيات التعاونية الاستهلاكية^{٢٥٢}.

يطلق على النمط الاسكندنافي للرفاهية سمات كثيرة، والشائع منها: الطريق الوسط، والنمط الشامل، والرعاية السخية، ونمط تحقيق حقوق المواطنة الاجتماعية، ونمط ثنائية الكسب، ونمط السياسات الفعالة للاستخدام، ونمط الخدمات الواسعة... الخ، لكن من بين أهم هذه السمات هي شمولية الرفاهية الاجتماعية الاسكندنافية، لان هذه الاخيرة تتعلق :

*- اولاً : بالعدالة الاجتماعية كمسألة ذات بعد إنساني وأخلاقي.

*- ثانياً : لانها تتعلق بنزع سلعية الانسان وتحريره من ربة السوق كمسألة تتعلق بكينونة الانسان وإزدهار شخصيته^{٢٥٣}.

بدأ النمط الاسكندنافي في أواخر القرن التاسع عشر، تطوعياً، بمعنى أن الجماعات أقامت مؤسسات للضمان الاجتماعي تعتمد على مساهمات أعضائها، وحصلت هذه المؤسسات، لاحقاً على دعم الدولة، لذلك كانت التعويضات متواضعة، هذه النشأة التطوعية وليست الإلزامية كما في غالب البلدان الاوروبية، أعطت الرفاهية الاجتماعية طابعاً ودياً ينزع الى التعاون وليس الى الصراع، ولهذا تساهم جميع الطبقات الاجتماعية وفئاتها بتطوير الرفاهية الاجتماعية. يعتمد هذا النمط ويقوي آليات التحالفات الطبقية والسياسية^{٢٥٤}. يقول كانغاس (Kangas) وبالمية (Palme)^{٢٥٥}، ان برامج الرفاهية الاجتماعية تشمل جميع مواطني البلدان الاسكندنافية من رئيس الدولة حتى المتسول. بدأت متواضعة منذ أواخر القرن التاسع عشر، بفضل التحالف بين العمال الزراعيين والعمال الصناعيين، وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية، لتصبح شاملة، بفضل التحالفات بين البرجوازية المتوسطة والعمال والفلاحين. هذه السياسة الاجتماعية أصبحت أيضاً مكوناً أساسياً من التكامل السياسي لهذه البلدان وتنسيق شروط سوق العمل المشترك فيها، فبرامج الرفاهية

- أ، هادي حسن، النموذج الاجتماعي الديمقراطي- دراسة مقارنة بين السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا، مركز الدراسات العربية ببيروت، ٢٠٠٦. ص ٢٤٠، ٢٥٢

٢٥٣- نفس المصدر

٢٥٤ - Joakim Palme, The Nordic Model and Modernization of social protection in Europe(Copenhagen: Nordic Council of Ministers, 1999-2000).

٢٥٥ - Olli Kangas and Joakim Palme (The development of Occupation Pensions in Finland and Sweden. 1996. Pp 211-240

ومستوى الضرائب يتفاعلان مع التغيرات التي يشهدها سوق العمل. وبهذا التوسع في البرامج الشاملة يضم :

١- النظام التقاعدي: فبعد الحرب العالمية الثانية، بدأت برلمانات مختلف البلدان الاسكندنافية بالتخلص من أنظمة التقاعد السابقة، بدأت في السويد في الاربعينات من القرن الماضي، ثم استمرت حتى منتصف الخمسينات في بقية الدول الاسكندنافية، باستثناء أيسلندا التي شرعت النظام الشامل في عام ١٩٦٠ - ١٩٧٠ مع بعض الشروط التي تقلل من الشمولية، بحسب أولفاسون (Olfasson)، هذا النظام يضمن تقاعد أساس لكل المواطنين من كبار السن، ثم تضاف مبالغ وفقا لسنوات الخدمة. هذا التطور هو استجابة للتطور الاقتصادي الذي شهدته هذه البلدان، حيث أصبحت في المنتصف الثاني من القرن أكثر تصنيعا، مع تزايد أعداد العاملين برواتب والعاملين بالخدمات، هذا في الوقت الذي تناقصت فيه نسبة العاملين في القطاع الزراعي. هذه التغيرات البنيوية في قوة العمل تطلبت الاعتماد على النظام الشامل، من أجل تجنب قيام نمطين من الرفاهية، أحدهما... يعتمد التقاعد الوطني الضئيل، والآخر التقاعد المهني السخي الذي يقدم من قبل اصحاب العمل. كما ان نمط الاصلاح في سياسة التقاعد الشامل كان يستهدف خلق أوسع أساس سياسي لدعم الحماية الاجتماعية، لأنه يشمل الفلاحين والعمال الزراعيين والعمال الصناعيين بالنظام نفسه من الحماية، الى جانب شموله العمال اليدويين والعاملين برواتب في القطاعين العام والخاص على حد سواء²⁵⁶.

٢- شهدت المدفوعات النقدية للبطالة وللمرض تطورا مهما بعد ان اتخذت أساسها القانوني، خصوصا بعد ان تقرر مستوى نسبتها من الاجر من ناحية ، والفترة الزمنية التي بمقدور المريض أن يستفيد منها من ناحية ثانية، لكن الأهم في هذا الميدان هو كون تعويضات البطالة والمرض مسألة تتعلق بالدولة، وليس بأرباب العمل، تدفع دولة الرفاهية، في البلدان الاسكندنافية، التعويضات المرضية حتى من دون تقارير مرضية في الأسبوع الاول من غياب العاملين، كما هو الحال في السويد، ثم يصبح التقرير الطبي الذي يثبت الحالة المرضية ملزما بعد ذلك، يبلغ التعويض ٩٠% وأحيانا ١٠٠% بالنسبة الى بعض التخصصات والمهن، وعلى

²⁵⁶ - Stefan Olafsson, The Icelandic Model of Welfare, 1998.

الرغم من التعديلات التي أجريت على هذه النسب مؤخرًا، إلا أن هذه التعويضات لا تزال عالية بالنسبة إلى مستوياتها في البلدان الأوروبية الأخرى، بيد أن نظام التعويضات المرضية هو من مسؤولية دولة الرفاهية في النمط الإسكندنافية، الأمر الذي يجعل من هذا النظام وسيلة غير مكلفة لإعادة تأهيل العمل في أوقات الركود الاقتصادي من ناحية، وتحقيق زيادة الاستخدام المؤقت وتقليل نسبة البطالة من ناحية أخرى، يرى منتقدوا هذا النظام أنه يشجع على التهرب من العمل ويشيع الكسل²⁵⁷. في حين يرى مؤيدوه أنه يمثل العلاقة السليمة بين العمل والترويج التي تنقذ بشبكة معقدة من أنشطة دولة الرفاهية وبرامجها²⁵⁸.

٣- الخدمات الاجتماعية ونمط الكسب الثنائي: تقدم مختلف البلدان الإسكندنافية دعماً شاملاً على أساس المواطنة، فكل برامج هذه الدول تؤكد استقلالية المرأة، لأن دعم العائلة يدفع للأمهات بعكس ما هو قائم في باقي الدول الأوروبية، حيث يتمثل دعم الأطفال إما بمدفوعات للأباء مع الأجور، أو بسماعات ضريبية من دخولهم²⁵⁹.

والواقع أدت برامج الدعم المتنوعة والشاملة إلى تحولات جذرية بوضع العائلة في الدول الإسكندنافية، فالقليل من النساء يعتمدن في هذه البلدان على دخل أزواجهن، وفي الوقت نفسه زادت مشاركة الآباء في تربية الأطفال، من أجل ترسيخ علاقة أبوية حميمة معهم في صغرهم من ناحية، وتحقيق المساواة بين الجنسين في تحمل المسؤوليات من ناحية أخرى، وتقدم البلدان الإسكندنافية أفضل مثال للتحويل من نمط العائلة التي تعتمد على الرجل كمعيل، إلى نمط ثنائي الإعالة، حيث اكتسبت المرأة من خلال التعليم المهارات والموارد التي تؤهلها للمساهمة في سوق العمل، إن التوسع في برامج رعاية الأطفال والمسنين هي حوافز للنساء المتزوجات للدخول في سوق العمل المدفوع، فنظام الرعاية الاجتماعي ونظام الضرائب القائم على الأساس الفردي شجعا على نشوء نظام الإعالة الثنائي.

٤- الخدمات الصحية: طورت البلدان الإسكندنافية نظاماً شاملاً للعناية الصحية، ومن حق جميع المواطنين، الأغنياء والفقراء التمتع بهذه الخدمات على حد سواء،

257 - Zetterberg Before and Beyond the Welfare State: Three Lectures, pp. 51-59

258 - Esping- Andersen, The Three Worlds of Welfare Capitalism, pp. 155-157

259 - Irene Wennemo, sharing the costs of children: Studies on the Development of Family Support in the OECD Countries, Swedish Institute for Social Research; 25(Stockholm: Swedish Institute for Social Research, 1994.

هذا النظام يقدم خدماته بمستويات راقية وبما يناسب أذواق الفئات الاجتماعية الغنية، لكن يستفيد منه الجميع، إن الخدمات الصحية الراقية تعد إحدى الوسائل التي ترضي تفضيلات دافعي الضرائب وتكسب اقتناعهم بجدوى ما يدفعونه. يلقي نظام الرعاية الصحية الشامل دعماً واسعاً من مواطني هذه البلدان، الأمر الذي يفسر ضعف القطاع الخاص بهذا الميدان، هذا علماً أن الإنفاق على هذا القطاع هو قليل نسبياً بالمقارنة مع مثيله في البلدان الغربية، لذلك هنالك اهتمام شعبي واسع بشأن الموارد المخصصة لهذا القطاع من ناحية، وتمسك جماهيري عريض بضرورة الإبقاء على مستويات جميع عناصر الخدمات الصحية. وهناك في الواقع العديد من برامج الرفاهية الاجتماعية في ميادين متنوعة تؤثر في مستويات الحياة في البلدان الإسكندنافية كالإسكان والتربية والتعليم، والكثير من التحويلات غير النقدية، تؤثر بدرجات متفاوتة في دخول المواطنين، حيث تظهر الدراسات المقارنة أن مستوياتها أعلى من مثيلاتها في الدول الغربية الأخرى²⁶⁰.

يتميز النمط الإسكندنافي في الاستخدام عن الأنماط الأخرى للرفاهية الاجتماعية من خلال مؤشرين: حصة الدولة من مجموع الاستخدام في الخدمات الاجتماعية (الصحة، التعليم وخدمات الرفاهية)، وحصة الدولة في الخدمات الاجتماعية من مجمل الاستخدام. يعبر المؤشر الأول عن علاقة القطاع العام والقطاع الخاص بميدان الرفاهية، ويعبر المؤشر الثاني عن درجة اعتماد الاستخدام الكلي على دولة الرفاهية، ويلاحظ من الجدول رقم 1، أن مصفوفة دول الرفاهية في الغرب تتمحور في ميدان الاستخدام حول ثلاث أنماط هي: النمط الإسكندنافي (الدنمارك والسويد والنرويج وفنلندا)، والنمط المحافظ (النمسا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا)، والنمط الليبرالي (كندا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية). يلاحظ من هذه المؤشرات أن النمط الإسكندنافي منخرط بدرجة أكبر من الأنماط الأخرى في مسألة الرفاهية الاجتماعية،

يليه النمط الليبرالي، وينخرط النمط المحافظ بدرجة أقل.

²⁶⁰ - Elisabeth Steckmest. (Non-cash Benefits and Income Distribution,) Working Paper no. 150. LIS Publications, Luxembourg. 1996. Pp. 40-85

جدول رقم (٢)

دور دولة الرفاهية الاجتماعية في بنية الاستخدام

حصة القطاع العام من الاستخدام في الصحة والتعليم وخدمات الرفاهية (نسب مئوية)

الدولة	حصة الخدمات	حصة القطاع العام	الاستخدام الكلي (في المئة)
الدنمارك	٢٨	٩٠	٢٥
النرويج	٢٢	٩٢	٢٠
السويد	٢٦	٩٣	٢٥
النمسا	١٠	٦١	٦
فرنسا	١٥	٧٥	١١
ألمانيا	١١	٥٨	٧
إيطاليا	١٢	٨٥	١١
كندا	١٥	٤٤	٧
بريطانيا	١٦	٧٧	١٢
أمريكا	١٧	٤٥	٨

المصدر: Gøsta Esping- Andersen, Three Worlds of Welfare capitalism (Cambridge, UK: Polity Press. 1990

يلاحظ من الجدول أعلاه، أن الدولة الاسكندنافية تحتكر ميدان الرفاهية الاجتماعية، فالقطاع الخاص لا يساهم إلا بنسبة ضئيلة (أقل من ٩%) فيما ترتفع مساهمة القطاع الخاص في أنماط دول الرفاهية الأخرى، ولذلك يطلق على النمط الاسكندنافي كونه نمط الاستخدام من الطراز الأول، لأن ما يقارب ربع قوة العمل على المستوى الكلي تخصصه الدولة لخدمات الرفاهية الاجتماعية، وهي تزيد من عرض العمل، فمعدلات الخروج من سوق العمل متدنية بين الكبار من الذكور، فيما ترتفع نسبة مساهمة النساء. والواقع هنالك مايشبه ظاهرة المضاعف في هذا الميدان: إن توسع الدولة في تقديم الخدمات الاجتماعية يسمح للنساء بالعمل لان الدولة تتعهد

بتربية الأطفال وتقديم خدمات الرعاية، كما إنها توسع بذلك سوق العمل، حيث بمقدور النساء الانخراط في الاستخدام²⁶¹.

ان أحد اهم أهداف دولة الرفاهية الاجتماعية هو تقليل التفاوت في ما بين الطبقات والفئات في المجتمع، عن طريق إعادة توزيع الدخل، وبلوغ درجة معينة من العدالة الاجتماعية، ويتم تحقيق ذلك من قبل دولة الرفاهية بثلاث طرائق: إعادة التوزيع العمودي القائم على أساس أنظمة الضرائب (من الأغنياء الى الفقراء)، إعادة التوزيع الافقي القائم على أساس دورة حياة الإنسان (التقاعد، مخصصات الأطفال، مخصصات الأبوة...)، وأخيرا إعادة التوزيع على أساس المخاطر (مخصصات الضمان الصحي وحوادث العمل وتعويضات البطالة)، وتتطوي هذه الاخيرة على درجة معينة من التوزيع العمودي، لأن مخاطر المرض وحوادث العمل والبطالة تكون عادة واسعة بين الأوساط الفقيرة من السكان، لكن أي سياسة لإعادة التوزيع تكون بالطبع موجهة الى الفئات المعوزة: أولئك الذين تعوزهم الموارد التي يمكن الحصول عليها من العائلة أو السوق²⁶². ويمثل الاطفال النموذج الامثل لهذه الحالة، فهم لم يختاروا آباءهم الفقراء، ولايتحملون حتى اللوم عن بطالة أو مرض آباءهم، ولا حتى عن حوادث الطلاق التي تقع في ما بين آباءهم، ولهذا هم أحق من غيرهم من السكان بالرعاية الاجتماعية، ليكونوا مواطنين بالمعنى الحقيقي للمواطنة (التمتع بالحقوق الاجتماعية)، والفئات الأخرى التي تكون معرضة للعوز هي كبار السن والنساء، الاولى بسبب تدني القدرة على العمل، والثانية بسبب زيادة معدلات الطلاق وأنخفاض معدل الولادات.

إن السياسة الاجتماعية لدولة الرفاهية تؤثر بالتأكيد في إعادة التوزيع، فالسياسة الشاملة التي يطبقها النمط الاسكندنافي أدت الى التخلص من عوز الاطفال، بفضل الجمع ما بين المعونة السخية للأطفال ودعم العناية بهم، الامر الذي جعل من اليسيير أيضا، للأمهات إمكانية المساهمة في العمل والحصول على دخل، ولهذا تكون فئة الاطفال والنساء بمنأى عن العوز. أما بالنسبة الى كبار السن، فيوفر التقاعد الأساسي

261 - Ola Sjoberg, Duties in the Welfare State, 2000, pp. 107-140

262 - Rawls, A Theory of justice, p. 20

الشامل للمواطنين المصدر الذي يبعد عنهم العوز أيضا. هذه الوسائل تؤكد أهمية إعادة التوزيع الافقي^{٢٦٣}.

ولتقييم الإنجاز الأسكندنافي في ميدان العدالة الاجتماعية، جرى اختبار المبادئ الرئيسية لنظرية جون راولز في العدالة الاجتماعية، فتبين أن مواطني بلدان دول الرفاهية يفضلون الولادة والعيش في البلدان الاسكندنافية، بحسب معيار رؤية الفرد للنمط الاجتماعي المرغوب فيه، وبالنسبة الى انفتاحية الحراك على مستوى الدخل، تؤكد أن الدول الاسكندنافية هي أكثر انفتاحا للحراك حتى من الولايات المتحدة الامريكية، على الرغم من أن مستوى الدخل أعلى في هذه الاخيرة، فالتفاوت العالي في الدخل لا يلغي مبدأ الاختلاف، بمعنى ان المعوزين يستفيدون من ارتفاع درجة التفاوت بسبب تعظيم كفاءة الاستفادة المرتبطة بمثل هذا التفاوت^{٢٦٤}.

تلك هي أهم سمات النمط الاسكندنافي في ميدان الرفاهية الاجتماعية، وعلى الرغم من كونه يتميز من بقية أنماط الرفاهية في ميدان العدالة الاجتماعية وفي درجة تحرير الانسان من ربة السوق، ويكفي القول ان النمط الاسكندنافي للرفاهية الاجتماعية يوفر مستوى لانقا لتفتح الانسان وازدهاره.

²⁶³ - Palme, The Nordic Model and Modernization of Social Protection in Europe, p. 51

²⁶⁴ - Palme, The Nordic Model and Modernization of social protection in Europe, pp. 62-63½

بَاب التالتر

الدراسات السابقة للرفاهية الاقتصادية والاجتماعية

الفصل الاول: الدراسات السابقة للرفاهية في العصور القديمة

الفصل الثاني: الدراسات السابقة للرفاهية في الاسلام

الفصل الثالث: الدراسات السابقة عند المفكرين

الباب الثالث

الدراسات السابقة للرفاهية الاقتصادية والاجتماعية

الدراسات السابقة في الرفاهية تتناول مجمل السرد التاريخي لمفهوم الرفاهية وكيفية تطبيقها وتناولها من مختلف الفترات التاريخية القديمة والحديثة، وهي سجل لأحداث فكرية ضمن سياقات الظروف كما في فكر أفلاطون أو تطبيقه كما في الاقتصاد الإسلامي أو الاشتراكية كما في تطبيق اشتراكية الكتلة الاشتراكية السوفيتية، أو هي تطبيق الفكر الرأسمالي الان لمفهوم الرفاهية. وهذه الدراسات عديدة ولا يمكن للباحث ان يلم بكل تفاصيلها بل سوف أتطرق الى الأهم منها، لانها تمثل برأي الباحث الافكار المثلى والهامة في المسيرة الأنسانية لتحقيق الرفاهية. ويقع الباب ضمن ثلاث مفاصل رئيسية ولها محاورها وكالاتي:

الفصل الاول

الدراسات السابقة للرفاهية في العصور القديمة

الدراسات السابقة وأعني بها الأفكار التي تناولت موضوع الرفاهية كمبغى إنساني منذ القدم، وهذه الدراسات تناولت مفهوما كيفية تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع، ونجد هذه الدراسات في أفكار معظم المنظرين من الاقتصاديين أو الاجتماعيين أو رجال السياسة، وهذه الدراسات مهمة جدا للوصول الى آخر الافكار الحديثة وإسوة بالعلم والمعرفة وتطوير أفكارها في كل المجالات والوصول الى فكر حديث كما قام به نيوتن، أنشتاين مثلا في اكتشاف وتطوير علومهم وهكذا، فالتطور العلمي مستمر. وسأتناول هذه الدراسات على شكل محاور لا مباحث لان المباحث لا تستوعب هنا. وهذه المحاور هي:

المحور الاول : دراسة بدايات الانسان

منذ نشوء الانسان ومجتمعه وهو يفكر في تحقيق نظام سياسي واقتصادي لمجتمعه يكفل السعادة والطمأنينة لجميع أفراد المجتمع، وما زال الفلاسفة يخرجون للناس ثمرة تفكيرهم وخلاصة آرائهم من شتى النظريات السياسية والاقتصادية التي يرون فيها صلاح الفرد والمجموع، والسعادة التي ينشدها الانسان لاتتحقق الا في مجتمع صالح، فالانسان مدني بطبعه ورفاهيته وسعادته رهينة برفاهية المجتمع وسعادته. وقد نشأ الفكر السياسي عندما تقدمت المدينة، واصبح الانسان على درجة من الوعي والتحضر تكفي لكي يفسر ظاهرة السلطة السياسية، وان يبحث في اصلها واساس خضوع الافراد لها، وان يعمل على تنظيمها بما يحقق خير الجماعة على احسن وجه.

وتعتبر الافكار السياسية نتاج تفاعل عقل المفكر او الفيلسوف مع مجتمعه ومن ثم فانها غالبا ماتعكس لنا صورة هذا المجتمع في فترات نموه وازدهاره او فترات خموله وركوده. فالفلاسفة شعروا منذ اقدم العصور بما يعانيه الفقراء " وهم جزء من الفقر " من بؤس وحرمان، فنادوا من اجل تحقيق العدالة والانصاف بين جميع افراد المجتمع، باقامة مجتمع يختلف كل الاختلاف عن المجتمع القائم تسود فيه الرفاهية والسعادة والعدل بين الجميع. وقد جسد هذا الاتجاه المفكرين التاليين:

١- الاتجاه المثالي قد ظهر في الصين القديمة على لسان (كونفوشيوس) ٢٦٥ في القرن الخامس قبل الميلاد. ٢- ثم نادى به افلاطون ٢٦٦ في كتابه (الجمهورية). ٣- وفي القرن السادس عشر تجددت المحاولة حيث أخرج (توماس مور) ٢٦٧ كتابا اسماه (يوتوبيا) سنة ١٥١٦م أفرغ فيه مقترحاته بشأن نظام يماثل جمهورية افلاطون المثالية، تلغى فيه الملكية الفردية وتحل محلها الملكية الجماعية للاموال وفي ذات الوقت يبقي على نظام الاسرة والزواج. وتوماس مور بعد ان وصف المجتمع المثالي في مؤلفه يوتوبيا التي تعني الجزيرة التي لاوجود لها في اي مكان لم يتعرض للوسائل العلمية الكفيلة بتحقيق هذا المجتمع في العالم الواقعي ولم يفصح حتى عن رغبته في تحقيقه. ٤- وفي القرن السابع عشر ظهر كتاب عنوانه مدينة الشمس للايطالي (كامبانيلا) ٢٦٨. ٥- ثم تعددت المحاولات الاشتراكية بعد ذلك وهي وان كانت بعيدة عن المثالية الا انها اطلق عليها ذات التسمية تمييزا لها عن الاشتراكية العلمية التي ترتبط باسم كارل ماركس. ٢٦٩

فالالاتجاه المثالي يصدر عن الشعور بعدم الاقتناع او بعدم الرضا بالوضع القائمة والرغبة في اقامة نظام مثالي يتلافى عيوب النظام الموجود ويخلق المزايا المنشودة، فالفكر المثالي يقوم على اساس البحث النظري او الخيالي او المجرد، اذ يبني المفكر نظاما مثاليا يؤسسه على بعض المبادئ الاساسية المستقاة من الواقع الموجود ومن ثم يركز اهتمامه على المبادئ العامة والافكار المجردة التي يقيم عليها النشاط الاجتماعي للافراد في علاقتهم ببعضهم البعض وفي علاقتهم بالسلطة الحاكمة. ٢٧٠

المحور الثاني: الدراسات في العصور القديمة

وقد عرجت على مجمل الدراسات التي تتناول رفاهية الفرد والمجتمع في العصور القديمة ووجدت هذه الدراسات في المجالات الفكرية الاتية.....

١- راجعت جميع النصوص التاريخية

القديمة من العصور المشاعية والحجرية مستفيدا من النصوص المستقاة في الكهوف

على شكل رسوم وبيانات كلها تعني بالدرجة الاولى حاجة الانسان وكيفية الحصول

١- هاول فيلسوف صيني يفلح في اقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والاخلاقي فلسفته قائمة على القيم الاخلاقية وعلى ان تكون هناك حكومة تخدم الشعب (الباحث)

266 - (٤٢٧-٣٤٨ ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي رياضياتي كاتب عدد من الحوارات الفلسفية وكان تلميذا لسقراط (الباحث)

267 - كان قائدا سياسيا ومؤلفا وعالما انكليزي يتنكر عادة لمفهوم اليوتوبيا او المدينة الفاضلة في كتابه اليوتوبيا ، (الباحث)

268 - (١٥٦٨-١٦٣٩ م) فيلسوف وشاعر ايطالي، كتابه مدينة الشمس، تخطيط لمجتمع مثالي على زعمه تسوده الاشتراكية الطوباوية. (الباحث)

269 - مصطفى قلوبوش - الحريات العامة، الجز الاول الحريات العامة في المذاهب المعاصرة، طبعة ١٩٩٩-٢٠٠٠ القاهرة

270 - مصطفى سيد احمد صقر - نظرية الدولة عند الفارابي- مكتبة الجلاء الجديدة المنصورة- طبعة ١٩٨٩

عليها وخرزنها تحقيقا لاشباع رغباته مستقبلا.. اذن فالفكر الانساني كان عبارة عن دراسة يومية في تحقيق الذات للرفاهية وتعتبر هذه اول دراسة في الفكر الانساني ويليه قانون حفظ الذات الذي يعتبر اول قانون انساني وضعي مستمد من الغريزة الالهية.

٢- الحضارات التي تلت بعد العصر المشاعي والحجري هي حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين وحضارة وادي السند في الهند وكذلك الصين ... كل الدراسات التي تناولت الرفاهية كانت مرتبطة بالاله حتى القوانين الوضعية التي كانت تتناول حاجات الانسان واشباع رغباته تحقيقا للرفاهية كانت مستمدة من الذات اللاهية .. وقد تجلا ذلك في القرآن الكريم لاحقا ... ورزقكم في السماء وما توعدون^{٢٧١}.

٣- الدراسات الفكرية المكتوبة..... كل ما ذكر في اعلاه من الدراسات هي من وضع خيال الكتاب في موضوع الرفاهية.... والان سوف اعرج على مجمل الدراسات المتحققة من قبل المفكرين منذ اواخر العصر القديم التي تتناول العدالة والرفاهية.

المحور الثالث: الفكر الاقتصادي والسياسي والاجتماعي عند أفلاطون

١- الفكر الاقتصادي عند أفلاطون

عرف الفكر الاقتصادي في اليونان القديم تطورا ملحوظا في القرن الخامس الميلادي، نتيجة للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في اثينا، ونتيجة للتوسع الكبير الذي حدث في اثينا والبنية السياسية الديمقراطية التي سادت تلك المرحلة (ديمقراطية السكان الاحرار). وهذا ماكان مسيطرا على حركة الافكار سواء ماجاء به أبناء اثينا او ماجاء به الاجانب الذين استضافتهم. ولكي نعيد بناء الايديولوجية والنظام الاقتصادي لدولة اثينا، نجد انفسنا ملزمين ان نستقي ذلك من اعمال أفلاطون وأرسطو والفلاسفة والمفكرين العظماء في الحضارة اليونانية، بل واحيانا لا بد من العودة الى الفلسفة والشعر والادب اليوناني، وتنظيم هذه الافكار حول اهم الظواهر والمشكلات الاقتصادية والفعالية والنشاط الاقتصادي لدى

المجتمع اليوناني، وسنحاول فيما يلي مناقشة الافكار الاقتصادية لدى الفيلسوف اليوناني أفلاطون.

ولد الفيلسوف اليوناني أفلاطون Plato نحو عام ٤٢٧ ق.م، وكان والده من اشراف اليونان في ذلك العصر. كان أفلاطون تلميذا للفيلسوف سقراط لمدة تزيد على خمس سنوات وتعلم منه (ان الفضيلة هي المعرفة) لذلك وبعد وفاة سقراط رحل افلاطون متوجها الى مصر بحثا عن المزيد من العلم والمعرفة، ثم انتقل بعدها الى صقلية.وعندما عاد الى اثينا رغب اليه اهله في استلام حكمها الا انه رفض ذلك متأثرا بمعلمه سقراط في مجال الزهد، وتأكدته من ان قناعاته تخالف قناعات الأثينيين.

كانت الحياة السياسية والاقتصادية لدى اليونان القديم مرتبطة تماما بوجود المدينة التي كانت تقوم بالدور ذاته الذي تقوم به دولنا المعاصرة، ومع اختلافها عنها اختلافا جزريا، والمدينة لدى اليونانيين وحدة سياسية اقتصادية لا تقتصر على مراكز المدن بل تمتد لتشمل الريف ايضا، والمدينة هي (التنظيم السياسي والاجتماعي الموحد لارض محدودة يمكن ان تضم مدينة واحدة او عدة مدن كما تضم رقعة الريف الذي يرتبط بها)^{٢٧٢}

لقد كانت اثينا على سبيل المثال مجرد مركز اقليم زراعي، وعندما ازدهرت الحرفة وانتشرت تحولت الى مركز حرفي، ثم في وقت ازدهار التجارة اصبحت سوقا ومستودعا تجاريا، ولكنها ظلت المدينة التي تجملها الاعمال الفنية وتحسنها التأملات الفلسفية، وساحاتها مركزا للمهرجانات المسرحية، فالمدينة هي الاولى دائما وفي كل مكان، اما الانسان فهو مايعنيه عليه دوره المدني.

لقد وضع افلاطون توجهات وارشادات تتبع في كثير من جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ومن خلال المؤلفات التي انجزها نستطيع ان نستخلص بعض الافكار الاقتصادية التي سادت الحضارة اليونانية القديمة.

٢- الفكر السياسي والاجتماعي في فكر أفلاطون

لقد تآثر افلاطون في مبادئه وعقيدته السياسية بالتاريخ العريق لبلاده وبخاصة الانظمة السياسية التي سادت فيها. لقد تطلع افلاطون الى ماضي الدولة اليونانية

272- جان توشار، تاريخ الافكار السياسية، ترجمة د. ناجي الدرواشة، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٤، ج١، ص١٩

المجيدة واقتبس منه آراءه فأخذ ليكر غوس الاسبرطي نموذجا له في كتاباته الاولى ويظهر في كتابه

(الجمهورية) ولكنه عندما رأى ان النظم الاسبرطية تنقصها الثقافة العلمية اراد ان يدعم فضائلها العسكرية والطبيعية بالتعاليم الفلسفية والخلقية وبحكومة من المثقفين، ولما رأى اخفاق اسبارطة في قيادة الولايات الاغريقية بعد انتصارها في حروب البيلويونيز، حول نظره الى اثينا وترك اسبارطة فتعدلت آراؤه الاولى ويظهر ذلك في كتابه (القوانين) اذ اقتبس كثيرا من تشريعات (سونون) الأثيني واصلاحاته^{٢٧٣}. ومع ان معظم آراء أفلاطون ونظرياته تبقى خيالية ولانفيدنا في حياتنا المعاصرة، الا انها اشتملت على كثير من الحقائق أهمها:

١- العدل اساس الملك.

٢- الفضيلة قوام الدولة.

٣- اساس الفضيلة هو التربية والتعليم.

٤- وضع مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد.

٥- الاعتزاز بالوظيفة.

٦- الحكم فن يحتاج الى خبراء مدربين.

هذه هي بعض الافكار في الاقتصاد والسياسة والفلسفة والاجتماع، والتي استطعنا ان نصل اليها في نتاج أفلاطون الفكري العظيم.

اما الانسان في نظر أفلاطون فيتكون من : ١- العقل، ٢- الميول الخيرة او الشريفة، ولكن بنسب متفاوتة ومتحولة، وفي كل مجتمع من المجتمعات تسيطر احدى الفئتين، فئة الميول الخيرة أو فئة الميول الشريفة، وحيانا تسيطر كلتاهما في ظل رقابة العقل وسيادته. وللحصول على انسان عادل من الهام ان تقوم مدينة فاضلة عادلة، وهذا يوضح العلاقة بين الانسان والمجتمع وبين الانسان والنظام الاقتصادي الاجتماعي القائم، ويرى افلاطون ان مجموعة سكان المدينة الاحرار لن تتكون من مجموعة من الافراد متجانسة، بل تتكون من ثلاث طبقات متميزة بوضوح يحقق تعايشها واجتماعها معا نوعا من التكامل. والطبقات الثلاث هي :

* طبقة الحكام الرؤساء وخير ما يجب ان يتميزوا به هو الحكمة.

273- نعيسة، يوسف جميل. د. تاريخ الفكر السياسي، جامعة دمشق، مطبعة رياض، دمشق ١٩٨٢، ص ١١٣

*- طبقة المساعدين او المحاربين(الجنود) المتصفين بالشجاعة، ومهمة الجنود المتصفين بالشجاعة هي الدفاع عن المدينة وحمايتها.

*- طبقة المنتجين وتضم كل من يعمل بالنشاط الاقتصادي، الحرفيين والفلاحين، واصحاب العمل والعمال، ومهمتها خلق السلع والخدمات لاشباع الحاجات المادية للمدينة. ويطلب من هذه الطبقة الصناعة والاعتدال ومقاومة شهواتها.

والجدير بالذكر ان افلاطون لايفرق بين الرجال والنساء، بل يرى ان يعامل الجميع رجال ونساء معاملة واحدة، اما بالنسبة للعبيد فأن افلاطون لم يصنفهم في اي من الطبقات الثلاث، فقد تركهم خارج هذه الطبقات وعدم (أدوات ناطقة من أدوات الانتاج)^{٢٧٤}

ليس من السهل تحديد العناصر التي تقوم عليها النظرية المثالية وخاصة نظرية المثل عند افلاطون، فافلاطون عمل على البحث عن الحقيقة اكثر مما عمل على عرضها والبرهان عليها، بالاضافة الى ذلك فان فكر افلاطون فكر دينامي وتشكل نظرية المثل نقطة انطلاق ومرتكزا اساسا لفلسفة افلاطون بجملتها وهي ناتجة عن استخدام الاستقراء السقراطي والجدل الافلاطوني.^{٢٧٥}

عمل افلاطون على احلال نظام سياسي يقوم على العدالة ويسير وفقا للمبادئ الفلسفية فقد وضع نظام جمهوريته في عهد ازدهار (اسبرطة) وتغلبها على اثينا وقد راقه النظام الاسبراطي بما فيه من انضباط هو ثمرة التربية البعيدة عن كل ميوعة، والتمرس البعيد عن كل ضعف، فافلاطون في محاور الجمهورية يقصد تجديد صورة الدولة المثالية التي تتحقق فيها العدالة الاجتماعية، من حيث هي فضيلة النفس الفردية. ونظام يتعلق بالدولة، فأوجب عليه هذا المقصد ان يفسر طبيعة الانسان وبيان تكوين الدولة على حد سواء ليتمكن من تحديد الظروف الواجب توافرها كي تتحقق العدالة في كل منها. سيطر التيار الافلاطوني على الفكر المسيحي، بدءا بالقدس أوغسطين بعد ان قرأ مؤلفات افلاطون واستمر هذا التيار الافلاطوني، كما اثرت فكرة (المدينة الفاضلة) في الفكر العربي الاسلامي، واول

274- مصطفى العبد الله الكفري، أفلاطون والأفكار الاقتصادية، الحوار المتمدن، العدد ٩٦٩، ٢٠٠٤
275- بدوي، عبد الرحمن- خريف الفكر اليوناني- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٩- ص ١٢١

من كتب في هذا الموضوع (أبو نصر الفارابي) الا انه وظف المفهوم الافلاطوني في سياق اسلامي. بحث في كتابه (آراء اهل المدينة الفاضلة).^{٢٧٦}

لقد تصادف ميلاد افلاطون سنة ٤٢٧ ق.م مع بداية حرب البوبونير التي دامت ثمانا وعشرين سنة بين اثينا وأسبرطة وسواء خلال هذه الحرب او بعدها عرفت اثينا تأجبا للصراعات السياسية وتعاقبا لاشكال مختلفة من الحكم ساهمت جميعها في زعزعت الاستقرار الداخلي وتقويض دعائم الحياة القبلية التي كانت سائدة في مرحلة سابقة، فبعد فترات من الحكم الطغياني تشهد اثينا عودة الى النظام الديمقراطي الذي كان قد بلغ أوج ازدهاره في عهد بركلس، لم يضع حدا نهائيا لمظاهر التقهقر والفساد التي كانت تسود الحياة السياسية حسب افلاطون فهذا النظام ضد (طبيعة الامور) يستحيل معه وجود نشاط سياسي نزيه لانه يمثل انقلابا نحو الاسوء وتجدر فيه المفاهيم والقيم من معانيها الحقيقية.^{٢٧٧}

ولكي نفهم تركيبة الفكر السياسي عند افلاطون علينا ان نفهم ايضا بنية تفكيره الاخلاقي لانها متضمنة ومتداخلة فيها، فالسياسة ليست اكثر من امتداد طبيعي للاخلاق، وهذا النهج الذي اتبعه افلاطون قد سار عليه كذلك تلميذه ارسطوطاليس ٣٨٤-٣٢٢ ق.م ومعظم فلاسفة اليونان.

٣- الدولة في فكر أفلاطون

اذا كانت نظرية افلاطون حول الدولة تجد اساسها في البناء الميتافيزيقي الذي صاغه هذا الفيلسوف فانها جاءت كرد فعل على الاوضاع المتأزمة التي عرفتتها مدينته اثينا، والتي جعلت الكيان السياسي مهددا بالتفتت والانهيال، ولعل هذا مايفسر كون افلاطون عند عرضه حول منشأ الدولة يميز بين مرحلتين متعاقبتين، مرحلة الدولة البسيطة والسليمة حيث لا توجد سوى المهن الضرورية والاساسية التي تحقق الحاجات الحيوية للانسان، ثم مرحلة الدولة المترفة والمعتلة التي تتعقد فيها المهن والوظائف وتطمح للكماليات، وفي هذه الدولة وحدها تنشأ بالذات الاطماع التي تؤدي الى اثاره المنازعات ونشوب الحروب.

والمسار التدريجي للدولة حسب افلاطون يتجه من الفضيلة الى الرذيلة بسبب الطمع في الملذات والشهوات وهذا الانحراف عن الاصل السليم تجده حاضرا من خلال

276-مصدر سابق (عبد الرحمن بدوي)

277-حسين حرب،د - الفكر اليوناني - افلاطون، دار الفارابي، بيروت- ١٩٨٥. ص١٥

وصف افلاطون للاشكال الاربعة للحكم وهي: التيمقراطية، والاولبغارشية، والديمقراطية، والطغيان.²⁷⁸

فدولة الحق التي شيدها افلاطون يعمقها العدل أساسا، فهي صورة مكبرة للفرد، لان غاية الاخلاق هي الدولة لا الفرد، بمعنى آخر ان الفرد عبارة عن صورة مصغرة للدولة والدولة هي الهيكل الضخم لهذا الفرد، وبما ان (القوة الناطقة) في الفرد تعتبر اعظم القوى جميعا، ان يجب ان تكون الفلسفة هي القوة الحقيقية في توجيه الدولة، كما ويجب ان يكون رئيسها فيلسوفا، لان العدالة في الفرد وفي الدولة لا يمكن ان تتم مالم يبسط العقل نفوذه ويحكم. ولقد قسم افلاطون الدول التي تضاد دولة العدل الى اربعة اقسام هي:²⁷⁹

*- الدولة الدينية: وهي حكومة الطبقة الوسطى التي تسمح بالملكية الخاصة وما يصيب النظام من اختلال بسبب ذلك، فتجعل العسكر في هذه الطبقة هم الافضل مما يؤدي الى العنف والحروب.

*- الدولة الاقطاعية: وهي ناتجة عن الدولة الدينية، حيث يعتاد الافراد على جمع المال بأي وسيلة كانت، وبسبب ذلك تضحل وتنتهي الفضيلة ولا يبقى غير الاثرياء لقيادة الدولة كونهم الافضل.

*- دولة الشعب: وهو الحكم الديمقراطي الفوضوي، حيث يثور الفقراء على الاغنياء بسبب الحرمان والتعسف ويصبح الحكم شائعا للجميع، لانظام ولا قائد مسيطر بل الشعب يحكم نفسه بنفسه.

*- دولة الاستبداد: وهو حكم الطغيان والمصالح الشخصية، اذ بعد ان تعم الفوضى لحكم الشعب تفرز هذه الحالة فردا من المجتمع يوهم الجميع على انه سوف يبني دولة الرفاه بلا ضرائب ولا ظلم.

ويفسر افلاطون ايضا شرائح المجتمع الى طبقات مثلما قسم النفس الانسانية، فالاولى هي طبقة الحكام والفلاسفة الذين يختصون بمزايا العدل بالدرجة الاساس، وتقابلها النفس الناطقة. والثانية طبقة الكتلة العسكرية وتقابلها النفس الغاضبة. واخيرا طبقة العمال وهي تقابل النفس الشهوانية.

278- الترجمة العربية للكتاب الثاني من مؤلف الجمهورية (الباحث)

279- مصدر سابق (د. حسين حرب)

ينص افلاطون على ان الحاكم لا يصلح ولا يكون الا فيلسوفا، ويسميه المثل الاعلى، والسبب الرئيسي في ذلك هو ان الفيلسوف او الفلاسفة الحكام هم وحدهم الذين يدركون المثل لا الاستبداد، خصوصا وانهم لا يبيغون السلطة من اجل المال او الجاه او التسلط، بل غايتهم تنصب نحو المصلحة العامة فقط. ويذهب افلاطون في تصوره الى حد ان يجعل من طبقة الفلاسفة ان لا يقترن احدهم بأمرأة معينة، لكيلا تأخذ منهم الاسرة مهام ومسؤولية الدولة، ولهذا فقد أكد على (مشاعية النساء والاولاد) حيث تكون النساء مشاعا للطبقة الحاكمة دونما ان يعرف الاب ابنه ولا المولود ابوه، حتى لاتتكون العواطف والميول تؤثر على عقلية الحكام والنظام الصارم. ولكن هذا التشدد الذي يبديه افلاطون تجاه نظام الفلاسفة القادة يقابله فتور تجاه العامة من الناس، فلا يحفل بهم ولا يضع لهم نظاما ولو بسيط سوى انه يطالبهم بان يتبعوا الاخلاق الشعبية المتبعة، والالتزام بالعادات والتقاليد الموروثة.

انطلق افلاطون من تاويل صارم لمبدأ توزيع العمل بين الطبقات المكونة لمدينته الفاضلة عند صياغته لنظرية العدالة في محاورة (الجمهورية) فقد أكد سقراط بأن النظام العادل هو الذي يقوم فيه الشخص بمهنته أحسن قيام.

٤ - التعليم في فكر افلاطون

احتل التعليم الحيز الاكبر عند افلاطون الامر الذي دفع بعض المفكرين اللاحقين من أمثال جان جاك روسو الى القول بأن (الجمهورية) احتواء على أعظم ماكتب عن التعليم.^{٢٨٠}

يقسم افلاطون التعليم الى مرحلتين هما:

المرحلة الاولى... ويتم خلالها التدريس حتى سن العشرين اي تنتهي عند بداية الخدمة العسكرية.

المرحلة الثانية... فتقتصر على فئة منتقاة من كلا الجنسين من ابناء الطبقتين الحاكمتين الجنود والحكام، وتبدأ من سن ٢٠ الى سن ٣٥.

اما المواد المدرسة في هذه المرحلة فتتضمن الرياضيات والفلك والمنطق.

يظهر البرنامج التعليمي الطويل المدة لافلاطون ان هذا الاخير معارض تماما لمبادئ الديمقراطية الاثيني القائم على حق الفرد في الحصول على التعليم الذي

280 - عامر حسن فياض، علي عباس مراد- مدخل الى الفكر السياسي القديم والوسيط، منشورات جامعة دار يونس، بنغازي ص ٢٦

يرغب فيه بعيدا عن تدخل السلطة السياسية التي يتم اختيار حكامها بالقرعة او الانتخاب. وهذا النظام التربوي ينتهي بالافراد في سن الخمسين، اذ ذاك تصل القلة القليلة لبلوغ طبقة الفلاسفة الحكام حيث هذبهم السن والخبرة وأمتلأت نفوسهم بالعلم والمعرفة حتى صاروا جديرين بنيل المثل العليا في رئاسة الدولة والحفاظ على نظامها التربوي والتعليمي.

وأذا كانت الفضيلة هي المعرفة كما يقول افلاطون كان افضل من يتولى مهمة ادارة الشأن السياسي في الدولة، اكثر افرادها معرفة وأعلمهم بمثل الخير الاسمي، وهؤلاء هم الفلاسفة.²⁸¹

وخلاصة القول فان افلاطون يذهب في السياسة مذهباً ارسطوياً يخالف فيه ديمقراطية (أثينا) حيث يرى ان تدخل الاكثرية في السياسة والحكم يثير الفوضى ويخالف مفهومه للعدالة الذي يقوم اساساً على تخصص طبقة ارسطوئية في الحكم لان لها فوق سواها مواهب الحكمة والشجاعة والعدالة والمساواة يجب ان يقرنا معا في طبقة الحكام لذلك نادى بالشيوعية وبمساواة النساء والرجال في هذه الطبقة، فتشارك المرأة الرجل في جميع الاعمال الخاصة بالطبقة، ونادى كذلك بالغاء الزواج والاسرة في طبقة الحراس فلا يختص أحد في هذه الطبقة بزواج أو زوجة أو ولد، انما ستكون النساء والاولاد جميع مشاعاً بينهم فيربي الاطفال في دور الحضانة، ترضعهم أمهات صحيحات البدن، وترعى شؤونهم مربيات متخصصات، فتتفرغ الامهات لاعمالهن.

في اول مؤلفاته (الجمهورية) تحدث افلاطون عن المدينة الفاضلة، اي الدولة الفاضلة، والدولة الفاضلة هي الدولة المنظمة بطريقة موضوعية مستقرة، ففي هذا الكتاب الذي الفه في مطلع شبابه كان افلاطون يرى ان من ينبغي ان يحكم المدينة الفاضلة هم الفلاسفة، وكان يرى ان من حماقة والخطأ ان تغل يد الحاكم الفيلسوف بأحكام القانون، ولكن منذ كتابه قبل الاخير (السياسي) ثم في آخر مؤلفاته والذي أسماه (كتاب القوانين) راجع افلاطون أفكاره الخيالية القديمة، وبمراجعة تجاربه أدرك ان المثل الاعلى شئ والحقيقة شئ آخر، فعندما تقدمت به السن وصقلته التجارب تراجع عن فكرة حكومة الفيلسوف حيث يقرر في كتابه السياسي (الابد ان نقرر ولا شك فيه .. وهو ان القانون أفضل من الهوى، وأن صلاح الحاكم الخاضع

281- مصدر سابق (عامر حسن فياض، علي عباس مراد)

للقانون أفضل من تلك القرارات التحكيمية التي تصدر عن طاغية مستبد او عن حكومة بلوتقراطية او عن حكم الغوغاء. ولاريب كذلك في ان القانون بوجه عام قوة باعثة على الحضارة، يصبح الانسان بدونها.. مهما كانت قبضته أخطر من الحيوانات المتوحشة.. ثم يواصل افلاطون اعلانه عن ايمانه العميق بالقانون في كتابه الاخير (القوانين).^{٢٨٢}

المحور الرابع: الدراسات لدى المفكرين

تناولت في هذا المحور بعض المفاهيم التي تناولها رجال الدين المسيحيين أو العرب وكالاتي:

١- **القديس أوغسطين** ينحدر من أصول أمازيغية، ولد في تغاست عام ٣٥٤م، عندما بلغ الحادية عشر من عمره ارسلته أسرته للتعلم ثم ذهب الى قرطاج لتعلم البيان، بدأت حياة أوغسطين بالتحول من خلال بحثه عن معنى الحياة، بدأ يبتعد من المانوية منذ ان كان في قرطاج الا انه لم يعتنق المسيحية فوراً بل جرب عدة مذاهب واصبح متحمساً للافلاطونية المحدثة.^{٢٨٣}

في صيف ٣٨٦م بعد قراءته سيرة القديس انطونيوس الكبير وتأثره بها قرر اعتناق المسيحية، ترك البيان ومنصبه في جامعة ميلانو ودخل في سلك الكهنوت.

يقول أوغسطين بأن كل السیادات وكل السیطرات الانسانية ستندعم فيما بعد، اي في مملكة الله، وبانتظار ذلك يجب على العبد ان يطيع سيده بطيب خاطر، هذه العبودية توجد في النظام، انما شرعية، لان الخطيئة التي احدثت اضطرابا في النظام الطبيعي يجب ان تعاقب كذلك الحكم القمعي يعتبر ايضا فدية للخطيئة ويوجد في النظام وهو شرعي مثلما هو ضروري، فالمحكومين يجب ان يطيعوا السلطة في حدود غايتها، الخاصة، فكل سلطة قائمة في هذا العالم يجب ان تمجد، وان على المؤمن باختصار واجب الانحاء امام المخطط الالهي. اما بالنسبة لمعرفة من يكون القيصر، فأوغسطين يتكلم بصوت عال في مدينة الله ان شكل الحكم او الدستور هو أمر دنيوي بحث وجائز كليا، انه يتعلق بطبيعة الشعب الذي سيحكم وكذلك بالظروف، والعدالة في نظر اوغسطين الفضيلة التي تعطي لكل واحد مايعود له، ان الدولة المسيحية

282-حسن الظاهر، دراسات في تطور الفكر السياسي، مطبعة أنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص٢٠٥
283-الافلاطونية المحدثة مدرسة فلسفية تشكلت في القرن الثالث للميلاد بناء على تعاليم افلاطون. الباحث

التي اقامت الله وسط مؤسساتها تجد في هذا القوة والاستقرار، انها تعمل على تحضير المدينة السماوية، وعلى الاقتراب منها بقدر الامكان في هذه الدنيا. فأوغسطين يعبر بعبارات مأثورة عن ضرورة العدالة، فبدونها كما يقول لن يكون الممالك الا مجتمعات واسعة لقطاع الطرق، بالنسبة لاوغسطين فالدولة التي تريد ان تستمر هي التي تلبي حدا ادنى من متطلبات العدالة، بالمعنى الشائع للكلمة، ان لم يكتب المستطاع تحقيق العدالة الحقيقية والكاملة لمدينة الله.

وبالنسبة للعلاقة بين الكنيسة والدولة فلم يقل شيئا مختلفا سواء في مدينة الله أم في العديد من الكتابات الاخرى، فكل سلطة ميدانها بكل استقلال، للدولة المصالح المادية والحياة الخارجية، والجزءات الجسدية (السيف). وللكنيسة المصالح الروحية والحياة الداخلية والجزءات الروحية البحتة، الا ان هذا لا يمنع من ان الكنيسة تضع نفسها في مستوى أعلى، فالدولة ليست الا حقيقة متغيرة ومؤقتة، ومهيأة للاختفاء عندما ستاتي مملكة الله.

٢- ابو نصر الفارابي

أبو نصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان، فيلسوف ورياضي وموسيقي ولد في وسيج وهي مدينة فاراب القديمة في منطقة خراسان، قضى جزءا كبيرا من حياته في بغداد وهناك درس الفلسفة اليونانية، وعاش في سوريا ببلاط سيف الدولة الحمداني حيث وجد هناك المكان الصالح للتفكير والتأمل، ويقال ان قطاع الطرق قتلوه.

وهو اول فيلسوف سياسي، حاول التوفيق بين التراث السياسي الافلاطوني والاديان السماوية، في مجال الفلسفة ترك الفارابي عدة مؤلفات اهمها كتاب (السياسة المدنية) و(آراء اهل المدينة الفاضلة) وجوامع كتاب النوامس لافلاطون ورسالة في التنبيه على سبيل السعادة ثم رسالة في السياسة.^{٢٨٤}

الانسان في نظر الفارابي كائن مدني بالطبع، وان اجتماعه مع اقرانه ضرورة لازمة لحياته وكل ذلك بتدبير الهي، لان الله تعالى خلق الانسان وفطره على محدودية القدرات وتعدد الحاجات لذلك كان في حاجة الى من يكمل له تلك الحاجات وكل ذلك

في اطار حياة مجتمعية، وقد اعطى الفارابي مثالا على ذلك حيث شبه المدينة الفاضلة بالجسم الصحيح الذي تتعاون اعضائه وتتكامل.^{٢٨٥}

يقسم الفارابي الجماعات الانسانية الى نوعين:

الاولى.. جماعات كاملة .. عظمى، وسطى، صغرى

الثانية.. غير كاملة.. اجتماع اهل المدينة، اجتماع اهل المحلة، واهل المنزل.

ان المدينة الفاضلة في نظر الفارابي هي تلك المدينة التي تعرف وجه الحقيقة ومعنى الفضيلة، وجوهر السعادة الانسانية ووسائل بلوغها، وتكون غاية اهلها في اجتماعهم وتعاونهم، وبخلاف المدينة غير الفاضلة التي قد تعرف ذلك ولكنها لاتعمل من اجله، او قد تتوهم انها تعرفه وتمثل هذه المدن عند الفارابي في:

● المدينة الجاهلة

● المدينة الفاسقة

● المدينة المبدلة

● المدينة الضالة^{٢٨٦}

ولا يضع الفارابي رئاسة المدينة في يد شخص، بل في يد شخص معين حدد له صفات وشروط، حيث قال في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة ان الرئيس الحقيقي هو رئيس الامة الفاضلة، ورئيس المعمورة كلها ولايجوز ان يكون فوقه رئيس اصلا، بل هو فوق الجميع، وليس في وسع كل انسان ان يكون رئيسا، لان الرئاسة لاوجود لها في كل شخص، ويجب ان يتوافر في رئيس المدينة الفاضلة اثني عشر خصلة، وعندما لا يوجد مثل هذا الشخص فان حكم المدينة الفاضلة يؤل الى من يسميه الفارابي الرئيس الثاني الذي يحكم المدينة بشرائع الرئيس الاول ويطلق الفارابي على الرئيس الثاني اسم الخليفة^{٢٨٧}.

لقد حاول الفارابي جاهدا في مدينته الفاضلة التوفيق بين الفكر السياسي وبين الرسالة الاسلامية وهي بذلك صورة صادقة لجهود فيلسوف عمل على التوفيق بين العقل والنقل، اي بين الفلسفة والدين فقد نهج كل من الفارابي والقديس اوغسطين وغيرهما

285- يوسف ابيش - الفلسفة الاسلامية السياسية، دار الحمراء للطباعة، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٨

286- حسن الظاهر - دراسات في تطور الفكر السياسي- ص٤٧٢

287-مصطفى سيد احمد صقر - نظرية الدولة عند الفارابي، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، ١٩٥٩

من المفكرين نهج افلاطون في تصوير العدالة في المجتمعات من خلال تصوير
الدولة الفاضلة.

الفصل الثاني

الدراسات السابقة للرفاهية في الاديان.. الاسلام نموذجا

تعد العدالة محور المعتقدات الاخلاقية في أي دين، فهي الحل الشرعي والنفسي الذي يقترحه ذلك الدين لمعضلة البشر الازلية.. صراع الخير مع الشر، وبالتالي فان جوهر وفكر أي دين يمكن مقارنته الى أسلوب العدالة.

عبر الفكر البوذي Buddhism بأفكاره عن إحتجاج عامة الشعب على الديانة البراهمانية بسبب فوارقها القبلية المقدسة^{٢٨٨}. إذ يخاطب بوذا (٥٦٢- ٤٨٣) ق.م الظالمين قائلاً: (فيا من تقترفون المظالم، إنتهبوا الى أنفسكم، وإنظروا الأشياء بأعينها لا بظواهرها، ولا تستسلموا الى عبودية الذات، فتقعوا في شر أعمالكم، وأعلموا أنكم لا تجنون من العلقم عنياً)^{٢٨٩}.

أما الكونفوشيوسية Confucianism التي تنسب الى كونفوشيوس (٥٥١-٤٧٩) ق.م، فترى أن القاعدة الأخلاقية موجودة فينا ولا يمكن ان تافصل عن أنفسنا. فالإنسان لا يفعل الشر عن علم بل عن جهل، ولكنه لو عرف الخير لأتجه اليه بشكل طبيعي. فالشر جهل والخير علم. أما سبب المصائب التي حلت بالإنسانية فهي الملكية الخاصة، التي تؤدي الى التناحور والصراع.^{٢٩٠}

وأمنت الديانة اليهودية في الربع الاول من الالف الثاني قبل الميلاد، بأن الله يحب العدالة، وقد شيد عرشه عليها، وأن الانسان لكي يحيا حياة الحق، عاياه أن يتعامل بعدالة على الدوام مع الاخرين^{٢٩١}. إذ جاء في التوراة " العهد القديم " كلام الرب مستقيم، وكل أفعاله حق، العدل والانصاف، ومن رحمته تمتلئ الارض.

أما كتاب " التلمود " الذي بدأ حاخامات اليهود بتأليفه للمرة الأولى بين العامين (١٩٠-٢٠٠) م، مغيرين من خلاله أحكام التوراة، فقد أباح الربا، وتقديم الاطفال

288 - م. روزنتال، و ب. يودين الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، بيروت- دار الطليعة - ١٩٨٥ ص ٩١

289 - إنجيل بوذا ، ترجمة عيسى سابا، بيروت، مكتبة صادرو ١٩٥٣، ص٧٦-٧٧

290 - سعفان، حسن شحاتة، كونفوشيوس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص ٣٩

291 - S:E Frost, the sacred writings of the worlds origins. The new home library, New yourk, pp153-403

قربانا للإله "مولوخ" Moloch ، وكراهية الأجنبي غير اليهود^{٢٩٢}. وقدم معيارا مزدوجا للعدالة، إذ ما يباح من حقوق لليهود لا يباح لغيرهم من الأقوام والأديان.^{٢٩٣} وشددت المسيحية على أن كل الأحكام ينبغي أن تتخذ بعدالة، وعلى الإنسان أن يكون متيقظا لكي لا يسقط في أحكام الشر، فإله عادل، وسيقاضي كل الناس بالعدل طبقا لأفعالهم، فجاء في الإنجيل "العهد الجديد" (أيها السادة عاملوا عبيدكم بالعدل والمساواة عالمين أن لكم أنتم أيضا سيدياً في السماء)^{٢٩٤}

أما في الاقتصاد الإسلامي فإن المسلمات تقع في:

- ١- المسلمة الأولى: هي ان النظام الاقتصادي الإسلامي يعمل في ظل هيمنة الشريعة الإسلامية لتحقيق هدفين أساسيين هما الاعمار والعدل.
- ٢- المسلمة الثانية: هي ان النظام الاقتصادي الإسلامي يتحول الى فعاليات الحياة وانشطتها سلوكا وممارسة بفضل قدرة العقل المسلم على تحويل المفاهيم والاحكام الإسلامية الى واقع عملي يعمل على ضوء هدي الشريعة، الامر الذي يؤدي الى تحقيق المقدره على التحليل الاقتصادي في الاحكام الإسلامية، وما تفرزه في الصياغات النظرية^{٢٩٥}. ولكي نفهم ماهية الاقتصاد الإسلامي لابد لي من تناول المحاور التالية:

المحور الاول: النظرية الاقتصادية الإسلامية

تعالج النظرية الاقتصادية الإسلامية المشكلة الاقتصادية ليس بالاتكال على الفرضية التقليدية في النظرية الاقتصادية القائمة على عاملي الندرة والاختيار^{٢٩٦}، على الرغم من الحضور النسبي لهذين العاملين في معالجة المشكلة الاقتصادية، وانما تعالج كل ذلك انطلاقا من سوء توزيع الموارد وما يرافق ذلك من تغيرات جذرية مصاحبة للنشاط الاقتصادي، وكذلك سوء الاستخدام والاختيار، اذ يعد تحقيق العدالة واجبا من خلال العلاقة بين فعالية الانتاج وفعالية التوزيع فاذا كان النمو الاقتصادي وتنميته في الاقتصاد الإسلامي يستند اصلا الى الجانب الكمي والجانب التقني من فعاليات الانتاج، فان حضور التوزيع العادل يعد شرطا ضروريا لنمو الانتاج وتنميته،

292 - ظفر الإسلام خان- التلمود . تاريخه وتعاليمه، بيروت دار النفائس، ص ٩٠-١١

293- سليمان مظهر. بين السماء والارض، قصة العقائد، دار النهضة، العربية، القاهرة ص ٣٣٧

مصدر سابق S.E Frost - 294

- نجاح عبد العليم ابو الفتوح - اثر استبعاد الفائدة على كفاءة تخصيص الموارد في التحول الى اقتصاد اسلامي، اطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق-كلية التجارة - 295 قسم الاقتصاد - القاهرة ١٩٩٤، ص ٢٣٤

296- المشكلة الاقتصادية التقليدية تتكون من عنصرين اساسيين هما.. أ- الحاجات المتعددة ب- الموارد المحدودة، الباحث

ولاحصل تناقض بين الاستهلاك والانتاج، في حين شخصت هذه المسألة في النظرية الاقتصادية الغربية بوضوح عند جون مينارد كينز، اذ ان انخفاض الاجور يؤدي الى انخفاض الطلب الفعلي.^{٢٩٧}

كما ان التشغيل لايعتمد على الاجور بقدر مايعتمد على الطلب الكلي الفعال، ونشتق من ذلك ان الطلب على العمال يرتفع بارتفاع الطلب الفعلي لابانخفاض الاجور. فاذا كان أحد الاركان الاساسية للطلب الفعلي، هو أشتمال المبالغ وانفاقها على السلع الاستثمارية في القطاعين الخاص والعام، فالصورة ستوضح ان الطلب الفعلي متغير مستقل وان الدخل والتشغيل متغيرات تابعة. وهذا لايمكن توفره الا في ظل التوزيع العادل للدخل، والتوزيع العادل للدخل يأتي بصيغ انفاق يؤدي الى مضاعف في الاستثمار والدخل والاستهلاك والتشغيل (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.^{٢٩٨}

هذه المضاعفة المترتبة على الانفاق في سبيل الله ليست قاصرة على الثواب في الآخرة وانما تتحقق بصورة مادية في الحياة الدنيا.^{٢٩٩} أذ هذا الترابط بين العدالة والتوزيع والكفاءة الاقتصادية والنمو الاقتصادي انما ينم عن حالة انسجام تتجسد في مقاصد الشريعة لتكون ضابطا للسلوك الانساني، وهي بذلك تعبر عن وحدة عضوية للفعل الاقتصادي.

المحور الثاني: مبدأ العدالة الاجتماعية في الاسلام

يتشكل مفهوم العدل الاجتماعي طبقا للوقائع الاقتصادية والاجتماعية التي تسود في مجتمع ما، فهو تصور يقدم تفسيراً للظواهر وعلائقها. ففي الغرب ومع بزوغ نجم الدولة القومية كان الدستور الاساس للنظام السياسي يقوم على افتراض ان الطبيعة البشرية أنانية في جوهرها وان الدوافع الفعالة التي يجب ان يعتمد عليها اي رجل دولة قوامها الاستثنائ بالذات.^{٣٠٠}

297- نفس المصدر

298- القرآن الكريم (سورة البقرة) الآية ٢٦١-

299- مصدر سابق (نجاح عبد العليم ابو الفتوح)

300- جورج ه. ساباين، تطور الفكر السياسي، ترجمة راشد البراوي، ج ٣ - القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١، ص ٤٧٩.

هذه الحملة رافقتها حملة الاصلاح الديني التي تعرضت لها الكنيسة الكاثوليكية، وتبدل الولاء من موالات الكنيسة الى موالات الدولة القومية، لان مفاهيم العدل كانت سائدة في ظل الهيمنة المطلقة للكنيسة الكاثوليكية لم تعد تلائم الواقع الجديد المسجد في الدولة القومية والمذاهب البروتستانتية الاكثر تسامحا في مسألة الايمان، والاكثر موالة للدول القومية، فليس من الصواب بأي حال من الاحوال ان يقف اي مسيحي ضد حكومته سواء اكانت أفعالها عادلة ام جائرة³⁰¹.

ان هذه التطورات كانت تأسيسا لمفاهيم هي مغايرة من حيث التصور والتفسير للكون والحياة، وهي علمانية بحيث بدأت بفك عرى الارتباط ما بين المجتمع ونواميس الايمان، حتى غدت فعاليات الحياة تسيرها قوانين طبيعية كفيلة بضمان توافق المصالح بين ما هو فردي وما هو جماعي، ان تدخل سلطات دينية او سياسية لتعديل هذه القوانين او اعتراض سيرتها انما هو افساد لمسيرة الحياة وقوانينها بغض النظر عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي سواء كان العدل حاضرا ام مغيبا، او ان العدل هو نفاذ فعل القوانين الطبيعية في فعاليات الحياة لذلك كانت مفاهيم التحررية والفردية والعلمانية وعدم التدخل، والنفعية، والانانية، مفاهيم لها حضورها وتمايزها من كل الموروثات التي كانت تشكل احكاما قيمية واخلاقية مستندة الى مرجعية ممثلة بالكنيسة، وهذا الاندفاع ادى الى ان تكون مسيرة الفعالية الاقتصادية في ادائها تحقق انجازات مهمة في النظام الاقتصادي الرأسمالي:

*- على المستوى الاقتصادي تحققت انجازات هائلة على مستوى القوى المادية في الانتاج والتراكم والاستثمار، وهي نتيجة لمفاهيم عصر التنوير وقيمها المادية، التي لا يمكن تجنب الاثر الفعال الذي يراه ماكس فيبر (١٨٦٤ - ١٩٢٠) للقيم البرتستاننتية في انكفاء روح التقدم والمبادرة الخلاقة للرأسمالية.

*- على المستوى الاجتماعي تحقق تقسيم واضح للمجتمع الى طبقتين متناقضتي المصالح تفصل بينهما هوة واسعة في مجال توزيع الدخل والثروة، طبقة العمال، وطبقة الرأسماليين³⁰².

كان منظروا الاقتصاد الرأسمالي ينظرون بأعجاب الى الاداء الرائع لنظام السوق والاقتصاد الحر على مستوى النمو والتراكم، ومن طرف آخر كان هناك احساس

301- نفس المصدر ص ٥٠٢

- منصور، احمد ابراهيم، عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية- رؤية اسلامية مقارنة- مركز دراسات الوحدة العربية- سلسلة اطروحات الدكتوراه، ص302

بالمأساة لنتائج هذا الاداء، على الرغم من ان هذا الاحساس كان متفاوتا، لكنه ينذر بكارثة، ريكاردو ونظريته في قيمة العمل ومستقبل الصراع الخبيث³⁰³. مالتوس ونظريته في السكان والمستقبل المجهول للبشرية اذا ما استمرت الزيادة في السكان اكبر من الزيادة في الغذاء، ماركس ومأساة الطبقة العاملة من خلال فائض القيمة الذي هو حق العمال الذي يذهب الى جيوب الرأسماليين، لكن لا احد يستطيع ان يجزم بان ريكاردو كان رجلا احس بآلام المأساة الاجتماعية للنظام الرأسمالي، كذلك مالتوس، الا ان الامر يختلف بالنسبة لكارل ماركس، فقد كان رجل الألم³⁰⁴. وبالنسبة اليه فإن احساسه بالآلام هو قضية التزام وايمان بالمعرفة، والمسألة المثيرة للجدل هي ان تقديم ماركس لمأساة البشرية وآلامها من جراء الفعاليات الاقتصادية للنظام الرأسمالي هي سر نجاح نظريته، على حد تعبير جون كينث.

وإذا كانت المنطلقات الاساسية للنظرية الاقتصادية في تثبيت الاجور عند حد الكفاف- لما لذلك من اثر على تكاليف الانتاج والارباح والاسعار، هي منطق لتعميم الفقر والكفاف، فأنها في الاقتصاد الاسلامي تهدف الى تعميم حد الكفاية، ويأتي هذا منسجما مع مقاصد الشريعة في تحقيق المصلحة العليا للبشر، فالشريعة انما وضعت لمصالح العباد في الدارين³⁰⁵. ولطالما أمر الانسان بالعدل والاحسان ومنه العدل الاجتماعي والذي يعتبر هو الركن الثالث في الاقتصاد الاسلامي والتي جسدها الاسلام فيما زود به من نظام توزيع الثروة في المجتمع الاسلامي من عناصر و ضمانات تكفل للتوزيع قدرته على تحقيق العدالة الاسلامية، وانسجامه مع القيم التي يرتكز عليها، فان الاسلام حين ادرج العدالة الاجتماعية ضمن المبادئ الاساسية التي يتكون منها مذهب الاقتصاد، لم يتبن العدالة الاجتماعية بمفهومها التدريجي العام، ولم ينادي بها بشكل مفتوح لكل تفسير، ولا اوكله الى المجتمعات الانسانية التي تختلف في نظرتها للعدالة الاجتماعية، باختلاف افكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة، وانما حدد الاسلام هذا المفهوم وبلوره في مخطط اجتماعي معين واستطاع بعد ذلك ان يجسد هذا التصميم في واقع اجتماعي حي تنبض جميع شرايينه واورده بالمفهوم الاسلامي للعدالة³⁰⁶. والعدل الاجتماعي ليس ادراكا عقليا

303- روبرت هيلبرونر، قادة الفكر الاقتصادي، ترجمة راشد البرواري (القاهرة: دار النهضة المصرية، 1963، ص 91

304- john Kenneth Galbraith, The Affluent Society (London, Hamish Hamilton, 1965, p. 50

305- الشاطبي، الموافقات في اصول الاحكام، ج 2، ص 5

306- الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، الجزء الاول، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الاسلامية، النجف الاشرف، العراق، ص 201، 202

شاملا في تمييزه عدالة الشئ او ظلمه، وانما هو أحكام عملية تهدف الى اصلاح الامة بأفرادها ومؤسساتها، (وأبتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين)^{٣٠٧}.

اذن تكافؤ الفرص في الرؤية الاسلامية يرجع الى :

١- التمكين، (ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معاش قليلا ما تشكرون)^{٣٠٨}. أي ان التمكين للجميع في المعاش في ما هو جاهز او ما هو محصل بنشاط أو عمل.

٢- القسمة، (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)^{٣٠٩}. فهي مرهونة بمقدرة البشر وسعيهم في الحياة الدنيا.

ولما كانت الخاصية الاساسية للاقتصاد الاسلامي هي تحقيق العدل وعمارته الارض، فان هذه الخاصية ستنبثق في تفاوت القدرات من خلال وضع الانسان بشكل متكافئ امام الفرص، فالحرية الفردية مضمونة طالما هي في اطار ما حدده الشارع، والشئى المؤكد ان تفاوت القدرات يؤدي الى تفاوت مشروع في الدخل والثروات وفي السعي والمنافسة بين الجماعة. والمنافسة هنا كونها مفهوما اسلاميا لها دلالتها الاخلاقية وفق سياق القيم الشرعية، فهي على عكس من المفهوم الغربي لها اذ هي السعي دونما رادع لتعظيم الارباح والمنافع، في حين هي اسلاميا مجاهدة النفس للتشبه بأفاضل والحق بهم من غير ادخال ضرر على غيره^{٣١٠}. والمنافسة في هذا السياق هي لحيازة حق تدعمه الشريعة او تثميره او تكثيره طالما هو نتاج جهد وعمل مقرر شرعا وهو كسب حلال، الا ان النفس البشرية تواقه للشهوات، ومن ادري بالنفس البشرية اكثر من خالقها: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)^{٣١١}، وزين تأتي بمعنى فطر اي موافقة لفطرة

307- القرآن الكريم، سورة القصص، الآية ٧٧

308- المصدر نفسه، سورة الاعراف، الآية ١٠

309- المصدر نفسه، سورة الزخرف، الآية ٣٢

310- ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني (بيروت، دار المعرفة، ص ٥١)

311- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٤

الانسان وعدم التراجع عن محبة هذه الشهوات^{٣١٢}، وبناء على ذلك ولضبط النفس البشرية لابد من بيئة يهيمن على سلوك افرادها الشارع حيث تتحول الملكية من الاستنثار الى وظيفة اجتماعية،

ان مبدأ الاستخلاف يوفر بيئة عقيدية تعمل على اتساق المصالح عبر التوازن الاجتماعي الذي يقر التفاوت المشروع في الدخول والثروات، على ان يحصل كل فرد من افراد الامة على جانب من منافع الثروات التي خلقها الله للناس كافة^{٣١٣}.

والنظام الاقتصادي الاسلامي باقراره بنزوع النفس البشرية الى الاستنثار عبر الخلل الذي قد يحصل على مبدأ تكافؤ الفرص، بظهور تفاوت كثير او قليل في توزيع الدخول والثروات وما لهذا التفاوت من آثار سلبية في النشاط الاقتصادي - الاجتماعي، فقد اعطى للمسؤولية الاجتماعية من خلال قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، المكانة التي تضمن استمرار التوازن الاجتماعي^{٣١٤}.

ومبدأ التكافل الاسلامي الذي يعني التوازن الاجتماعي^{٣١٥} هو التضامن والاعالة والرعاية على النحو الذي يجبر القصور الحادث في طرف من الاطراف علاقة التكافل، فهو تفاعل بين طرفين او اكثر، والتكافل الاجتماعي هو نظام يقيم علاقة التفاعل والتضامن والاعالة والرعاية بين اعضاء للاجتماع الانساني في مجتمع من المجتمعات، والتكافل الاسلامي في الفلسفة الاجتماعية الاسلامية مؤسس على القاعدة الاسلامية الكلية، قاعدة ارادة الله سبحانه وتعالى، قيام التوازن والموازنة والميزان بين الافراد والطبقات والجماعات والاطراف في مختلف امم وانواع المخلوقات، لقد تفر الخالق سبحانه بالوحدانية، لايشركه فيها مخلوق من المخلوقات، فجميع من عداه وما عداه في كل عوالم الخلق قائم على التعدد والتزاوج ولذلك كانت فلسفة الاسلام لاقامة العدل والعلاقة الصحية بين الازواج والمتعدين في الميول والمصالح والطاقات والامكانيات والاحتياجات والمقاصد هي التوازن والموازنة. اي التكافل الذي يقيم ويحافظ على نسيج الاجتماع، وذلك حتى لايسير التناقض والتنافر

312- محمد رشيد رضا، تفسير القآن الكريم (تفسير المنار) للامام الشيخ محمد عبده (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ج٣، ص١٩٦

313- نجاح عبد العليم ابو الفتوح، مدخل الى الاقتصاد الاسلامي (القاهرة، جامعة الازهر، ٢٠٠٣، ص٢٨

314- صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥)، ص٤٣٨

315- محمد عمارة، التكافل الاسلامي يعني التوازن الاجتماعي، جريدة الشرق الاوسط، العدد ٩٠٩٦ . ٢٤ - اكتوبر - ٢٠٠٣

بالاطراف المختلفة الى الصراع والدمار. (وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)^{٣١٦}.

والتكافل الاجتماعي الاسلامي في شؤون المعاش – المادية والاجتماعية ليعني المساواة الحسابية بين افراد المجتمع، انما يعني التوازن الذي يحقق حد الكفاية للمجتمع وضبط التفاوت بضوابط الحلال الديني والكفاية في العطاء، مع وضع سقف للتفاوت بمنع الاحتكار والأثرة والطغيان، انه المحقق لغنى الكفاية للجميع مع فتح ابواب الثرا امام الكفاءات والامكانيات بعيدا عن (الكنز) المعطل لدوران عجلة التنمية والاستثمار، وبعيدا عن (الاستفراد) الذي هو المقدمة المفضية الى الطغيان^{٣١٧}

اما الاساس الثاني من اسس العدالة الاجتماعية في الاسلام هو الضمان الاجتماعي، لقد اوضح العلماء انه يوجد فرق في المعنى بين كلمتي التكافل الاجتماعي والضمان الاجتماعي رغم تشابههما، فالضمان الاجتماعي هو التزام الحاكم نحو رعيته او باللغة المعاصرة التزام الحكومة نحو شعبها، فالسلطة يجب ان تحرص على ابقاء الحد الادنى من المعيشة اللائقة للشعب وتوفير المساعدة لكل من يحتاج اليها^{٣١٨} فلا تستمد الدولة مبررات الضمان الاجتماعي الذي تمارسه من مبدأ التكافل العام فحسب، بل قد يمكن ابراز اساس آخر للضمان الاجتماعي وهو حق الجماعة من مصادر الثروة، وعلى اساس هذا الحق تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين، بقطع النظر عن الكفالة الواجبة على افراد المسلمين انفسهم. اما عن المسؤولية المباشرة للضمان فان حدود هذه المسؤولية تختلف عن حدود الضمان، الذي تمارسه الدولة على اساس مبدأ التكافل العام، فان هذه المسؤولية لا تفرض على الدولة ضمان الفرد في حدود حاجاته الحياتية فحسب، بل تفرض عليها ان تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يحياه افراد المجتمع الاسلامي، لان ضمان الدولة هنا ضمان اعالة، واعالة الفرد هي القيام بمعيشته وامداده بكفايته^{٣١٩}.

316- القرآن الكريم، سورة الحديد، آية ٢٥

317- مصدر سابق (محمد عمارة)

318- www.brg8.com- منتديات برق

319- مصدر سابق (محمد باقر الصدر) ج٢، ص٢٠٨

وأما الأساس النظري الذي تركز فكرة الضمان في هذا المبدأ عليه، فمن الممكن ان يكون ايمان الاسلام بحق الجماعة كلها في موارد الثروة، لان هذه الموارد الطبيعية قد خلقت للجماعة كافة، لالفئة دون فئة، وهذا الحق يعني ان كل فرد من الجماعة له الحق في الانتفاع بثروات الطبيعة والعيش الكريم منها، فمن كان من الجماعة قادرا على العمل في أحد القطاعات العامة والخاصة، كان من وظيفة الدولة ان تهئ له فرصة العمل في حدود صلاحياتها، ومن لم تتح له فرصة العمل، أو كان عاجزا عنه فعلى الدولة ان تضمن حقه في الاستفادة من ثروات الطبيعة، بتوفير مستوى الكفاية من العيش الكريم^{٣٢٠}

التعريف الذي قرر الإسلام مضمونه وحقيقته هو، إلزام الدولة بإعالة أو سد عوز من لا يقوى على العمل، ومن لم يعمل لعذر مشروع وليس له معيل. يتراءى لكثير من الناس أن فكرة الضمان الاجتماعي من بنات هذا القرن ومن صنع الغرب نظرا إلى أن أول قانون للضمان الاجتماعي قد صدر في الولايات المتحدة الأمريكية العام ١٩٣٥ . وهذا خطأ محض، فإن هذه الفكرة وهذا النظام قد قرره الإسلام قبل ١٤ قرنا وطبقه على واقع الحياة.

وبالمقارنة بين التحديد الذي ذكرناه للضمان الاجتماعي في الإسلام والذي قرر الإسلام مضمونه لا نصه، بالمقارنة بينه وبين تعريفات الضمان الاجتماعي في التشريعات والداستير الحديثة نرى أن ذلك التحديد أكمل واشمل، لأن تلك التعريفات يكثر فيها الخلط بين مفهوم الضمان الاجتماعي ومفهوم التكامل الاجتماعي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن بعض تلك التعريفات لا تفي بالغرض إذ تأتي أضيق دائرة من المعرف، حيث يقصره بعضهم على ضمان العامل فقط كالتعريف الذي يقول: الضمان الاجتماعي الذي يقصد منه ضمان العامل ضد الأخطار التي تصيبه فتفقده عمله... فهو يشمل هنا العامل فقط، وبذلك لا يتماشى مع طبيعة العدالة الاجتماعية. وعرفه بعض رجال الاقتصاد والقانون بأنه: تحرير الإنسان من الحاجة والعوز والحرمان، وفي هذا التعريف غموض من ناحية وضيق عن واجبات الضمان الاجتماعي من ناحية أخرى، وعبر عنه في تقرير لمنظمة الأمم المتحدة الموضوع بالتعاون مع منظمة العمل الدولية وغيرها في العام ١٩٥٥ بأنه: فكرة

تشمل التأمين الاجتماعي والمساعدة الاجتماعية والخدمات العامة... وفي هذا التحديد عدم وضوح من ناحية، وعدم استيعاب من ناحية أخرى وخطأ بين مفهومه ومفهوم التكافل الاجتماعي من ناحية ثالثة.

وعرفه أحد خبراء الضمان الاجتماعي في فرنسا بأنه: ضمان العمل وضمان الكسب وضمان القدرة على العمل وهذا أيضا تضيق دائرته عن مهمات الضمان الاجتماعي، إذ ليس هو مقصورا على العامل فقط^{٣٢١}

جاءت المادة ٢٢ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر العام ١٩٤٨ تنص على أن: لكل إنسان بصفته عضوا في الجماعة الحق في الضمان الاجتماعي... وأوضح الإعلان معنى هذا الضمان في المادة (٢٥) حيث نصت على أن: لكل إنسان الحق بالضمان في حالة البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وفي الحالات الأخرى التي يفقد فيها المرء وسائل معيشته... الخ.

ويعتبر هذا التعريف والتوضيح من أكمل التعاريف، حيث جاء بعد تبلور فكرة الضمان الاجتماعي وتطور معناه في القانون والاقتصاد، وعلى الصعيد الدولي، مع أن فيه ما فيه من الخلل، حيث يجعل الضمان للبطالة بصورة مطلقة، من أن المفهوم من الضمان أنه يشمل البطالة غير المتعمدة فقط، إذا فجميع هذه التعاريف غير كاملة منطقيا إذ بعضها غير جامع حيث يضيق عن بعض مهمات وواجبات الضمان، وبعضها غير مانع حيث يدخل فيه غير واجباته ومهماته، والشرط في التعريف أن يكون جامعا مانعا، لجميع أفراد الموضوع المعرف، مانعا من الاعتبار، لذلك نوقشت هذه التعاريف بكثرة علميا.

إذا: فالتعريف الإسلامي هو أكمل التعاريف. مثلا في تحديد الضمان في إعلان حقوق الإنسان جعل الضمان مسئولاً عن البطالة مطلقاً، بينما في التحديد الذي أقر الإسلام مضمونه لا يكون الضمان شاملاً إلا للبطالة المشروعة، وهي غير المتعمدة، يعنى الحاصلة نتيجة عجز أو فقدان عمل، أما من لم يعمل حبا للبطالة وهو قادر على العمل، وكانت فرص العمل مهيأة له فليست الدولة مسئولة عنه، لأن إعالته حينئذ والحال هذه تشجيع له على البطالة، وهو يتنافى مع مواقع الإسلام الذي يحث على العمل ويحارب البطالة، ولأن مثل هذا يعتبره الإسلام غنيا فيجرمه من

321- محاضرة الضمان الاجتماعي في الإسلام، للشيخ عبد الأمير الجمري في جامع جدحفص عام ١٩٧٤

الضمان، إذ الغني في العرف الإسلامي من يملك قوت أو مؤونة سنته بالقوة أو الفعل، ومثل هذا يملكها بالقوة لقدرته على العمل وتوفير العمل لديه.

إذا فكما كان الإسلام أسبق التشريعات وأعمقها في تقرير مبدأ الضمان الاجتماعي فهو أكملها وأوضحها في تحديد مهماته وواجباته.³²²

المحور الثالث: عدالة التوزيع في الاسلام

يجعل كُتاب النظرية الاقتصادية نظرية عدم التناسق أساساً لتحليلهم الاقتصادي، إذ ان العناصر المكونة للجسم الاقتصادي، أيًا كانت، تظل غير منسجمة ومختلفة، وهذا مايشكل سرُّ تطور الجسم الاقتصادي وتحوله الدائم³²³.

فالمستهلك يسعى الى تعظيم المنفعة والمنتج يسعى الى تعظيم الربح، وهكذا تسود العلاقات فلسفة نفعية تقدم تفسيراً مسوغاً للسلوك الانساني باستثناء كل الدوافع الانسانية الاخرى، وهذا لايمكن تحقيقه الا في ظل الحرية الفردية التي تهتمش دور الدولة الاقتصادي وتدخلها فيه، وبذلك تنظم العلاقة بين الفرد والمجتمع، ودور الدولة طبقاً للمصالح العامة الظاهرة في المجتمع، والتي لها تأثير كبير في توجيه المشاعر الأخلاقية³²⁴.

وبناءً على ذلك فإن صياغة قوانين وتشريعات العدل الاقتصادي تكون في ضوء المصالح، وفي هذا السياق لايمكن تأييد فكرة الحق المجرد بوصفه شيئاً مستقلاً تماماً عن المنفعة، فالمنفعة هي الهدف النهائي من وراء جميع المسائل الاخلاقية³²⁵.

في الاقتصاد الاسلامي، العدل لفظ يقتضي معنى المساواة، كما يستعمل في ما يدرك بالبصيرة كالأحلام³²⁶. والعدل الاقتصادي ليس من مسائل الاصلاح الاجتماعي يتغير بتغير الظرف الاجتماعي، انما هو من ثوابت العقيدة في نصوص واضحة في ما يتعلق بأنشطة المعاش والاموال، وأتساقاً، فإن كل الفعاليات الاقتصادية سوف تتصف بلاعتدال، اي الحالة التي تتوسط بين الاسراف والتقتير، والذان هما تخصيص غير كفو للموارد، وتوزيع اقتصادي غير عادل للدخول

322- نفس المصدر . الشيخ عبد الامير الجمري

323- فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي (بيروت: دار الحدائق، 1981) ص173

324- جون ستيوارت مل، عن الحرية، (القاهرة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، 2000، ص16

325- نفس المصدر، ص24

326- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص325

والثروات، وهنا يبرز مفهوم العدل والاحسان والذي من المهم تحري صفات وخصائص ومعاني ما يشتمل عليه كل مفهوم من الموضوعات الاقتصادية، (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)^{٣٢٧}.

العدل عبارة عن الامر المتوسط بين الافراط والتفريط^{٣٢٨}. أما الاحسان فإنه فعل ما ينبغي ان يفعل من الخير^{٣٢٩}. والإحسان فوق العدل وذلك ان العدل هو ان يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والاحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل ما له، فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب وتحري الإحسان ندب وتطوع^{٣٣٠}. فكيف الأمر الرباني في الاثنين معا. والعدل الاقتصادي في هذا السياق يتجاوز ذات العدل الى الاحسان الاقتصادي، في توزيع الثروة والدخل، ويبرز في هذا الموضوع مفهوم العفو ومصارفه في المجتمع كتدبير شرعي لتوزيع الدخل أيضاً، (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)^{٣٣١}.

والانفاق هنا هو شكل من اشكال التوزيع، والدخول المتحصلة إذا ما وصلت حدّ النصاب أدّى المكلف زكاتها، ثم كانت مصارفها في :

١- الانفاق الاستهلاكي

٢- الانفاق الاستثماري

والانفاق الاستهلاكي يكون في حدود دخل الكفاية، كما ان للانفاق الاستهلاكي دورا في تنشيط الطلب الكلي الفعال الذي يبعد الاقتصاد الاسلامي عن الركود الاقتصادي والدورات الاقتصادية، لذلك فان للاستهلاك نصيبا كبيرا في توزيع الدخل، ويواجه المستهلك المسلم عند الانفاق على الاستهلاك دالة منفعة مع قيودها، فالقيود هي اضافة الى الدخل والسعر هو ما يستهلكه لنفسه ومن يعيل، وذي القربى واليتامى

327- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٩٠

328- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بغداد، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ص ٨٥

329- نفس المصدر، ص ١٥

330- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١١٩

331- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢١٩

والجيران والمساكين وأبن السبيل، وأن لايسرف في الاستهلاك مع تجنب المحرمات والاقتصار على الطيبات من دون الخبائث^{٣٣٢}.

أما في النظام الوضعي فإن تخصيص الموارد يأتي اتساقا مع الانماط الاستهلاكية السائدة، وهي بذلك تعد مؤشرات حقيقية لها نتائج يمكن ان تتخذ قاعدة لاتجاهات الإنتاج والاستثمار وأنواع السلع والخدمات المطلوبة، والتي تحقق منفعة قد تمتاز بالخصوصية او الشمول، إلا ان اللذة التي تحققها هذه المنفعة هي المحرك الاساسي للطلب.

في الاقتصاد الاسلامي تأتي المنفعة وسيطا بين استقامة البدن وتأدية الهدف الاسمي لوجود الانسان على وجه الخليقة، وسلوك المستهلك المسلم كاحدى آليات إعادة توزيع الدخل، يقول تعالى (ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)^{٣٣٣}.

ومن المنظومة القيمية السابقة استطاع العلماء المسلمين أن يستخرجوا دالة لمفهوم الرفاه الاجتماعي أشمل من دالة الرفاه الاجتماعي التي تقوم عليها دولة الرفاه المعاصرة، فالدالة الاجتماعية المعاصرة إختزلت الرفاه في دائرة مادية ودينية ووطنية، أدت الى كثير من الأمراض، وذلك لأن رؤيتها الكونية المتعلقة بالإنسان وخاقه وبقية المخلوقات كانت قاصرة أو أحادية، مما جعل هذا الانسان ينطلق ويتميز في جوانب ويتراجع بل ويهدم كثيرا مما بناه في جوانب أخرى. في المقابل يتضح م كتابات رواد علماء المسلمين كالشاطبي، والغزالي، وابن خلدون وغيرهم، إلى أن دالة الرفاه الاجتماعي في ظل المجتمع المسلم لها ثلاث مكونات هي: الضروريات، والحاجيات، والتحسينات. أي أن رفاه المجتمع المسلم وأستقراره وسعادة أفراده يتطلب توجيه موارده للحفاظ على هذه المكونات الثلاثة وبالترتيب، حيث إن الأولوية تعطى للحفاظ على الضروريات ثم بعد ذلك الحاجيات ثم أخيرا التحسينات. فالمكون الاول من مكونات دالة الرفاه الاجتماعي في الإسلام يطلق عليها علماء الامة " مقاصد الشريعة " والتي تتكون من خمس ضروريات أساسية هي: الدين، النفس، النسل، العقل، والمال.

- منصور، احمد ابراهيم. د. عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية ، رؤية اسلامية مقارنة، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة اطروحات 332 دكتوراه، ص ١٤٦

333- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٢٧

الفصل الثالث

الدراسات السابقة عند الرواد الاقتصاديين

كانت الدعوة الى التوازن هي نتيجة للحالة المقلقة التي مر بها النظام الرأسمالي منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين والمتمثلة باطروحات هنري جورج عن التقدم الاقتصادي المرافق للفقر، والانتشار الواسع لأطروحات ماركس الاشتراكية، وقلق جون هوبسنمن التطور الرأسمالي الى عصر الامبريالية، وماتحملة من تجرد عن القيم الاخلاقية وعلى المستوى الدولي، ثم الحرب العالمية الاولى وما تركته من آثار اقتصادية سيئة على المستوى الاجتماعي ومستوى أداء الاقتصادات الرأسمالية، الامر الذي وضع النظام الرأسمالي أمام تحدٍ حقيقي، أما نمو القوى الداعية الى التغيير بالقوة، أو الاصلاح عبر الاهتمام بجانب الطلب الذي كان مهملا في النظرية الاقتصادية الكلاسيكية ممثلا بقانون ساي للأسواق، وفروضه القائلة بأن العرض يخلق الطلب عليه وليس هناك خشية من الافراط في الانتاج. إذاً لا بد من التوازن بين العرض والطلب الذي سيفضي الى ايجاد دور تدخل للبلد بعد ان كانت كل الاطروحات ومنذ آدم سميث وريكاردو تؤكد ان نظام اقتصاد السوق هو من الدقة بكان، حتى انه يستطيع ان يوازن نفسه بدقة وكفاءة عالية دونما تدخل من الدولة^{٣٣٤}.

الا ان الصيحة التي اطلقها جان جارس ليوناردي سيموندي (١٧٧٣ - ١٨٤٢) في وجه الحرية الاقتصادية وإعادة النظر في الافراط في الانتاج وإعطاء دور للدولة في النشاط الاقتصادي، والذي اصبح بموجبها الاغنياء هم أعداء الفقراء، كما أصبح الرأسماليون هم اعداء العمال، كذلك اصبحت وظيفة الدولة هي حماية الضعفاء من الاقوياء^{٣٣٥}.

ان هذه الصيحة اصبحت علامة استفهام منذ ذلك الوقت وحتى انبثاق الكلاسيكية الجديدة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، والتي افضت الى مفهوم الرفاهية ودولة الرفاهية، (welfare, welfare state)، وقد تجسدت هذه المفاهيم بعد

³³⁴ مصدر سابق (د. أحمد ابراهيم منصور) ص ١٠٨
³³⁵ جون كينث جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠٠، ص ١١٢

الكساد الاقتصادي الكبير (١٩٢٩ - ١٩٣٢)، حيث أصبحت هناك قناعة تميل الى الاعتقاد بأن رفاهية الفرد أهم من ان تترك لمجرد عمليات قوى السوق^{٣٣٦}. وكان للكثير من المفكرين الاقتصاديين دراسات مستفيضة في تحليل دولة الرفاهية الاقتصادية وسبب نشوئها، وسنتطرق الى بعض الدراسات التي تناولت موضوع الرفاهية واختلاف التحليلات حول مواضيعها.

المحور الاول: اقتصاديات الرفاهية

الرفاهية كلمة ترتبط بالسعادة ورغد العيش، ولقد حاول بيجو ان يحلل مجال دراسة اقتصاديات الرفاهية، فعرّفها بأنها ذلك الجزء من الرفاهية الاجتماعية الذي يتناوله المقياس النقدي بطريق مباشر أو غير مباشر.

وقد نتساءل هنا: هل تختلف اقتصاديات الرفاهية عن الدراسة الاقتصادية العادية؟. ويقرر بيجو في هذا الشأن أن اقتصاديات الرفاهية هي فرع من دراسة علم الاقتصاد، ذلك ان النظرية العامة تحاول ان تكشف قوانين السلوك الاقتصادي، وهي لذلك تتيح التحكم في البيئة المحيطة، فإذا لم يكن ثمة أمل في التحكم في البيئة الاقتصادية، فإن دراسة علم الاقتصاد لا يمكن الدفاع عنها على انها دراسة مجدية، فالرفاهية الاقتصادية إذن وثيقة الارتباط بدراسة علم الاقتصاد. ويختتم بيجو بحثه بافتراض ان الزيادة في الرفاهية الاقتصادية تؤدي الى زيادة في الرفاهية العامة، غير ان هذا النوع من الجدل لا يستند الى التحليل العلمي بقدر ما يستند الى الحكم الشخصي value Judgment ولا يبدو في الواقع ان هناك ارتباطا بين الرفاهية الاقتصادية والرفاهية العامة، والسعادة لا تتوقف على ما يستهلكه الفرد فحسب، بل على ما يستهلكه الآخرون. وبعبارة أخرى فإن فرض بيجو يعلق أهمية مبالغ فيها على الرفاهية المادية كأساس لسعادة الانسان^{٣٣٧}.

أما رادوميزلر^{٣٣٨} Radomysler فهو يعتقد ان اقتصاديات الرفاهية لا تنطوي على معرفة ما يجب علينا ان نؤديه، بل على دراسة اسباب الرفاهية اي العوامل التي تؤدي الى تحقيق قدر أوفى من السعادة للانسان.

ولو كانت مهمة دراسة الرفاهية مقصورة على هذا المجال المحدود، فإن مثل هذه الدراسة تصبح تقريرية، ومن ثم فإنها تستند الى التحليل العلمي الخالص. أما اذا

336- محمد عمر شابر، الاسلام والتحدى الاقتصادي، ترجمة محمد السمهوري، عَمَّان: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٦، ص ١٥٤
337- حسين عمر د، الرفاهية الاقتصادية، بحث في الاسس العلمية والتطبيقات العملية لرفاهية الفرد والمجتمع، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٩،
338-- نفس المصدر

امتدت آفاق هذه الدراسة بحيث تشمل رسم السياسة الواجبة الاتباع لتحقيق الرفاهية، فتقرر مثلا ان الوضع أفضل أو اسوأ من الوضع ب، فإن مثل هذه الدراسة تصبح معيارية، اي انها لاتستند الى التحليل العلمي الخالص. إن رسم السياسة (في رأي رادوميزلر) لابد ان يكون في يد رجال السياسة وعلماء النفس، فليس من مهمة الاقتصاديين، بوصفهم اقتصاديين، أن يذهبوا الى أبعد من حدود الدراسة الايجابية العلمية. كما أن الرأي عند رادوميزلر أن اقتصاديات الرفاهية هي، في الواقع، دراسة لاسباب الرفاهية، وعلى ذلك فمن الناحية النظرية لانجد اختلافا كبيرا بين تعريف بيجو وتعريف رادوميزلر. ومع ذلك فإننا لا نوافق رادوميزلر بأن مهمة الاقتصادي مقصورة على دراسة أسباب الرفاهية إذ إن هناك كثيرا من المسائل العلمية التي يمكن له ان يدلي فيها بنصحه ومشورته، ومن السخف أن نترك هذه المهمة لغير الاقتصاديين^{٣٣٩}.

المحور الثاني: تحليل بيجو^{٣٤٠}

لقد افترض بيجو أن المقارنات بين المنافع الشخصية ممكنة، ولو انه لم يتعرض لهذه الفكرة بالمناقشة فعلا، ولقد استخدم في تحليله فكرة (صافي الناتج الاجتماعي) Social Net Product، وهي تتضمن إمكانية تجميع إشباعات الأفراد. وهو لذلك ينحو نحو مارشال الذي كان يستخدم نفس الفكرة لتجميع فوائض المستهلكين.

ولقد استخدم بيجو في تحليله فكرتين رئيسيتين:

*- حجم الدخل القومي.

*- توزيع الدخل القومي.

وذلك للدلالة على الرفاهية الاقتصادية الكلية aggregate economic welfare وتنطوي الفكرة الاولى على ان اي زيادة في الدخل القومي الكلي للمجتمع تؤدي الى الزيادة في الرفاهية الاقتصادية، شريطة ان نصيب الفقراء من هذا الدخل لاينقص عما كان عليه قبل الزيادة.

أما عن الفكرة الثانية فإنه يجادل بأن التغييرات في توزيع الدخل القومي لصالح الفقراء سوف يؤدي أيضا الى زيادة الرفاهية الاقتصادية، غير ان بيجو، في الواقع يضمن نظريته بفكرة أساسية معينة، وهي مجموعة من الشروط الحدية في الانتاج،

339- نفس المصدر

340- نفس المصدر

marginal conditions of production وذلك عندما يقرر بأن صافي الناتج الحدي الاجتماعي marginal social net product للموارد لا بد ان يتعادل في كافة الاستعمالات، لكي يمكن أن يصل الناتج القومي الى أكبر حجم ممكن، فإذا لم تتوافر هذه الشروط، فإنه يمكن زيادة الناتج القومي الكلي عن طريق نقل الموارد من الاستعمالات التي يكون فيها صافي الناتج الحدي الاجتماعي منخفضا الى الاستعمالات التي يكون فيها مرتفعا نسبيا. ومن الواضح ان هذه الفكرة تستند الى المقارنة الشخصية، حيث انها تعتمد في الواقع على استخدام الناتج القومي كدليل او مرشد على المستوى الذي قد تبلغه الرفاهية الاقتصادية الكلية.

المحور الثالث: تحليل رادوميزلر³⁴¹

يبدأ رادوميزلر تحليله بالتساؤل عما اذا كانت دراسة الرفاهية الاقتصادية دراسة تقريرية أم معيارية positive or normatve. وهو يقرر في هذا الصدد، أن كثيرا من الكتاب يخطئون في اعتقادهم بأن (النظرية الاقتصادية في حد ذاتها متعلقة بوصف ما هو كائن فعلا، اما الرفاهية الاقتصادية فهي متعلقة بما يجب أن يكون)

Economic theory is concerned with explanation of what is;
welfare economics is concerned with what ought to be.

ومن منا نجد انقساماً في الرأي، إذ يقرر بيجو مثلا ان دراسة الرفاهية لا تنطوي على رسم سياسة معينة، بل هي تبحث في (اسباب) الرفاهية، وعلى ذلك فهي دراسة علمية إيجابية، ولذا نجد ان بحثه في (اقتصاديات الرفاهية) هو في الواقع الامر دراسة موضوعية objective. وعلى الرغم من أن دراسة أسباب الرفاهية لا تعدو أن تكون خطوة تمهيدية أولية لرسم السياسة العملية، فإن الدراسة النظرية للرفاهية تختلف تماما عن رسم السياسة العملية. وهنا يذكر رادوميزلر أن كثيرا من الكتاب لم يدركوا حتى الآن ان وضع السياسات هي دراسة غير علمية، فالسياسة تقرر ما يجب ان يكون، لا ما هو كائن فعلا.

وفي ضوء هذا التحليل يفرق رادوميزلر بين النظرية الاقتصادية واقتصاديات الرفاهية، إذ يقرر بأنه رغم ان كلا الدراستين دراسة علمية ايجابية، فإن النظرية الاقتصادية تتناول المسائل الخارجية external matters كالأسعار والدخول والتوظيف والناتج في حين أن اقتصاديات الرفاهية تتناول المشاعر والأحاسيس

341- مصدر سابق (د. حسين عمر)

الداخلية internal sensations economics. ولذلك فإن البعض يسمي هاتين الدراستين بأقتصاديات الاسعار price economics واقتصاديات الرفاهية welfare economics. غير انه لا يوجد حد فاصل وواضح بين الكميات الاقتصادية الخارجية وبين الاحاسيس الشخصية الداخلية، ونحن نحتاج في واقع الامر الى نتائج اقتصاديات الاسعار لكي يكون في وسعنا البحث في اسباب الرفاهية. ومن ثم فإن هدف الدراسة الاولى يختلف عن هدف الدراسة الثانية، إذ ان الاولى نجد ان الاسعار هي موضوع بحث الاقتصاديين النظريين، بينما نجد في الثانية أن الاحاسيس والمشاعر هي موضوع البحث في واقع الامر.

كما تساءل رادوميزلر بعد ذلك عما اذا كانت الرفاهية الاجتماعية social welfare دراسة ايجابية علمية. لو انتقلنا من رفاهية الفرد الى رفاهية المجتمع، لوجدنا ان الاخيرة لاتعدو ان تكون الرفاهية الكلية لجميع الافراد الذين يتكون منهم هذا المجتمع. بيد اننا نعرف عن يقين أنه من المتعذر مقارنة الإشباعات المختلفة حيث انه لا يوجد مقياس موضوعي مباشر لمثل هذه الحالات الداخلية من الاحاسيس والمشاعر، ولذلك فإن مرد الامر كله هو الحدس والتخمين. ولقد تغلب كل من كالدر Kalder ومعاصره هيكس Hicks على مثل هذه الصعوبة، وذلك بواسطة طريقة التعويض method of compensation. إذ جادل كل منهما بأنه (إذا كان من الممكن تعويض جميع الخاسرين بعد حدوث تغير ما، بحيث لا يكون أي منهم أسوأ حالاً من ذي قبل، بينما يصبح الرابحون أحسن حالاً من ذي قبل، برغم أنهم قد يضطرون الى دفع هذا التعويض، فإن الرفاهية الاجتماعية تزداد، ولا نحتاج للتعرف على هذه النتيجة الى الالتجاء الى مقارنة إشباع فرد ما بإشباع فرد آخر).

“If all that lose can be compensated, after a certain change so that they are no worse off than before, whilst the gainers, though they have to pay this compensation after the change, are yet better off than before, then social welfare has increased without resorting to compare satisfaction of one individual to another”

ويجيب رادوميزلر على ذلك بأن هذه الفكرة المبتكرة، يعني بها فكرة تعويض الخاسرين ، لن تؤدي الى حل المشكلة. ذلك ان العلاقة بين الدخل في حد ذاتها هي

إحدى مكونات الرفاهية، ولذلك قد يعتبر دفع التعويض إجراء غير عادل بالنسبة للخاسرين. فضلا عن ذلك، فلو أصبح الأغنياء أكثر غنى، بينما بقيت الدخل الأخرى على حالها دون تغيير وفقد لا تزيد الرفاهية الكلية وربما تنقص عن ذي قبل. ومن ثم يرى رادوميزلر أننا في حاجة الى مقياس موحد للإشباع الكلي لكي نصل الى نتائج حاسمة في موضوع الرفاهية. وطالما اننا لم نوفق بعد الى التعرف على هذا المقياس الموحد فإن اي مناقشة حول الرفاهية الاجتماعية لا بد أنها تصبح مناقشة غير علمية. ويقرر رادوميزلر أنه يستشف من كتابات المحدثين من اقتصاديي الرفاهية مايفصح عن انهم يعتقدون بأن دراسة الرفاهية دراسة علمية ايجابية. وهنا ينعي رادوميزلر على هؤلاء الكتاب هذا الاعتقاد الخاطيء.

إن مهمة اقتصاديات الرفاهية هي دراسة اسباب الرفاهية: مالذي يؤدي الى زيادة إسعاد الناس؟ وما الذي لا يؤدي الى ذلك؟ وما هي حاجات الناس؟ وكيف يمكن إشباعها؟. ومع ذلك فالرفاهية أو السعادة ليست شيئا ينطوي على البساطة. إن ما يأخذه اقتصاديو الرفاهية في الاعتبار هو جزء من الرفاهية فحسب، أما كافة الاعتبارات الأخرى التي تعني هذا البحث فهي مستبعدة في واقع الامر.

وأخيرا يعتقد رادوميزلر أن الفكرة المنطوية على ان الرفاهية الاقتصادية جزء من الرفاهية العامة هي فكرة خاطئة. إن الرفاهية وحدة متجانسة، ولا يمكن الفصل بين ما اقتصادي وما هو غير اقتصادي في موضوع الرفاهية. وقد يكون من الممكن والملائم دراسة الأسباب الاقتصادية في حد ذاتها بمعزل عما عداها من الاسباب غير الاقتصادية، ولكن هذه الدراسة تتضمن ضرورة التعرف على كافة أسباب الرفاهية. ولو أخذنا بفكرة الاستهلاك فقط، وبحثنا فيها وحدها، لما توصلنا الى نتائج ذات قيمة. ويدخل هذا الاعتبار في دائرة اختصاص رجال السياسة الذين يجب أن يبحثوا في كافة الأسباب التي تؤدي الى إعاقه أو زيادة الرفاهية العامة. وبعبارة أخرى فإن الإحساسات التي يشعر بها المستهلكون في استهلاكهم للأشياء – سواء أكانت سلعا أم خدمات – ليست هي الهدف النهائي، إذ أنها تكوّن جزءا من الرفاهية. إن دراسة المشاعر والأحاسيس هي مهمة آخريين من علماء الاجتماع، وما علينا في

رأي رادوميزلر، إلا أن نسلم المشكلة في نهاية الأمر الى هؤلاء العلماء النفسانيين.^{٣٤٢}

المحور الرابع: تحليل باريتو للوضع الامثل

يعرّف باريتو الوضع الامثل optimum position أو أقصى الرفاهية العامة maximum general welfare بأنه ذلك الوضع الذي لا يمكن التحرك منه الى وضع آخر يصبح فيه كل فرد في النظام الاقتصادي أحسن حالاً من ذي قبل.

”A point of maximum welfare is a position from which there is no possible movement whicc would make everyone in the system better off”

إذا حدث انتقال معين من الوضع الأصلي الى وضع آخر تتحقق معه زيادة في رفاهية بعض الأفراد، ولكن يترتب عليها نقص في رفاهية الافراد الآخرين، فليس من الممكن – تبعا لتعريف باريتو – تحديد ما اذا كانت الرفاهية الكلية تزداد أو تنقص بعد التغيير، بعبارة اخرى فإنه لو حدثت كل من الزيادات الموجبة والزيادات السالبة في رفاهية الافراد في ذات الوقت، فمن المتعذر مقارنة الوضع قبل حدوث التغيير بالوضع بعد حدوث التغيير.

ويفسر باريتو تعريفه الخاص بالوضع الامثل للرفاهية optimum welfare على أساس الاستعانة بتحليل منحنيات السواء الخاصة بعمليات التبادل بين فردين.

أن باريتو هو اول من أقام دعائم التليل الحديث لاقتصاديات الرفاهية ، وذلك بأستخدامه لفكرة التفضيل غير القابل للقياس العددي، وفي تعريفه للوضع الامثل دون ما حاجة الى جمع الإشباعات أو مقارنة إشباعات مختلف الافراد. إن التحليل الباريتي لأقتصاديات الرفاهية هو، في الواقع تحليل حديث بما انه يضع شروط الاوضاع المثلى في الانتاج والتبادل دون اضافة منافع الافراد بعضها الى بعض. ولذا نجد ان هذا التحليل خروج على التقليد المنفعي في علم الاقتصاد، فالوضع الامثل في تحليل باريتو هو ذلك الوضع الذي يستحيل معه وضع أي فرد على منحنى سواء أعلى دون أن يترتب على ذلك وضع اي فرد آخر على منحنى سواء أدنى. ولكن يجب ان نؤكد ، ان ثمة عددا لا نهاية له من الاوضاع المثلى، وأن ثمة وضعاً أمثل (أفضل الاوضاع المثلى) هو أفضل بالضرورة من أي وضع آخر.

وبعبارة أخرى فقد يكون هناك وضع أمثل (حسب تعريف باريتو) يتوافق مع سوء توزيع الدخل، ومع ذلك فهو أسوأ من وضع آخر يتوافق مع حسن توزيع الدخل.³⁴³ لا تبحث أمثلية باريتو مسألة توزيع الدخل وعدالة هذا التوزيع بمعزل عن حالة الاتساق بين الفعاليات الاقتصادية، في الانتاج والتبادل والتوزيع والاستهلاك المحكومة بمعيار الكفاءة الاقتصادية، وبناء على ذلك فإن التوزيع الأمثل وفق الحالة الباريتية يعالج مسألة الكفاءة الاقتصادية أكثر من معالجته لمسألة العدالة الاجتماعية، لا بل إن عدالة التوزيع هي نتيجة متحققة من خلال الكفاءة الاقتصادية لتخصيص الموارد وفق قاعدة باريتو الأساسية والتي مفادها أن أي شخص سواء كان منتجا أم مستهلكا، ليس بإمكانه أن يكون بوضع أفضل ما لم يلحق الضرر بآخر. ووفق هذه الامثلية فإن التحليل الاقتصادي الباريتي يتحرك في فضاءات ساكنة، ومنه فإن دخل المستهلك ثابت وهو قيد يتحرك المستهلك بموجبه للوصول الى المنفعة الاجمالية القصوى. وبالعودة الى حدود إمكانات المنفعة، سوف نجد تشابها بين إمكانات حدود الإنتاج في التخصيص الكفء للموارد في مستويات إنتاج سلع مختلفة، ثم الإشباع الذي يحصل عليه الناس في ضوء الدخل الحقيقي.³⁴⁴

إذن هناك ارتباطات بين مستويات توزيع الدخل، وإعادة توزيعه، وبين التراكم الرأسمالي المطلوب المغذي لقنوات الاستثمار والنمو الاقتصادي، فليس مجديا اقتصاديا أن يكون التوزيع موزعا بشكل عادل وفي الوقت نفسه مثبطا للنمو الاقتصادي، وكمدخل لتحديد نقطة أقصى سعادة Bliss Point في ضوء قيد الدخل الناتج عن توزيع عادل باريتيا.³⁴⁵

لقد تطورت النظرية بعد باريتو، ولكنها إتخذت مسالك مختلفة.

المحور الخامس: المدارس الفكرية في الرفاهية

بيد انه يمكن أن نميز ثلاث مجموعات رئيسية من آراء مختلف الكتاب، تعبر كل منها عن مدرسة فكرية قائمة بذاتها وتمييزة عما عداها من المدارس الفكرية الاخرى:³⁴⁶

١ - المدرسة الاولى

343- نفس المصدر

344- أندرو سكوتر، علم اقتصاد السوق الحرة، ترجمة نادر إدريس التل (عمان: دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، 1990) ص 101

345- مصدر سابق (د. أحمد إبراهيم منصور)

346- مصدر سابق (د. حسين عمر)

هناك أولا النظرية التي تعتبر (الرفاهية) بمثابة فكرة أخلاقية بحث Purely ethical concept، وعلى ذلك فلا يمكن التوصل الى نتائج الرفاهية welfare conclusions إلا على أساس فروض أخلاقية ethical premises لابد ان يقررها شخص فذ غير عادي ولنطلق عليه أسم superman. ومن ثم فهذه المدرسة الفكرية لاتهتم بفكرة الإشباع أو السعادة رغم أن هذا الشخص قد يأخذها في الاعتبار. وعلى أساس هذه النظرية، فمن الممكن التعااضي عن فكرة وجود مقياس معين يدل على زيادة أو نقص رفاهية الفرد. ولن تدعو الحاجة الى هذا المقياس إلا إذا قرر هذا الشخص أن رفاهية المجتمع إن هي إلا بناء منطقي يستند الى رفاهية الأفراد. ومع ذلك فقد يقرر هذا الشخص مقياسا معينا يتفادى به الصعوبات التي تنطوي على عدم تناسق الأفراد في سلوكهم الاقتصادي، أو قد يقرر أن الإشباع والسعادة لادخل لهما في رفاهية المجتمع.

كذلك فإن النظرية تعالج فكرة التوزيع المثالي للدخل على انها فكرة أخلاقية، ولا يمكن تقرير اي شئى حول الرفاهية، ما لم يأخذ هذا الشخص الفذ في الاعتبار فكرة توزيع الدخل، فضلا عن كافة العوامل الاخرى التي قد يأخذها ايضا على انها ذات أهمية أخلاقية. ولذا تهتم هذه المدرسة بالنتائج المترتبة على الفروض الأخلاقية، إذ من الممكن إدخال أية فكرة أخلاقية داخل النظام الأقتصادي بحيث يكون هذا الشخص على استعداد لأن يعطيها قيمة شخصية personal values. وعلى ذلك ففي داخل هذا الاطار التحليلي، يمكن التوصل الى (شروط الاوضاع المثلى) optimum conditions، ولا يسعنا إلا ان نقرر هنا أن هذه المدرسة الفكرية هي بلا شك على حق في تأكيد أن اقتصاديات الرفاهية لا تعدو أن تكون دراسة أخلاقية.

٢- المدرسة الثانية

ولا تعترف المدرسة الثانية بالناحية الأخلاقية من موضوع الرفاهية، إذ وفقا لهذا المدرسة الفكرية فإن اقتصاديات الرفاهية لاتزال في جوهرها دراسة لأسباب الإشباع، ومع ذلك فإن هذه المدرسة لاتنكر أنه لايمكن التوصل الى نتائج الرفاهية دون أخذ فكرة توزيع الدخل في الاعتبار. وعلى ذلك فلا بد ان يفترض أساسا أن ثمة توزيعا مثاليا للدخل.

ومع ذلك فهذه المدرسة تنكر فكرة عقد المقارنات بين المنافع الشخصية، ومن ثم تشترك كل من هذه المدرسة والمدرسة السابقة في انهما تستنتجان الشروط المثلى

في الانتاج والتبادل على اعتبار أنها شروط لازمة للوضع (الامتثل)، أما التوزيع المثالي للدخل فهو يعتبر أيضا شرطا لازما للوضع الامتثل. بيد أن كلا من هاتين المدرستين الفكريتين لا تقرران شيئا عن كيفية إمكان تحديد ما إذا كان وضع أمثل أفضل أو أسوأ (أو منتج لمزيد أو قليل من الإشباع) من وضع أمثل آخر. وأي وضع أمثل – حسب تعريف باريتو – هو أحد هذه الاوضاع المثلى.

٣- المدرسة الثالثة

أما المدرسة الثالثة فهي تقرر أن اي وضع (امتثل) في تحليل باريتو يمكن اعتباره بالضرورة أفضل من أي وضع آخر لاينم عن الوضع (الامتثل) في هذا التحليل. وبعبارة أخرى فإن هذه النظرية تقرر أن توزيع الدخل ليس له من اعتبار في بحث مشكلة ما إذا كان وضع ما هو الوضع الذي يدل على رفاهية اقتصادية أكبر من تلك التي يدل عليها وضع آخر. ويرى المنفعيون أن هذا ينطوي على افتراض أن الجنيه ينتج نفس المقدار من الإشباع بغض النظر عنا إذا أعطى الى رجل غني أو فقير. وقد لا يوافق كثير من الناس على أن مثل هذا الفرض يتمشى مع المنطق السليم. أما في رأي المدرسة الفكرية الاولى ، فإن الامر يتوقف على الحكم الشخصي المنطوي على انه (لا بد من إغفال توزيع الدخل في تقرير ما إذا كان وضع معين أفضل من وضع آخر). ولكن من الواضح فعلا أن اقتصاديي الرفاهية المحدثين والمنتمين للمدرسة الفكرية الثالثة لا يقصدوا في تحليلهم افتراض تساوي الإشباع أو الألتجاء الى الحكم الشخصي، إذ هم يعتقدون بأن عقد المقارنات الشخصية بين منافع الأفراد أمر غير مشروع في تحليل الرفاهية. ومن ثم فإن هؤلاء الاقتصاديين يعرفون (الزيادة في الرفاهية الاقتصادية) دون الاشارة الى توزيع الدخل الحقيقي بما يتضمنه من آثار على حجم الرفاهية، ومع ذلك فإنهم، في ذات الوقت، لا يدركون ما يتضمنه تعريفهم من حكم شخصي. وأنهى هذا الباب بالقول بأن الدراسات التي شملت الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية قليلة جدا ولكنني استوحيت كل تلك الدراسات التي ذكرتها في فكر الاوائل من الاقتصاديين والاجتماعيين، وكذلك فكر الاديان السماوية والوضعية كي ادع دراسات سابقة لهذا الموضوع .. كون الدراسات في هذا الموضوع قليلة جدا كونها من المواضيع الحديثة التي تتناول رفاه المجتمع. لذا واجهت صعوبة الحصول على تلك الدراسات.

رَبَاب الرَّابِع

الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك

الفصل الأول: نبذة عن مملكة الدنمارك

الفصل الثاني: الواقع السياسي والاقتصادي في الدنمارك

الفصل الثالث: واقع وآفاق الرفاهية في الدنمارك

الباب الرابع

الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك

لا يعد النمط الاسكندنافي متميزا عن بقية أنماط الرفاهية الاجتماعية، لأنه يمثل النموذج الأمثل للنمط الشامل وحسب، بل بسبب التوليف الذي يعتمده. فهو يولف ما بين الاشتراكية والليبرالية من ناحية، وما بين السوق والاستخدام من ناحية ثانية، إن الشمول والتوليف اللذين شاعا وطبقا في البلدان الاسكندنافية. السويد، الدنمارك، فنلندا، النرويج، وأخيرا آيسلندا، أعطيا هذه المجموعة من البلدان الصغيرة سمات مشتركة للرفاهية الاجتماعية، لتستحق ما يمكن تسميته " الطريق الوسط " للتطور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وما يميز النمط الاسكندنافي عن بقية البلدان الاوربية، هو كون برامج الرفاهية في الأولى كانت قد قامت على أساس تحالفات واسعة بين الأحزاب السياسية والطبقات الاجتماعية، من ناحية، كما أن تدخل الدولة في جميع ميادين الرفاهية قام على أساس التعبئة من القاعدة، من ناحية أخرى، فكل تعويضات المرض النقدية وضمانات البطالة نظمت على شكل صناديق ضمان طوعية مستقلة، غالبا ما أنشأتها النقابات ودعمتها الدولة في ما بعد، هذا النمط من الحركة الشعبية المنطلقة من القاعدة كانت الاساس الذي قامت عليه في ما بعد التغطية الشاملة للسكان بالضمانات الاجتماعية³⁴⁷.

كما ان رسوخ وتطور نمط الرفاهية الاسكندنافية قد يعود الى استناده على قاعدة شعبية واسعة، تؤدي فيها مؤسسات المجتمع المدني دورا نشيطا، فالعمال والفلاحون والعمال الزراعيون والطبقات المتوسطة في هذه البلدان تنتمي الى نقابات وأحزاب وجمعيات تمثل مصالحهم بكيفية واضحة وقوية. وأدى المفكرون دورا بارزا في بلورة المشاكل الاجتماعية التي عاناها مواطنوا هذه البلدان. إن انخراط المفكرين والمتقنين في الحركة الجماهيرية الواسعة وفي مؤسسات المجتمع المدني أعطى أبعادا عقلانية للمطالب، ونشر الوعي بالحقوق الاجتماعية التي كان مواطنوا الدول الاسكندنافية يقفون على عتبة تحقيقها.

وساتناول في هذا الباب ثلاثة فصول وكل فصل يحتوي على مبحثين وكما يلي:

347 - Olli Kangas and Joakim Palme: (Statism Eroded? Labour-market Benefits and Challengesto the Scandinavian Welfare States). 1993, pp. 3-24

الفصل الاول:

التسمية ..الواقع الجغرافي .. التاريخ

عند التعمق في مملكة الدنمارك، تسمية، جغرافيا، وتاريخا، مثل كل الدول تستدعي أن نضعها في محاور عديدة كي تعم الفائدة والفهم وكالاتي:

المحور الاول... أصل التسمية للدنمارك

الدنمارك أو الدانمارك أو رسميا مملكة الدنمارك وخاصة العلاقة بين الدنماركيين والدنمارك وتوحيد الدنمارك في مملكة واحدة موضوع يجذب بعض الجدل، ويتركز النقاش في المقام الاول حول البادئة " دان " Dan واما إذا كانت تشير الى شخص تاريخي اسمه دان، وكذلك حول معنى اللقطة " مارك " Mark، مما يزيد من تعقيد المسألة وجود إشارات الى العديد من الشعوب التي عرفت بأسم " Dani " في الدول الاسكندنافية أو أماكن أخرى في أوروبا في سجلات الثقافتين اليونانية والرومانية، وتشترك معظم الكتب الجزء الاول من كلمة تعني " الارض المنبسطة " ومرتبطة بالألمانية Tenne، " بيدر " أو الانكليزية den، " كهف " أو السنسكريتية dhanus، " صحراء ". ويعتقد أن اللاحقة Mark، تعني غابة أو ارضا حدودية مع إشارة محتملة الى الغابات على الحدود جنوب شليزفيغ ربما مماثلة لفنمارك وتيليمارك أو ديتامارشن، في اللغة الاسكندنافية القديمة، وكانت الارض تدعى " Danmork"³⁴⁸. ولزيادة الاطلاع نضع المفاهيم التالية:

١- التفسيرات الاسطورية ... يعود

أقدم وصف للدنمارك كمنطقة الى كرونكيون ليثرينس في القرن الثاني عشر وسفيند آغيسين في أواخر القرن ذاته، وساكسو غراماتيكيوس في أوائل القرن الثالث عشر وقصة إيريك في منتصف القرن الخامس عشر، ومع ذلك هناك العديد من الحوليات الدنماركية التي تحتوي على تفاصيل أخرى مختلفة وحكايات مشابهة في انواع أخرى وأسماء أخرى او أختلافات في الهجاء، تروي كرونكيون ليثرينس أنه عندما ذهب الامبراطور الروماني أغسطس لقتال الدنمارك في عهد داود³⁴⁹، كانت

³⁴⁸ - Udvalgte stednavnes betydning. Navneforskning, Københavns Universitet.

- يعتقد أن داود هنا هو النبي داود، طبعا هذا لا يتفق مع الترتيب الزمني، لكن مثل هذه المبالغات نمطية في مثل تلك المصادر التي تحاول جعل تاريخ الامة أقدم ما يمكن. الباحث

الدنمارك حينها مكونة من سبعة أقاليم هي " يولاند، وفين، وزيلاند، ومون، وفالستر، ولولاند، وسكين"، واللواتي حكمها الملك يبير من أوبسال، كان للملك ثلاثة أبناء " نوري، ودان وأوستن"، ارسل دان ليحكم زيلاند وفالستر ومون ولولاند والتي عرفت بمجملها بأسم " فيديسليف"، عندما كان اليوت في حرب مع الامبراطور أغسطس طلب عون دان، بعد انتصارهم جعلوا منه ملكا على يولاند وفين وفيديسليف وسكين، قرر المجلس دعوة هذه الارض الجديدة المتحدة " دنمارك" تيمنا بملكهم الجديد دان، يشير ساسكو الى ان الملك الأسطوري الدنماركي دان بن هومبلي هو الذي أعطى اسمه للشعب الدنماركي على الرغم من انه لا ينص صراحة على انه هو ايضا أصل كلمة دنمارك، بل يقول أن انكلترا في نهاية المطاف استمدت اسمها من شقيق دان انجل.³⁵⁰

٢- **الاستخدامات الاولى**.... أول ما ذكرت أرض تعرف بأسم " الدنمارك" كانت في النسخة المعدلة والمترجمة للملك ألفريد العظيم الى الانكليزية العتيقة عن مؤلفات بولوس أوريوس " سبعة كتب من التاريخ ضد الوثنيين"، والتي كتبها الفريد عندما كان ملكا على ويسكس في السنوات ٨٧١ - ٨٩٩. في مقدمة للكتاب كتبها الفريد نقرأ عن أسفار أوتير من هالوغالاند في مناطق الشمال حيث كانت الدنمارك " Denamearc" على جانب البر، وبعد ذلك لمدة يومين على جانب البر الجزر التي تنتمي الى الدنمارك، سجل أول استخدام لكلمة " دنمارك" في الدنمارك نفسها في اثنتين من الحجارة في يلينغ والتي هي آثار يعتقد أن غورم القديم هو من أسسها (حوالي عام ٩٥٥م) وهارالد السن الازرق (حوالي عام ٩٦٥م). كثيرا ما يستشهد بأكبر الحجرين أنه شهادة ميلاد الدنمارك على الرغم من أن كليهما يستخدم لفظة دنمارك في شكل " tanmaurk" وتلفظ بالدنماركية " danmark" على الحجر الكبير و " tanmarkar" وتلفظ بالدنماركية " danmarkar" على الحجر الصغير، يسمى سكان الدنمارك هناك " tani" وتلفظ بالدنماركية " dani"، وفي نشيد رولاند والتي يعتقد أنها كتبت بين ١٠٤٠ و ١١١٥ يبرز أول ذكر للبطل

³⁵⁰ - The life of Alfred the great translated from the German of Dr. Thore, B, Bell, R, Pauli to which is appended Alfred Anglo-Saxon Version of Orosius. 1900, p, 253.

الاسطوري الدنماركي هولغر دانسك، فهو ذكر عدة مرات بأنه " هولغر من الدنمارك"³⁵¹.

المحور الثاني .. السمات الجغرافية في الدنمارك:

١- السمة الجغرافية

تقع المملكة الدنماركية بين خطي عرض ٥٤ و ٥٨ درجة شمالاً، وبين خطي الطول ٨ و ١٥ درجة شمالاً، موقعها الاستراتيجي يشكل رأس جسر بين الارض الرئيسية الاوروبية، وبين شبه جزيرة إسكندنافية " النرويج والسويد"، وهكذا هي تحمي بحر البلطيق، وبما انها مؤلفة من مجموعة كبيرة من الجزر " أكثر من ٤٠٦ جزيرة " ومن شبه جزيرة يولاند، والمياه تحيط بها من جميع الجهات، ويبلغ طول سواحلها حوالي ٧٣٠٠ كم³⁵².

هذا الموقع الاستراتيجي الهام كان نقطة قوة وضعف في نفس الوقت، في منطقة كبيرة كأوروبا والنزاعات بين الدول المجاورة وبين القوى العظمى عبر التاريخ، أدى لخسارة الدنمارك جزءاً من أراضيها، كما ان تصارع القوى الكبرى في سبيل استعمار الاراضي كنتيجة للثورة الصناعية في اوربا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أدى لإقحام الدنمارك في تلك الحروب على الرغم من إعلانها الحياد دوماً، ورزحت تحت الاحتلال الألماني النازي (١٩٤٠م - ١٩٤٥م) ولكن نتيجة للمصلحة المتبادلة بين القوى العظمى، استطاعت الدنمارك أن تتجو كأمة لها لغتها الخاصة وثقافتها³⁵³.

الدنمارك هي من الدول الاسكندنافية شمال أوروبا، تقع جنوب غرب السويد وجنوب النرويج وتحدها من الجنوب المانيا، كما تطل الدنمارك على بحر البلطيق وبحر الشمال، وتتكون البلاد من شبه جزيرة كبيرة جوتلاند (يولاند Jylland)، والعديد من الجزر وأبرزها جزيرة شيلاند وفون وفندسيسل تي (تعتبر عادة جزءاً من يوتلاند) ولولاند وفالستر وبورنهولم وكذلك مئات الجزر الصغيرة التي غالباً ما يشار إليها بلأرخبيل الدنماركي، سيطرت الدنمارك منذ فترة طويلة على مدخل بحر

351 - Royal Danish. Denmark history, Prehistory(Poul Otto, Nielsen, Ministry of foreign affairs, may 2003

352- رحاب احمد صالح، د. المملكة الدنماركية، سوريا- وزارة الاعلام، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٣٧

353- نفس المصدر ص ٣٨

البلطيق قبل حفر قناة كيل كان الممر المائي لبحر البلطيق عبر قنوات ثلاث معروفة بأسم المضائق الدنماركية،

تعتبر البلاد منبسطة نوعا ما حيث يبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٣١ متر، وأعلى نقطة طبيعية هي موليهوي عند ١٧٠,٨٦ م. من التلال الاخرى جنوب غرب المنطقة نفسها عند آر هوس (Århus) هي يدينغ سكوفهوي على علو ١٧٠,٧٧ م، وإير بافنيهوف عند ١٧٠,٣٥ م، وتبلغ مساحة المياه الداخلية في الدنمارك الشرقية ٢١٠ كم مربع و ٤٩٠ كم مربع في الشطر الغربي من البلاد، ويبلغ طول سواحل الدنمارك ٧٣١٤ كيلومتر (٤٥٤٥ ميل)، كما لا يوجد اي مكان في الدنمارك يبعد عن الساحل أكثر من ٥٢ كم، ولا يمكن تحديد مساحة اليابسة في الدنمارك بشكل دقيق حيث ان المحيط يضيف أو يزيل موادا من السواحل باستمرار وايضا بسبب مشاريع استصلاح الاراضي لمواجهة التآكل، على الساحل الجنوبي الغربي من يولاند يبلغ المد والجزر ما بين ١ و ٢ متر، كما يتحرك خط المد والجزر نحو الداخل والخارج من الساحل على امتداد ١٠ كم.^{٣٥٤}

٢- المناخ

تقع الدنمارك في المنطقة المناخية المعتدلة، فلا يعد الشتاء باردا جدا، حيث يكون وسطي درجات الحرارة في يناير وفبراير عند ٠,٠ درجة مئوية، بينما يكون الصيف معتدل نسبيا مع وسطي درجة حرارة في اغسطس عند ١٥,٧ درجة مئوية. تهطل الامطار في الدنمارك بمتوسط ١٢١ يوما في السنة ليبلغ معدل هطول الأمطار ٧١٢ ملم في السنة، تغزر الامطار في الخريف بينما تقل الى أدناها في الربيع، وبسبب موقع الدنمارك الشمالي فإن طول النهار وبزوغ الشمس يتنوع جدا، فهناك أيام قصيرة خلال فصل الشتاء حيث تشرق الشمس حوالي الساعة التاسعة صباحا لتغرب عند الرابعة والنصف مساء، فضلا عن ايام الصيف الطويلة حيث تشرق الشمس عند الساعة الرابعة صباحا وتغرب عند الساعة العاشرة مساء.^{٣٥٥}

في الدنمارك يحتفل تقليديا بأقصر وأطول يوم في السنة، ويتزامن الاحتفال بأقصر يوم مع عيد الميلاد " jul " بالدنماركية، تركز الاحتفالات الحديثة على عشية عيد

³⁵⁴ - Aktuel Naturvidenskab. Danmark nye top. Dahlgård, Jørgen, 2005.

³⁵⁵ - Sunrise, sunest, dawn and dusk times for the whole- Copenhagen, Denmark- May, 2006

الميلاد في ٢٤ يسمبر، فيول هي كلمة من النوردية بصيغة الجمع تشير الى ان المجتمع ما قبل المسيحية كان الدنماركيون يحتفلون بموسم ذا أعياد متعددة^{٣٥٦}. جلبت المسيحية الاحتفال بعيد الميلاد، مما ادى الى استخدام الاسم النوردي أيضا للمناسبة المسيحية، بينما أخفقت الجهود التي بذلتها الكنيسة الكاثوليكية لاستبدال هذا الاسم بأسم عيد الميلاد (كريستميس)، الاحتفال بأطول يوم يجري في منتصف الصيف، والذي يعرف في الدنمارك بأسم عشية القديس يون، وأيضا تجري الاحتفالات بمنتصف الصيف منذ عصور ما قبل المسيحية^{٣٥٧}.

والدنمارك بلد صغير لذلك لا يختلف المناخ فيه كثيرا من منطقة الى أخرى، وتكون درجة الصفر المئوي معدل درجات الحرارة شتاء في الدنمارك، وتتراوح ما بين تسع درجات تحت الصفر وسبع درجات تحت الصفر في أبرد الايام، وقد تتجمد المياه في الشرق أثناء فصول الشتاء الباردة، ففي هذه الاوقات لا يمكن للمياه ان تبعث الدفئ في الرياح الباردة مما يجعل الطقس باردا جدا، ويكون معدل درجات الحرارة في الصيف ١٧ درجة مئوية، وقد تسبب الرياح القادمة من أوروبا الشرقية ارتفاعا في درجات الحرارة.

٣- البيئة

صدر عن الدنمارك مواقف متقدمة تاريخيا للحفاظ على البيئة، حيث أنشأت وزارة البيئة عام ١٩٧١ وكانت أول بلد في العالم ينفذ القانون البيئي في عام ١٩٧٣، للتخفيف من التدهور البيئي والاحتباس الحراري وقعت الحكومة الدنماركية الاتفاقات الدولية التالية: معاهدة أنتاركتيكا، بروتوكول كيوتو، وقانون الانواع المهددة بالانقراض، ساعدت هذه الاتفاقات في خفض انبعاثات ثاني أوكسيد الكاربون من الدنمارك^{٣٥٨}.

صنفت الدنمارك في المرتبة العاشرة عالميا من حيث " الحياة الخضراء " في مسح لمجلة ريترز دايجست عام ٢٠٠٧، كما تعرف كوبنهاكن بكونها واحدة من أكثر المدن الصديقة للبيئة في العالم، يعزى نجاح المدينة البيئي الى نجاح سياسة البلدية القوية جنبا الى جنب مع سياسة وطنية سليمة، حيث حصلت بلدية كوبنهاكن في

356 - Jul store Danske Encyklopædi, 2004

357 - Majsikke Store Danske Encyklopædi, 2004

358 - CIA. The World Factbook. Denmark. 2007

٢٠٠٦ على جائزة الادارة البيئية الاوروبية، تمنح هذه الجائزة للتخطيط البيئي الشامل على المدى الطويل، تحولت في الآونة الاخيرة العديد من البلديات الصغيرة في الدنمارك مثل لولاند وبورنهولم الى قادة بيئيين، الدنمارك موطن لخمسة من عشرة في العالم من محطات التدفئة المركزية على الطاقة الشمسية والتي يقع أكبرها عالميا في منطقة مارستال في جزيرة إيرو.³⁵⁹

كوبنهاغن هي رأس الحربة في الحركة البيئية الخضراء المشرقة في الدنمارك، في عام ٢٠٠٨ ذكرت كلين إيدج كوبنهاغن اعتبارها واحدة من قادة التقنية النظيفة في كتاب " ذا كلينتك ريفولوشن "، المدينة هي مركز التنسيق لأكثر من نصف الشركات ال ٧٠٠ الدنماركية التي اعتمد التقنية النظيفة وتدير نحو ٤٦ من المؤسسات البحثية، توظف تلك المجموعة من الشركات نحو ٦٠٠,٠٠٠ شخص وتتميز بالتعاون الوثيق بين الجامعات وقطاع الاعمال ومؤسسات الحكم، أهم المراكز البحثية في هذا المجال في العاصمة هي جامعة كوبنهاغن ومدرسة كوبنهاغن للأعمال، ومختبر ريسو الوطني للطاقة المستدامة والجامعة التقنية في الدنمارك والتي مختبر ريسو جزء منها حاليا، لمكانتها المتقدمة في القضايا البيئية استضافت جامعة كوبنهاغن عام ٢٠٠٩ مؤتمر "تغير المناخ : مخاطر عالمية، تحديات وقرارات" حيث تم التأكيد على ضرورة اتخاذ إجراءات شاملة للتخفيف من تغير المناخ من قبل المجتمع العلمي الدولي.

وهناك للدنمارك الكثير من الاتفاقيات البيئية وهي على نوعين النوع الاول الاتفاقيات التي تشارك فيها. والنوع الثاني هي الاتفاقيات التي تشارك فيها ولكن لم يصدق عليها. وسأعرض كافة هذه الاتفاقيات في نهاية البحث.

٤- التركيب السكاني³⁶⁰

١- عدد السكان : (٥٣٥٢٨١٥) نسمة، طبقا لتقديرات ٢٠٠١. و (٥٤٨٤٧٢٣)

نسمة طبقا لتقديرات ٢٠٠٨،

٢- التركيب العمري للسكان، وأعداد الذكور والاناث لكل مرحلة عمرية

أ- طبقا للتقديرات ٢٠٠١ وحسب الجدول التالي رقم (٣)

359 - Matthew, E, Kahn, Living Green: Full Country and City Rankings: Countries. 2009

360- دائرة الاحصاء الدنماركية

الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية

مرحل العمر	النسبة المئوية	عدد الذكور	عدد الاناث
١٤ - ٠	%١٨,٥٩	٥١٠,٨٢٦	٨٤٨,٣٨٥
٦٤-١٥	%٦٦,٥٦	١٨٠,٤٦١٧	١٧٥,٨٠١٩
٦٥ فأكثر	%١٤,٨٥	٣٣١٩,٠٦	٤٦٣,٠٦٢

المصدر: دائرة الاحصاء الدنماركية

ب- وطبقا لتقديرات ٢٠٠٨ كما يلي:

مرحل العمر	النسبة المئوية	عدد الذكور	عدد الاناث
١٤-٠	%١٨,٤	٥١٦,٧٣٥	٤٩٠,٥٣٢
٦٤-١٥	%٦٥,٩	١٨١,٨٦٨١	١٧٩,٦٧٥٣
٦٥ فأكثر	%١٥,٧	٣٧٤,٣٨٨	٤٨٧,٦٣٤

نفس المصدر السابق

٢- معدل وفيات الاطفال: طبقا لتقديرات ٢٠٠١ و ٢٠٠٨ على التوالي كلاتي: ^{٣٦١}

(٥,٠٤) حالات بين كل ١٠٠٠ طفل و طبقا لاحصاءات ٢٠٠٨ (٤,٤) طفل.

٣- متوسط العمر: طبقا لتقديرات ٢٠٠١ - الذكور (٧٤,١٢) سنة والاناث (٧٩,٤) سنة. وطبقا لتقديرات ٢٠٠٨ - الذكور (٧٥,٨) سنة والاناث (٨٠,٥٩) سنة.

٤- التقسيمات العرقية: يعيش في الدنمارك عدة عرقيات أهمها الاسكندنافيون، والإنويت، والفارو، والالمان،

٥- الديانات : يدين ٩٧% من سكان الدنمارك باللوثرية الإنجيلية، وتدين النسبة المتبقية بالبروتستانية، والرومانية الكاثوليكية، وديانات اخرى نتيجة توافد الاجانب اليها.

٦- اللغات : الدنماركية، والفاروية، والجريفلندية، والإنوتية، والالمانية، وتعد الانجليزية هي اللغة الثانية السائدة في الدنمارك.

٧- نسبة الملمين بالقراءة والكتابة بين الذين تزيد أعمارهم على ١٥ سنة بين إجمالي السكان ١٠٠%.

³⁶¹ - www. Moqatel.com/Moqatel/Data/Behoth/Dwal_Modn 18/Denmark.

المحور الثالث: تاريخ الدنمارك

يكاد يكون تاريخ الدنمارك يكتنفه بعض الغموض، وسأحاول سرد الفترات التاريخية التي مر بها الدنمارك وبشكل موجز وكما يلي:

أولا قبل التاريخ

تعود اقدم الاكتشافات الاثرية في الدنمارك الى فترة إيم بين الجليدية من ١٣٠,٠٠٠ – ١١٠,٠٠٠ ق.م^{٣٦٢}، سكن البشر الدنمارك منذ حوالي ١٢,٥٠٠ عام قبل الميلاد، بينما توجد دلائل على النشاط الزراعي منذ ٣٩٠٠ عام قبل الميلاد^{٣٦٣}، تميز العصر البرونزي الشمالي (١٨٠٠-٦٠٠ ق.م) في الدنمارك بتلال الدفن والتي خلفت وفرة من الآثار بما في ذلك عربة الشمس واللور.

خلال العصر الحديدي ما قبل الروماني (٥٠٠ ق م – ١م) بدأت الشعوب الأصلية بالهجرة نحو الجنوب^{٣٦٤} على الرغم من أن أول الدنماركيين وصلوا البلاد فيما بين ما قبل الرومان والعصر الحديدي الجرمانى^{٣٦٥}، أي في العصر الحديدي الروماني (١٠٠-٤٠٠م)، حافظت المقاطعات الرومانية على طرق التجارة والعلاقات مع القبائل المحلية في الدنمارك كما تم العثور على نقود رومانية في الدنمارك، توجد أدلة قوية على نفوذ تاريخي وتأثير ثقافي في هذه الفترة في الدنمارك وجزء كبير من أوروبا الغربية والشمالية من بين أمور اخرى تنعكس فيما عثر عليه في مرجل "غونديستروب".

يعتقد المؤرخون أنه وقبل وصول أسلاف الدنماركيين الذين جاؤوا من الجزر الدنماركية في الشرق (زيلاند) وسكين (skagen) وتحدثوا شكلا من الجرمانية الشمالية، فإن معظم يولاند وبعض الجزر سكنها شعب اليوت. دعي هؤلاء في وقت لاحق للجزر البريطانية كمرتزقة للملك البريتوني (فورتيجرن) ومنحهم الاراضي جنوب شرق (كنت) وجزيرة (وايت) من بين مناطق اخرى حيث استوطنوا، تم استيعابهم وطردهم لاحقا من قبل الغزو الأنجلوسكسوني للجزر البريطانية، بينما تم استيعاب السكان الباقين في يولاند مع الدنماركيين.

³⁶² - Michaelsen. Danmarks history, 2002, p 19.

³⁶³ - Niesen, Poul, Danmark history, prehistory, 2003.

³⁶⁵ - Busck and Poulsen, 2002, p20

يعتقد أن ما ذكره المؤرخ يوردانس في مذكرة قصيرة³⁶⁶ عن الدنماركيين في غيتيكا هو من بين أوائل ماكتب حولهم، بنى هؤلاء هياكل الدفاع دانفريك على مراحل من القرن الثالث وما تلاه، ويعزى الحجم الكبير لجهود البناء في عام ٧٣٧ لظهور ملك دنماركي، استخدمت الأبجدية الرونية لأول مرة في نفس المرحلة التاريخية، وتأسست " رايب " أقدم مدينة في الدنمارك حوالي ٧٠٠م.

*- عصر الفايكنغ (Vikings Period)

كان الشعب الدنماركي من بين الشعوب المعروفة بأسم " الفايكنج " خلال القرنين ٨-١١، كان المستكشفون الفايكنغ أول من وصل واستقر في آيسلندا في القرن التاسع في طريقهم من جزر فارو، من هناك استوطنوا غرينلاند وفينلاند ، نجح الفايكنغ في استغلال مهاراتهم الكبيرة في بناء السفن لغزو أجزاء من فرنسا والجزر البريطانية، لكنهم برعوا ايضا في التجارة على طول السواحل والأنهار في اوروبا وأداروا طرق التجارة من غريلاند (Grønland) في الشمال الى القسطنطينية في الجنوب عبر الانهار الروسية، نشط الفايكنغ الدنماركيون في بريطانيا وايرلندا وفرنسا وأغاروا وأستوطنوا أجزاء من انكلترا (أقدم مستوطناتهم شملت المواقع في دينلو وايرلندا ونورماندي).³⁶⁷

في بداية القرن التاسع وصلت إمبراطورية شارلمان المسيحية الى الحدود الجنوبية للدنمارك، وتزود المصادر الفرنجية على سبيل المثال نوتكر من سانت غال، أقدم الادلة التاريخية عن الدنماركيين، تبلغ هذه التقارير عن ملك يدعى غودفريد ظهر في هولشتاين ويمتلك اسطولاً بحرياً في عام ٨٠٤ حيث أقام علاقات دبلوماسية مع الفرنجة، في عام ٨٠٨ هاجم الملك غودفريد أبوتريت وفتح مدينة ريريك والتي أستبدل سكانها أو نزحوا الى هيدبيي، في عام ٨٠٩ فشل مبعوثوا الملك شارلمان في التوصل الى صلح مع الملك غودفريد، وهاجم الملك في العام التالي الفريزيين بمائتي سفينة،³⁶⁸

366 - Charles C. Mierow Jordanes. The origin and Dees. 1997.

367 - Tegning, Inger Bjerg Poulsen, efter Else Roesdahl: Danmarks vikingetid, 1980.

368 - Mhchaelsen, 2002. pp. 122-123

تم توحيد الدنماركيين وتحولهم الى الكاثوليكية رسميا في عام ٩٦٥ م من قبل هارولد بلاتاند وهي القصة المسجلة على أحجار " يلينغ ". لايعرف مدى توسع مملكة هارالد الدنماركية على الرغم من إيمانه الاعتقاد أنها امتدت من الخط الدفاعي عند دانيفيرك بما في ذلك مدينة الفاينغ هيدبيي عبر يولاند والجزر الدنماركية والى جنوب السويد الحالية وسكبين وربما هالاند وبليننج، علاوة على ذلك تضيف الاحجار أن هارالد كان قد فاز بالنرويج، رداً على مذبحه الدنماركيين في عيد سانت بريس في انكلترا.

بعد وفاة كانتوت العظيم انفصلت انكلترا عن الدنمارك، وقام سفين استريديسن بن كانتوت الرابع بمهاجمة انكلترا للمرة الأخيرة في ١٠٨٥، واعتزم غزو انكلترا للسيطرة على العرش من وليم الاول المسن، فأستدعى اسطولا قوامه ١٠٠٠ سفينة دانماركية و ٦٠ من الزوارق النرويجية الطويلة مع وجود خطط للاجتماع بنحو ٦٠٠ سفينة اخرى تتبع لروبرت دوق الفلاندرز في صيف عام ١٠٨٦م، أدرك كانتوت مع ذلك أن فرض الضرائب على الفلاحين والنبلاء الدنماركيين وتمويل التوسع من الاديرة والكنائس وفرض ضريبة الرأس الجديدة أوصلت شعبه الى حافة التمرد، أستغرق الامر أسابيع من كانتوت للوصول الى ستروير نقطة تجمع الاسطول لكنه لم يجد سوى النرويجيين بانتظاره، شكر كانتوت النرويجيين على صبرهم وبعد ذلك ذهب من تجمع الى آخر مجرما اي بحار أو قبطان أو جندي يرفض دفع الغرامة التي وصلت الى اكثر من محصول عام من الحصاد بالنسبة لمعظم المزارعين، فر كانتوت والنبلاء جنوبا هربا من الجيش المتزايد من المتمردين، فر كانتوت الى الخاصية الملكي خارج مدينة أودينسة في فيين مع شقيقه، بعد عدة محاولات من المتمردين لدخول الحصن ومن ثم انتقال القتال الى الكنيسة قتل بنديكت وكانوت في ١٠ يوليو ١٠٨٦ م حيث دفن من قبل البينديكتين، وعندما وصلت الملكة إيديلي لنقل جثمان كانتوت الى الفلاندرز، يزعم أن ضوءاً أشرق حول الكنيسة وأتخذت على انها علامة أن يبقى كانتوت مكانه، فكانت وفاة كانتوت نهاية عهد الفاينغ، حيث لم تعد تخرج

الاساطيل الضخمة من الدول الأسكندنافية كل سنة لتنهب أوروبا.^{٣٦٩}

ثانيا- تاريخ الدنمارك في العصور الوسطى

منذ عهد الفايكنغ حتى نهاية القرن الثالث عشر ضمت مملكة الدنمارك أرض يولاند شمال نهر إيدر وجزر زيلاند وفين وبورنهولم وهالاند وسكيبين وبلينج، فصل بين الأراضي الواقعة بين نهري إيدر وكونجيا دوقيتان تابعتان للمملكة هما شليسفيغ وهولشتاين، وعقب نهاية القرن الحادي عشر شهدت الدنمارك الانتقال من خليط من الزعماء المحليين مع وجود مؤسسة ملكية ضعيفة ونصف منتخبة الى نظام يعكس بصورة أكبر الأقطاع الاوروبي من خلال ملك قوي يحكم عبر طبقة نبلاء مؤثرة، شهدت الحقبة صراعا داخليا وموقفا جيوسياسيا ضعيفا عموما، حيث خضعت للنفوذ الألماني، شهدت الفترة ايضا ظهور أولى المباني الحجرية الكبيرة (ومعظمها من الكنائس) وانتشار المسيحية بشكل واسع وظهور الاديرة في الدنمارك وظهور أول الاعمال التاريخية المكتوبة مثل " دانوروم غيستا " أي افعال الدنماركيين، وصل النفوذ الألماني السياسي والديني الى نهايته في العقد الأخير من القرن الثاني عشر تحت حكم الملك فالديمار العظيم وأخيه بالتبني أبسالون هفيد رئيس أساقفة لوند من خلال عدة من الحروب الناجحة ضد شعوب وند في شمال شرق ألمانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة، وصلت المملكة الى ذروتها في عهد فالديمار الثاني والذي قاد تشكيل " امبراطورية بحر البلطيق " الدنماركية والتي بسطت سيطرتها عام ١٢٢١م من إستونيا في الشرق الى النرويج في الشمال، أصدرت في هذه الفترة العديد من القوانين المحلية ولا سيما قانون يولاند عام ١٢٤١ م والذي أكد على بعض المفاهيم الحديثة مثل حق الملكية و " أن الملك لا يمكن أن يحكم من دون وخارج القانون " و " أن جميع الرجال متساوون أمام القانون "، وبعد وفاة فالديمار الثاني عام ١٢٤١ م وحتى صعود فالديمار الرابع عام ١٣٤٠ م دخلت المملكة في عهد من التراجع العام بسبب الصراع الداخلي وصعود الرابطة الهانزية، حيث أدى التنافس بين أبناء فالديمار الثاني على المدى البعيد الى انفصال الأجزاء الجنوبية من يولاند في مملكة الدنمارك لتصبح دوقيتا أو مقاطعات تابعة شبه مستقلة.^{٣٧٠} وقد شهدت العصور الوسطى الحدثين الآتيين:

مصدر سابق Palle Lauring - 370

*- إتحاد كالمار

في عهد الملك فالديمار الرابع ١٣٤٠-١٣٧٥م وأبنته مارغريت الأولى استعادت المملكة قوتها وعقب معركة فالكوبيغ نصبت مارغريت ابن أختها اريك من بوميرانيا ملكا لكل من الدنمارك والنرويج والسويد بعد التوقيع على ميثاق " اتحاد كالمار " في عام ١٣٩٧ كان يعتقد أن هذه المملكة المتحدة تحت تاج واحد من شأنها أن تخلق قوة عظمى في الشمال، وتعامل الدول الثلاث على قدم المساواة في الاتحاد، مع ذلك وحتى منذ البداية فإن مارغريت لم تعامل بقية الدول معاملة مثالية على قدم المساواة مع الدنمارك. وهكذا فإن الكثير من السنوات الـ ١٢٥ المقبلة من التاريخ الاسكندنافي تدور حول هذا الاتحاد حيث تفصل السويد ويعاد ضمها من جديد مرارا وتكرارا، ثم تم حل المسألة عمليا في ١٧ يونيو ١٥٢٣م عندما فتح ملك السويد غوستاف فاسا مدينة ستوكهولم، مع ذلك استمرت الدنمارك والنرويج في إتحاد شخصي حتى مؤتمر فيينا في عام ١٨١٤م.^{٣٧١}

*- الإصلاح البروتستاني

أنت حركة الإصلاح البروتستاني الى منطقة إسكندنافيا في العشرينات من القرن السادس عشر، وفي عيد القيامة من سنة ١٥٢٥م أعلن الراهب هانز تاوسين - وهو عضو في فرسان القديس يوحنا - حاجة البلاد الى اصلاحات مارتن لوتر في الكنيسة الكاثوليكية، كانت موعظته بداية صراع أستمّر لعشر سنين والذي أدى الى تغيير الدنمارك الى الابد، حيث تم ابعاد تاوسين الى دير في فيبورك بشمال يولاند مما سيجعله معزولا عن كوبنهاكن والمحاكم الكنسية، قام تاوسين خلال فترة حبسه بالوعظ من خلال النافذة، مما جذب فيبادية الامر عدد من العابرين من بسطاء العامة الذين يريدون سماع أفكاره الجديدة، وخلال اسابيع تم تحرير تاوسين من حبسه عن طريق أتباعه المخلصين، وتم بعدها فتح كنيسة فرنسيسكانية قسراً حتى يتمكن سكان فيبورك من سماع المواعظ، فقد تم تقبل الأفكار اللوثرية بسرعة كبيرة حتى ان أسقف وقساوسة فيبورك لم يستطيعو الحد من انتشار أفكاره، حيث تم القاء مواعظ مارتن لوتر في العديد من الكنائس ومن ثم بدأ منظور تاوسين من تعاليم لوتر في الانتشار الى المناطق الاخرى في يولاند، وخلال سنة من هذه الاحداث تقلد تاوسين

نفس المصدر Palle Lauring - 371

منصب القسيس الخاص بفريدريك الاول، والذي بدوره حاول أن يوفق بين التاعليم القديمة والافكار الجديدة، وإستمرت هذه السياسة حتى موت فريدريك الاول.³⁷² في عام 1531م إقترح جمع من العامة كنيسة السيدة العذراء في كوبنهاغن، وقاموا بتحطيم التماثيل " المذابح والاعمال الفنية والتاريخية التي تجمعت هناك على مر التاريخ " وكان هنالك احداث مشابهة في جميع انحاء الدولة على الرغم بأن التغييرات التي حصلت كانت سليمة في معظمها، فأغلبية العامة رأوا انخفاض تأثير الكنيسة على

انه شئى محرر ومحطم القيود، ولكن هذه السلطة التي أعطت للشعب لم تدم طويلا. وعندما مات الملك الفريدريك الاول في عام 1533م طالبت جهتان مختلفتان بالعرش الملكي، الاولى مدعومة من قبل بروتستانتيني لوبيك والاخري من قبل النبلاء الكاثوليكين، مما أدى الى حرب أهلية أستمرت للفترة ما بين 1534-1536م، وعرفت بعباء الكونت، وسجلت مذبحه جيش البحار كليمنت والمكون من الفلاحين بألبورك في شهر ديسمبر من العام 1536م نهاية الحرب الأهلية وخلفت السلطة للحزب اللوثري³⁷³

أصبحت الدنمارك دولة لوثرية رسميا في 1536م، وتم إعتقال وسجن الأساقفة بينما صودرت جميع ممتلكات الكنائس من مدارس ودير عبادة من قبل النبلاء والعرش، والاساقفة الذين وافقوا على إتباع الأفكار اللوثرية وعدم خلق المشاكل أعطوا بعض الممتلكات الكنسية السابقة كممتلكات شخصية لهم، على الرغم بأن التغييرات البروتستانتية بدأت في البورك، إلا انها كانت آخر معاقل الكاثوليكية، حيث ان التخبير كان بطيئا هناك.³⁷⁴

372 - Lauring, pp 139-141, مصدر سابق

373 - Lauring, pp 140-141, مصدر سابق

374 - Busck, Steen and Poulsen, Henning; Danmarks historie; Århus Universitetsforlag, 2002.

ثالثا- تاريخ الدنمارك في الفترة الحديثة

كان اهتمام الدنمارك شديدا بحدودها الجنوبية في معظم تاريخها، حيث ان الالمان سواء انتموا الى الرابطة الهانزية أو كأقليات متمردة (متمركزة غالبا في شليزفيغ) استدعوا على مدى قرون اهتمام المملكة الدنماركية بشكل كامل، على الرغم من ذلك، بحلول عام ١٥٠٠م، بدأت تلك الرابطة في التراجع وبالأخص بعد بروز المملكة الهولندية كقوة بحرية كبيرة وعدم وجود قيود تجارية بحرية بينها وبين الدول الاسكندنافية، وبحلول العام ١٦١٤ كانت ٦٠% من السفن العابرة للمضيق بين الدنمارك والسويد سفناً هولندية رغم ذلك لم تحل مشكلة شليزفيغ بشكل تام نظرا لظهور مشكلة أكبر وهي بروز السويد كقوة كبرى.^{٣٧٥}

كان صلح أوغسبورغ حماية لحدود الدنمارك الجنوبية، وبذلك التفتت الدنمارك نحو الشمال الى السويد كأكبر تهديد لها، مثلها مثل الدنمارك، فإن اغلب المناطق الألمانية الشمالية كانت قلقة من التهديد العسكري السويدي، وبذلك فإنها خفتت من دعمها للأقلية الألمانية في شليزفيغ، وأخذت بالتركيز على التهديد السويدي وتبعاً لذلك أصبح بإمكان الدنمارك أن تركز أيضاً على التهديد السويدي، وبعد انفصال السويد عن اتحاد كالمار في عام ١٥٢٣م حاولت الدنمارك في مناسبتين مختلفتين أن تعيد هيمنتها على السويد، أولهما كانت حرب السنوات السبع الشمالية، والتي استمرت من عام ١٥٦٣م حتى عام ١٥٧٠م، بينما كانت المحاولة الثانية عندما هاجم الملك كريستيان الرابع السويد عام ١٦١١م في حرب عرفت بأسم حرب كالمار، ولكنه فشل في تحقيق الهدف المرجو، ولم تنتج حرب كالمار عن اية تغييرات حدودية، ولكن كان على السويد أن تدفع تعويضات مقدارها مليون "ركسدالر" فضي لصالح الدنمارك، وعرف هذا المبلغ بأسم فدية الفسبورك.^{٣٧٦}

أستعمل الملك كريستيان الرابع هذا المبلغ لإنشاء مدن وقلاع جديدة، أشهرها مدينة غلوكتاد (والتي بنيت كمنافس لمدينة هامبورك) وكريستيانيا (بعد ان دمر حريق مدينة أسلو القديمة) وكريستيانسهافن، وكريستيانستاد، وكريستيانزاند، كما انشأ الملك كريستيان الرابع عددا من المباني مثل بورسن وروندتارن، ونيبودير،

³⁷⁵ - Stanley Chodorow and Robert S.Hoyt: Europe in the Middle Ages, New York, 1976.

³⁷⁶ - Svenskt Militärhistoriskt Bibliotek. Kalmarkriget, 1611-1613, 2007.

وروزينبورغ، ومنجم فضة وآخر نحاس، كما أسس شركة مماثلة لشركة الهند الشرقية الهولندية وحاول المطالبة بسيلان كمستعمرة، ولكن الشركة نجحت فقط في الحصول على ترانكيبار على ساحل كورومانديل في الهند. حاول كريستيان الرابع أثناء حرب الثلاثين عاما أن يصبح قائد المقاطعات اللوثرية في المانيا، ولكنه مني بهزيمة ساحقة في معركة لوتير، كانت نتيجة المعركة تمكن الجيوش الكاثوليكية تحت قيادة البرشت فون فالنشتاين من احتلال ونهب يولاند، مما أجبر الدنمارك على أن تنسحب من الحرب، حيث تمكنت من تجنب فقدان أراضيها، ولكن تدخل جيش غوستاف الثاني في الاراضي الألمانية كان بمثابة إشارة أن قوة السويد في صعود وأن النفوذ الدنماركي في المنطقة أخذ في التناقص، حيث احتلت الجيوش السويدية يولاند وضمت مقاطعة سكين في عام ١٦٤٤م.^{٣٧٧}

في معاهدة برومزيرو للسلام عام ١٦٤٥م سلمت الدنمارك جوتلند وما تبقى من إستونيا الدنماركية وعدة مقاطعات أخرى في النرويج الى هولندا. وفي عام ١٦٥٧، أعلن الملك فريدريك الثالث الحرب على السويد، أدى الى هزيمة كبيرة للجيش الدنماركي، وغزت جيوش تشارلز جوستاف العاشر يولاند وفين ومناطق أخرى من زيلاند قبل توقيع معاهدة روسكيلد للسلام في فبراير لعام ١٦٥٨م، والتي أعطت للسويد تحكما كاملا بمقاطعات سكين وبليكينغي، وترونديلاغ، وجزيرة بورنهولم، وندم تشارلز غوستاف العاشر على عدم هزيمة الدنمارك بشكل كامل، وفي أغسطس من عام ١٦٥٨م بدأ حصارا طويلا استمر لسنتين على كوبنهاغن، ولكنه فشل في دخول العاصمة، وشملت المعاهدة التالية بنودا استطاعت الدنمارك بموجبها أن تحتفظ بأستقلالها واستعادة السيطرة على ترونديلاغ وجزيرة بورنهولم.^{٣٧٨}

حاولت الدنمارك استعادة السيطرة على سكون في حرب سكون (١٦٧٥-١٦٧٩)، ولكن محاولتها باءت بالفشل، وبعد حرب الشمال العظمى (١٧٠٠-١٧٢١) تمكنت الدنمارك من ان تستعيد السيطرة على الأجزاء التي تحكمتها عائلة هولشتاين-غوتورب من شليزفيغ وهولشتاين في عامي ١٧٢١ و ١٧٧٣م على التوالي. ازدهرت الدنمارك بشكل كبير في العقود الاخيرة من القرن الثامن عشر، كما سمحت لها حياديتها بأن تنشئ علاقات ومبادلات تجارية بين جميع أطراف الحروب

377 - Parker. P. 69-70

المصدر السابق Parker - 378

المعاصرة على كثرة عددها، وخلال الحروب النابليونية حاولت الدنمارك البقاء في موقع المحايد حتى يتسنى لها الاستمرار في الانتفاع من التبادل التجاري المربح مع فرنسا وبريطانيا العظمى، وبهذا أنضمت الى اتحاد الدول المحايدة ضم روسيا والسويد وبروسيا.³⁷⁹

أعتبرت بريطانيا هذا التوجه الدنماركي كعمل معاد وهاجمت كوبنهاغن في عامي ١٨٠١ و ١٨٠٧ م، كما قامت البحرية البريطانية بتدمير الاسطول الدنماركي وحرقت أجزاء كبيرة من العاصمة، أدت هذه الاحداث الى إنهاء عصر التطور والازدهار الدنماركي، وأدت ايضا الى نشوب حرب المدفعية البحرية بين الدنمارك وبريطانيا تمكنت البحرية البريطانية من السيطرة على المعابر البحرية بين الدنمارك والنرويج مما أدى الى أفلاس الاتحاد الدنماركي النرويجي ففي عام ١٨١٣ م.

في المجلس الذي عقد في فيينا بعد الحروب النابليونية، تمت المطالبة بتفكيك الاتحاد الدنماركي النرويجي، وتم تأكيد هذا الاقتراح في معاهدة كيل عام ١٨١٤ م، أمل الاتحاد الدنماركي النرويجي في إستعادة الاتحاد الاسكندنافي في عام ١٨٠٩ م، ولكن هذه الآمال تبخرت عندما رفضت السويد اقتراحا يجعل فريدريك السادس خلفا للملك غوستاف الرابع وبدلا من ذلك نصب الملك تشارلز الثالث عشر، دخلت الدنمارك اتحاداً جديداً مع السويد وأستمر هذا الاتحاد حتى عام ١٩٠٥ م، احتفظت الدنمارك بمستعمرات آيسلندا وجزر فارو، وغرينلاند، باستثناء المستعمرات النوردية، حكمت الدنمارك الهند الدنماركية من ١٦٢٠ حتى ١٨٦٩ م والساحل الدنماركي الذهبي من ١٦٥٨ حتى ١٨٥٠ م، وجزر الهند الغربية الدنماركية من ١٦٧١ حتى ١٩١٧ م. وبعد الثورات الاوربية في ١٨٤٨ م أصبحت الدنمارك دولة ملكية دستورية بشكل سلمي في الخامس من مارس لعام ١٨٤٩ م وبعد حرب شليزفيغ الثانية في عام ١٨٦٤ م، أجبرت الدنمارك على التنازل عن شليزفيغ وهولشتاين لصالح بروسيا، وبعد ذلك عادت الدنمارك الى سياستها الحيادية المعهودة، وأستمرت كذلك خلال الحرب العالمية الاولى.³⁸⁰

379 - Busck, Steen and Poulsen, Henning: Danmarks historie, 2002

380 - parker: مصدر سابق

بعد هزيمة المانيا في الحرب العالمية الاولى، عرضت قوى الحلفاء في فرساي عودة منطقة شليزفيغ هولشتاين الى الدنمارك، لكن الدنمارك وخوفا من المطامع الألمانية رفضت النظر في عودة المنطقة وأصررت على إجراء إستفتاء بشأن ذلك في شليزفيغ، جرى الاستفتاءان في شليزفيغ في ١٠ فبراير و١٤ مارس عام ١٩٢٠م على التوالي، في ١٠ يوليو ١٩٢٠ وبعد الاستفتاء وتوقيع الملك على وثيقة لم الشمل، عبر الملك كريستيان العاشر الحدود القديمة ممتطيا حصانا ابيض، وأستردت الدنمارك شمال

شليزفيغ (سوندريلاند) مضيئة بذلك ١٦٣,٦٠٠ نسمة، و ٣٩٨٤ كم مربع الى البلاد، يحتفل بيوم إعادة التوحيد كل عام في ١٥ يونيو،

غزت القوات الالمانية الدنمارك في الحرب العالمية الثانية ٩ أبريل ١٩٤٠ في عملية عرفت بأسم تدريب فيسر واستغرق الامر ساعتين فقط من المقاومة العسكرية قبل ان تستسلم الحكومة الدنماركية، استمر التعاون الاقتصادي بين المانيا والدنمارك حتى عام ١٩٤٣م، عندما رفضت الحكومة الدنماركية المزيد من التعاون وأغرقت معظم سفنها وأرسلت أكبر عدد من ضباطها الى السويد المحايدة، خلال الحرب ساعدت الحكومة الاقلية اليهودية الدنماركية، وقامت المقاومة الدنماركية بعملية أنقاذ تمكنت عبرها من نقل معظم اليهود الدنماركيين الى السويد قبل وقت قصير من بدء الألمان محاصرتهم، قامت المقاومة بالعديد من العمليات الداخلية أو عمليات تخريب ضد المنشآت الالمانية، وقطعت آيسلندا روابطها بالدنمارك وأصبحت جمهورية مستقلة، وفي عام ١٩٤٨م نالت جزر فارو الحكم الذاتي، وبعد الحرب اصبحت الدنمارك واحدة من الأعضاء المؤسسين للأمم المتحدة ومنظمة حلف شمال الأطلسي وانضمت الى السوق الأوروبية المشتركة (الاتحاد الاوروبي حاليا) في عام ١٩٧٣م الى جانب بريطانيا وأيرلندا بعد استفتاء عام، وتم التصديق على معاهدة ماستريخت بعد أستفتاء آخر أجري في عام ١٩٩٣م ولاحقا تم التوقيع على اتفاق أدنبره الذي ضم تعديلات على معاهدة ماستريخت خاصة بالدنمارك، ونالت جرينلاند في عام ١٩٧٩م الحكم الذاتي ومنحت حق تقرير المصير في ٢٠٠٩م، جرينلاند وجزر فارو ليستا اعضاء في الاتحاد الاوروبي وعضوية جزر فارو في السوق الأوروبية المشتركة منذ ١٩٧٣م وجرينلاند منذ عام ١٩٨٦م في تراجع وفي

كلتا الحالتين بسبب سياسات مصايد الاسماك، فأصبح أندرس فوغ راسموسن رئيس الوزراء الدنماركي السابق ، الامين العام لحلف شمال الاطلسي في ٢٠٠٩م^{٣٨١} وعلى الرغم من حجمها المتواضع كانت مشاركة الدنمارك رئيسية في العمليات العسكرية والانسانية، وأبرزها العمليات بقيادة الامم المتحدة ومنظمة حلف شمال الاطلسي في قبرص والبوسنة والهرسك وكوريا ومصر وكرواتيا وكوسوفو وإثيوبيا والعراق وأفغانستان والصومال.

الفصل الثاني

نظام الحكم والنظام الاقتصادي في الدنمارك

وفي هذا الفصل سأتناول نظام الحكم السياسي وكذلك النظام الاقتصادي في الدنمارك وكالاتي:

المبحث الأول : نظام الحكم في الدنمارك

في نهاية القرن العاشر توحدت الدنمارك تحت حكم ملك واحد، ولذا تعد أقدم مملكة في أوروبا، وقد أصبح حكم الدنمارك حكماً ديمقراطياً لأول مرة في عام ١٨٤٩م، وفي عام ١٩٠١م أدخل النظام البرلماني عملياً وقانونياً، وقد عدل النظام البرلماني في القانون الاساسي للدولة عام ١٩٥٣م، ووفقاً لهذا القانون فإن السلطة السياسية والقانونية تكون في قبضة الحكومة والبرلمان، وأستناداً لهذه المبادئ البرلمانية يجب أن تحصل الحكومة على موافقة أغلبية أعضاء البرلمان حتى تستطيع الاستمرار في الحكم. ويتضمن نظام الحكم في الدنمارك النظم التالية:

***- الديمقراطية التمثيلية**

تعد الدنمارك ديمقراطية تمثيلية وتتخذ القرارات الأكثر أهمية من قبل سياسيين منتخبين ديمقراطياً في البرلمان الدنماركي، والمجالس الإقليمية، والمجالس البلدية، وتستند الديمقراطية في الدنمارك الى الدستور الدنماركي الصادر عام ١٨٤٩م، وقد خضع الدستور لعدة تعديلات على مر السنوات، كما في عام ١٩١٥م، على سبيل المثال، عندما منحت النساء حق التصويت، ويرجع تاريخ الدستور الحالي الى عام ١٩٥٣م، ولكن العديد من مبادئه بقيت كما كانت في الاصل دون تغيير.

***- الحقوق الدستورية**

يتضمن الدستور الدنماركي القواعد الاساسية لكيفية حكم الدولة وضمان عدد من الحقوق والحريات الاساسية لمواطني البلد، يضمن الدستور الدنماركي حق الملكية الخاصة وحرية ممارسة الشعائر الدينية، وحرية تكوين الجمعيات، وحرية التظاهر، وحرية التعبير سواء الكتابي منه أو الشفهي، أو أي شكل آخر من أشكال التعبير. وتعني حرية التعبير في الدنمارك حرية اي فرد في نشر ما يشعر به وما يعتقد، ولكن مع إيلاء الاعتبار الواجب للمحاكم والقوانين بصفة عامة، فمن الممكن

أن تحاكم لإهانة شرف شخص ما أو مخاطبة الآخرين بطريقة تهديدية أو مهينة، ومن ذلك على سبيل المثال، مايتعلق بمعتقداتهم أو اصولهم العرقية.

*- رأس الحكم في الدنمارك

حكومة الدنمارك هي حكومة ملكية، وقد توالى ملوك وملكات عديدون على الحكم وتعتبر الان صاحبة السمو الملكي الملكة مارجريت الثانية هي ملكة الدنمارك منذ عام ١٩٧٢، وتتمتع العائلة الملكية الدنماركية بشعبية كبيرة بين الشعب، ويحرص العديد من الناس على متابعة خطاب العام الجديد الذي تلقيه ويبث على الاذاعة والتلفزيون في ٣١ ديسمبر في الساعة السادسة مساءً.

تعد الملكية الدنماركية أقدم ملكية في العالم، فعلى مدى مايزيد على ١٠٠٠ عام توالى على الدنمارك ملوك وملكات وأمراء وأميرات، ولا تتولى الأسرة المالكة في الدنمارك أية سلطة سياسية ولكنها تشارك في الحياة العامة بطرق متنوعة وتمثل الدنمارك في الخارج.

بني القانون العام (الدستور) للدولة على مبدأ تقسيم السلطة الى ثلاثة أقسام هي: ٣٨٢

١- السلطة التشريعية.... يعمل البرلمان الوطني الدنماركي (Folketinget) على مناقشة القوانين وسنها، ويتكون البرلمان الدنماركي من ١٧٩ عضوا يتم اشتراكهم في البرلمان عن طريق الانتخاب العام الذي يشترك فيه كل مواطن دنماركي كامل الاهلية ويبلغ من العمر ١٨ عاما، ومدة الدورة البرلمانية العادية أربع سنوات، ومن هذا المنطلق نجد أن الحياة الديمقراطية تطبق في الدنمارك على نحو غير مباشر من خلال ممثلي الشعب في البرلمان. وينتخب عضوان في البرلمان عن غرينلاندا وعضوان آخران عن جزر فارو، ويتألف المجتمع المدني الدنماركي من البرلمان والبلديات المدنية المتعددة والمنظمات الشعبية والتي تمثل قطاعات الشعب المحلية والنقابات. وجميع المناقشات البرلمانية مفتوحة للجمهور ويمكن لأي شخص الاتصال بالسياسيين، وتتابع وسائل الاعلام المناقشات عن كثب وتناقشها،

٢- السلطة التنفيذية: وهي رئاسة الدولة وتتألف من وزارات تمثل حزبا سياسيا واحدا أو أكثر، ويقود الحكومة رئيس الوزراء ولكل وزير نطاق مسؤوليته الخاص،

382- رحاب أحمد صالح. د. المملكة الدنماركية- وزارة الاعلام- مديرية الرقابة- دمشق. ٢٠٠٧. ص ٨٤- ٨٥.

وتشكل الوزارات مع مؤسساتها ذات الصلة " الدولة "، وتشكل الدولة مع مختلف السلطات الإقليمية والبلدية " السلطة التنفيذية " التي يشار إليها باعتبارها الجهاز الإداري للدولة، ويقوم كل من الحكومة والجهاز الإداري للدولة بصياغة القوانين الوضعية وتطبيقها.

٣- السلطة القضائية.... تتكون السلطة القضائية في الدنمارك من :

* - محاكم مستقلة : تتمتع المحاكم الدنماركية باستقلالية تامة، ولا يمكن للحكومة أو البرلمان ان يملّي على المحاكم ما يجب عليها فعله في قضية ما، ويتألف النظام القضائي من محكمة نقض، ومحكمتين عليين، و٢٤ محكمة إقليمية، وإضافة الى ذلك ثمة محاكم خاصة تتناول مجالات محددة، وينطبق ذلك على سبيل المثال، على المحكمة الصناعية الدنماركية والمحكمة البحرية والتجارية الدنماركية، والمحاكم الإقليمية، والمحاكم العليا، وكقاعدة عامة تنظر القضايا أولاً في المحاكم الإقليمية، ويمكن إستئناف أحكام المحكمة الإليمية أمام المحكمة العليا.

* - محكمة النقض.... محكمة النقض هي أعلى محكمة في البلد، وتعد محكمة النقض محكمة إستئناف ويعني ذلك أنها تتعامل مع قضايا الاستئناف من إحدى المحاكم العليا، ولا يمكن الطعن في أحكام محكمة النقض.

* - المحكمة الخاصة للأستئناف النهائي.... يمكن إستئناف أحد الأحكام أمام المحكمة الخاصة للأستئناف النهائي إذا رغب شخص ما في إعادة فتح قضية جنائية، وربما يلجأ الى ذلك في حالة ظهور دليل جديد في قضية سبق إغلاقها.

٤- التقسيمات الادارية

تنقسم الدنمارك الى ٩٨ سلطة بلدية، لكل منها مجلسها البلدي وعمدتها المنتخبين ديمقراطيا وتعد انتخابات المجلس البلدي كل اربع سنوات حيث تؤدي السلطات البلدية عددا من الواجبات في المناطق المحلية وذلك في حدود التوجهات المحددة من قبل البرلمان، فمن واجب السلطات البلدية على سبيل المثال توفير مراكز رعاية نهارية،

ومدارس، ومراكز رعاية للمسنين، وانشاء طرق، وضمان إطار مناسب للأنشطة الثقافية في المناطق المحلية، كما تساعد السلطات البلدية أيضا المواطنين الأجانب

المقدمين على الأستقرار في الدنمارك على الانخراط في حياتهم الجديدة في الدنمارك، ولو جزئيا عن طريق إعطائهم دروسا في اللغة الدنماركية وتقديم معلومات عن المجتمع الدنماركي.³⁸³ وندرج تحت بند التقسيمات الادارية مايلي:

*- مجلس الإدماج

يمكن للسلطات البلدية إنشاء مجالس إدماج وتمثل مهمة تلك المجالس في تقديم المشورة للسلطات البلدية بشأن طرق تفعيل مشاركة المواطنين الجدد والأقليات العرقية في المجتمع المحلي، وتخطر السلطة البلدية التي تتبعها عما اذا كان لديها مجلس ادماج، كما يمكن ان تشجع السلطة البلدية التي تتبعها على انشاء مجلس إدماج، تنتخب مجالس الإدماج المحلي ممثلين يمثلونها في المجلس الوطني للأقليات العرقية، الذي يقدم المشورة للحكومة.

*- الاقاليم

تنقسم الدنمارك الى خمسة أقاليم، يحكم كل إقليم ديمقراطيا بواسطة مجالس إقليمية منتخبة تنتخب كل أربع سنوات، وتعد الاقاليم مسؤولة عن المستشفيات والنقل الجماعي والتخطيط الإنمائي الإقليمي.

يحق لأي شخص بلغ 18 عاما التصويت وأن يخوض الانتخابات البلدية، ويحق للمواطن من احدى البلاد خارج الاتحاد الاوروبي ومنطقة الشمال الاوروبي فان هذا ينطبق فقط اذا كان الشخص المقيم في الدنمارك يحمل إقامة دائمة فيها في السنوات الثلاث السابقة على الانتخابات، ويجب ان يكون المواطن دانماركيا او اجنبي يحمل الجنسية الدنماركية للمشاركة في الانتخابات العامة والاستفتاءات الوطنية. ويمكن لمواطني الاتحاد الاوروبي المقيمين في الدنمارك التصويت في الانتخابات البرلمانية الاوروبية، سواء هنا في الدنمارك او في بلدانهم الاصلية.³⁸⁴

يحصل جميع المؤهلين للتصويت على بطاقة اقتراع خاصة بالانتخابات العامة والاستفتاءات الوطنية، وتحدد بطاقة الاقتراع مكان وموعد التصويت، فأن ادلاء الاصوات من شأنه ان يساعد على تشكيل المجتمع الدنماركي والحياة اليومية في

383 - www.akhbar.dk صحيفة أخبار الدنمارك

384- كتيب من وزارة الخارجية الدنماركية

الدنمارك، علماً بأن للدنمارك تراثها فيما يتعلق بارتفاع نسبة المشاركة التصويتية في الانتخابات.^{٣٨٥}

يوجد في الدنمارك العديد من الاحزاب السياسية التي تطرح مرشحين في الانتخابات السياسية وفي حال ما اذا كان الشخص يريد التأثير على عملية اختيار المرشح فيجب عليه ان يصبح عضواً في اي حزب سياسي، وفي الانتخابات الاقليمية والبلدية يمكن للقوائم الحزبية المشتركة والقوائم الخاصة للمستقلين أن تطرح ايضاً مرشحين.

*- مجتمع قائم على سيادة القانون

يعد الدنمارك مجتمعاً ديمقراطياً قائماً على سيادة القانون، ويعني ذلك ان الحكومة والجهاز الاداري للدولة بما في ذلك الشرطة يخضعون للرقابة الديمقراطية، وأن المحاكم تتصرف بأستقلالية عن الحكومة، ويتمتع جميع المواطنين بحقوق وحرريات أساسية ويلتزمون بأحترام القانون، ولجميع المواطنين الحق في المعاملة بالشكل المناسب ووفقاً للقانون من جانب السلطات الادارية والمحاكم، ويقع على عاتق موظفي السلطة العامة واجب الالتزام بالسرية، وكقاعدة عامة يعني ذلك أن المعلومات الشخصية لن تعطى إلا لصاحب العمل الذي يعمل به، او للطبيب بناء على موافقة مسبقة. ويحق لأي شخص الاطلاع على سجلاته الخاصة، وفي العادة عندما يتقدم الشخص للاطلاع على السجلات سيتم اخطاره بالمعلومات التي تضمها سجلات وثائقه.^{٣٨٦}

ينتخب محقق الشكاوى من قبل البرلمان ويبحث في المسائل المتعلقة بالأخطاء أو الأهمال من جانب الجهاز الأداري للدولة، ويعد محقق الشكاوى مستقلاً عن الحكومة ويمكنه أن يبدأ تحقيقاً من نفسه، ويمكن لأي شخص الاتصال بمحقق الشكاوى إذا اعتقد أن السلطة قد ارتكبت خرقاً لإحدى القواعد أو وقعت في خطأ إداري ولكن يجب استنفاد جميع وسائل الشكاوى الأخرى أولاً، وتعد الخدمة المقدمة من محقق الشكاوى مجانية لجميع المواطنين.^{٣٨٧}

385- نفس المصدر

386- كتيبات في بلدية فيبورك

387- نفس المصدر

٥- العلاقات الخارجية للدنمارك

ترتبط الدنمارك بالعديد من الروابط الدولية، فالدنمارك عضو في الاتحاد الاوروبي، ومجلس اوروبا، والامم المتحدة، ومنظمة حلف شمال الاطلسي " الناتو"، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، ومنظمة الصحة العالمية.

وقعت الدنمارك على العديد من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الانسان، ومنها على سبيل المثال إتفاقية الامم المتحدة لمكافحة التعذيب، واتفاقيتها لمكافحة جميع أشكال التمييز العنصري، وجميع أشكال التمييز ضد المرأة، واتفاقيتها الخاصة بحقوق الأطفال. وبوصفها عضوا في مجلس أوروبا، انضمت الدنمارك الى الأتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان وضمنتها القانون الدنماركي.^{٣٨٨} وهذه العلاقة تقع ضمن:

*- الأتحاد الأوروبي

أصبحت الدنمارك عضوا في الأتحاد الأوروبي في عام ١٩٧٣م، ومنذ ذلك الحين إزداد تأثير الأتحاد الاوروبي في العديد من المجالات، حيث أثر الى حد كبير على قوانين الدول الاعضاء بها، حيث تتعاون الدول الاعضاء من بين أشياء أخرى، في مجالات البيئة، وقضايا المستهلكين، والتجارة الحرة في السوق المشتركة، وتشارك بعض دوله في عملة موحدة هي " اليورو "، ولكن الدنمارك ليست جزءاً من منطقة اليورو.^{٣٨٩}

*- الأمم المتحدة

وبوصفها عضواً في الأمم المتحدة " UN "، تلعب الدنمارك دوراً في مساعدة المحتاجين وتأمين السلام والتنمية في العالم، وتعزيز احترام حقوق الانسان.

الناتو ومنظمة التعاون والتنمية في المجال الاقتصادي

تعمل الدنمارك عن كثب في إطار التحالف العسكري، الناتو، والمنظمة الاقتصادية، ومنظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي، مع كل من كندا، والولايات المتحدة الأمريكية والعديد من البلدان الاخرى.

388- كتيب من بلدية فيبورك

389- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ١٩٩٩

***- التعاون الانمائي الدولي**

ترسل الدنمارك ٠,٨ % من اجمالي ناتجها المحلي لمشروعات التنمية مع البلدان الفقيرة في قارات مثل أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية. وتعطى المعونة المالية من خلال الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية ومن الدنمارك الى البلد المتلقي بصورة مباشرة، وتعطى المعونة على أساس التعاون الوثيق مع البلدان المتلقية حتى تتولى مسؤولية تنميتها الخاصة، ومن بين النقاط الاساسية في المعونة الدنماركية مساعدة الأشخاص الأشد فقرا، والمساواة بين الجنسين، وتعزيز الحكومات، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، والاهتمام بالبيئة وتحقيق الاستدامة.^{٣٩٠}

***- مساعدة اللاجئين**

تلعب الدنمارك دورها في مساعدة اللاجئين في العالم ويتم ذلك على سبيل المثال من خلال مهام حفظ السلام الدولية، والمساعدة في إعادة إعمار المناطق التي دمرتها الحروب، وإعادة توطين اللاجئين، وإعادة اللاجئين الى أوطانهم عندما تسمح الظروف بذلك.

ويتم إعادة توطين اللاجئين في المجتمعات القريبة من مناطق النزاع وفي الدنمارك، وفي كل عام تقدم الدنمارك إعادة التوطين الى ٥٠٠ لاجئ وفقا لاتفاقيتها مع مفوضية الامم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين " NUHCR"، وبالإضافة الى ذلك العدد تستقبل الدنمارك أعدادا متفاوتة من الاشخاص الذين يصلون الى البلد ويمنحون وضع اللجوء.^{٣٩١}

مصدر سابق www.akhbar.dk - 390

391- نفس المصدر

المبحث الثاني: النظام الاقتصادي

يعد اقتصاد الدنمارك من الاقتصاديات الحديثة، في كل مقوماتها، إذ يعتمد على قطاع زراعي مسلح بأحدث وسائل المكننة الزراعية، وقطاع صناعي يعتمد على الصناعات الصغيرة والكبيرة الحديثة، وتدابير حكومية موسعة، في مجالات الرعاية الاجتماعية ومستويات معيشية مرتفعة، إضافة إلى تجارة خارجية عريضة، وعملة مستقرة، وتعتمد الدنمارك كثيراً على التجارة الخارجية، وتتركز الصادرات الدنماركية في السلع الغذائية، والطاقة، وتتمتع البلاد بفائض في ميزان المدفوعات، وتعد مستويات المعيشة في الدنمارك من بين أعلى المعدلات في العالم، نتيجة لمتوسط دخل الفرد المرتفع من إجمالي الناتج المحلي، وإنخفاض مؤشر جيني، والاستقرار السياسي، ومزايا الرعاية الاجتماعية.

كذلك امتاز الدنمارك بأقتصاد قوي مع أنه بلد فقير في الموارد الطبيعية، ويحصل الدنمارك على بعض الغاز الطبيعي والنفط من الآبار الواقعة في بحر الشمال، ومع ذلك فلا بد للدنمارك من استيراد النفط باستمرار، وتشمل بعض منتجات الدنمارك المعدنية الأخرى كالصناعات، كما يستورد الفحم الحجري والحديد ومعظم المعادن الأخرى، وتفنقر غالبية التربة في الدنمارك إلى العناصر الغذائية مما يستوجب استخداماً مكثفاً للأسمدة، لتجعلها منتجة، والأرض في الدنمارك منبسطة ومتماوجة بشكل لطيف، لذلك لا يمكن استخدام الأنهار في توليد الطاقة الكهرومائية، وتغطي الغابات فقط عشر مساحة اليابسة تقريباً، وتمون أقل من نصف حاجة الدنمارك من الخشب تقريباً، وتوفر البحار التي تكاد تحيط بسائر أنحاء البلاد وسيلة رخيصة للنقل تستطيع الدنمارك من خلالها استيراد حاجاتها الصناعية وتصدير منتجاتها، وهذه البحار غنية أيضاً بالأسماك.³⁹²

تحولت الدنمارك بعد عام ١٩٤٥ من بلد زراعي إلى بلد صناعي، ولكن مازالت الزراعة تلعب دوراً مهماً في الاقتصاد الدنماركي، ٧٥% من أراضي البلاد مستغلة زراعياً، الثروة الحيوانية والألبان هي أهم المنتجات في هذا المجال، عوائد السياحة أصبحت تشكل عاملاً مهماً في تنمية اقتصاديات بعض مناطق الدنمارك، مليون سائح من إجمالي مليونين سنوياً من ألمانيا لوحدها، تصدر الدنمارك الطاقة ولدى

392- ويكيبيديا الموسوعة الحرة

ميزانيتها التجارية فائض مريح سنويا، حيث يقدر الفائض بأن يكون ٣٩ مليار كورونة دانماركية لعام ٢٠٠٦، ولدى البلاد اكتفاء ذاتي من النفط والغاز الطبيعي و طاقة الرياح، تصدر الدنمارك ايضا الكيماويات، والآلات، والأثاث، والادوية ومختلف المواد الغذائية المصنعة، ومن الصناعات الرئيسية في البلاد هي بناء السفن والكهربائيات، ومن بين الصناعات الكبرى المصدرة الى الولايات المتحدة الامريكية هي الآلات الصناعية والمنتجات الكيماوية والأثاث والمستحضرات الصيدلانية، ولحم الخنزير المعلب ولحم الخنزير، وطواحين الهواء، وكتل لعبة من البلاستيك " ليغو " ٣٩٣.

تمثلت أهم عشر صادرات ٧٠,٨% من اجمالي الصادرات الدنماركية الى الولايات المتحدة الامريكية في عام ٢٠٠٨، وأظهرت هذه الصادرات الى الويات المتحدة الامريكية نموا ايجابيا للدنمارك بنسبة ١٩,٩% و ٣,٢% على التوالي، بينما هناك ٥ فئات من المنتجات الاخرى أظهرت مكاسب تراوحت بين ٢,٦% الى ٦٤% وهذه الصادرات هي: ٣٩٤.

١- المولدات والمحولات... ١,٣ مليار دولار امريكي، بزيادة ١٦,٧% عن عام ٢٠٠٧,

٢- المستلزمات الطبية والمستحضرات الصيدلانية والاسنان ... ١,٢ مليار دولار بزيادة ٣,٢%.

٣- الاتصالات السلكية واللاسلكية معدات ... ٧١٢٨٠٠ مليون دولار، بزيادة ٦٤%.

٤- الاجهزة العلمية والطبية ومعدات المستشفيات .. ٣٤٦٢٠٠ مليون دولار، بزيادة ٢٦,٤%.

٥- محركات صناعية ... ٣٠٨١٠٠ مليون دولار، بزيادة ٣٧,٩%

٦- السلع المنزلية الاخرى بما في ذلك الساعات ... ٢٨٦٧٠٠ مليون دولار، بزيادة ٢,٦%.

- ٧- آلات صناعية أخرى ... ٢٦٢٣٠٠ مليون دولار، بأنخفاض ٨,٦%.
- ٨- التبغ والشمع والزيوت غير الغذائية ... ١٩٦٢٠٠ مليون دولار، بزيادة ٣٢,٤%.
- ٩- اللحوم والدواجن ... ١٧٠٨٠٠ مليون دولار، بأنخفاض ١١,٣%.
- ١٠- لعب الاطفال والسلع الرياضية بما في ذلك الدراجات .. ١٣٣٣٠٠ مليون دولار، بأنخفاض ٢٣,٣%.
- أما الواردات الدنماركية من الولايات المتحدة الامريكية وعلى الرغم من صغر هذه الواردات نسبيا فقد حققت نموا للاقتصاد الامريكي وكانت افضل عشر واردات للدنمارك من الولايات المتحدة الامريكية هي :
- ١- الاعلاف الحيوانية.. ٢٢٣٠٠ مليون دولار بزيادة ٣٣٤%
 - ٢- الحديد ومصنع للفولاذ ... ١١٦٠٠ مليون دولار، بزيادة ٢٥٢,٣%
 - ٣- المعادن الثمينة الاخرى... ٣٦٠٠ مليون دولار، بزيادة ٢٣٦,٧%
 - ٤- قوالب صب وورق الحائط ... ١٢٦٠٠ مليون دولار، بزيادة ٢٢٩,٩%
 - ٥- الاسماك والمحار... ٣٤٤٠٠ مليون دولار، بزيادة ١٥٧,٣%
 - ٦- منتجات الالبان والبيض... ١٢٨٠٠ مليون دولار، بزيادة ١٣٤,٦%
 - ٧- الغزل والنسيج والملابس والسلع المنزلية ... ٩٨٠٠ مليون دولار، بزيادة ١٢٤,٥%
 - ٨- الفحم والوقود ... ١٣٧٠٠ مليون دولار، بزيادة ١٢٠,٢%
- ومن ناحية اخرى صدرت امريكا الى الدنمارك مامقداره ٢٠٥١٠٠ مليون دولار قيمة طائرات مدنية عام ٢٠٠٨.
- هذا يدل على ان احصاءات التجارة الدنماركية مع الولايات المتحدة الامريكية لها مزايا خاصة وعلاقات تجارية حسنة.^{٣٩٥}

الخدمات

تشغل صناعة الخدمات أكثر من ٦٦% من القوى العاملة الدنماركية، وتشمل المدارس والمستشفيات والمحال والفنادق والمطاعم والخدمات الحكومية، وكذلك المصارف والتأمين والملكية الخاصة والنقل والاتصالات.

التصنيع

تطور التصنيع بسرعة منذ منتصف القرن العشرين وقد حل محل الزراعة كثاني أوسع نشاط اقتصادي للبلد، وقامت الحكومة بتشجيع التصنيع عن طريق توسيع البرامج التعليمية لتدريب المهندسين والفنيين والعمال المهرة، ويتمركز نصف التصنيع الدنماركي تقريبا في العاصمة كوبنهاغن، وتنتج المصانع الدنماركية بضائع ذات جودة عالية، وتشمل أجهزة الصوت المجسم وأجهزة التلفاز والأثاث والخزف الصيني والأواني الفضية، ومن بين المنتجات الأخرى في الدنمارك محركات الديزل ولاآلات وصناعة الأدوية المعلبة بأنواعها والسفن والنسيج والملابس والألبان.

الزراعة

تشكل المزارع نحو ثلثي إجمالي مساحة الدولة، وتغطي المزارع مايقارب ٤٠ هكتار في المتوسط، وحتى الثمانينات من القرن التاسع عشر كان القمح يشكل أهم محصول زراعي للدنمارك، ثم انخفضت أسعار القمح وبدأ المزارعون الدنماركيون يركزون على إنتاج البيض والحليب، ونظموا مصانع تعاونية للزبدة والألبان والمسالخ، وتقاسموا التجهيزات والأرباح، وتغطي التعاونيات في الوقت الحاضر سائر فروع الزراعة.

وأصبحت تربية الماشية المنتجة للحم أو الألبان هي النشاط الرئيسي في معظم المزارع الدنماركية، وتستخدم معظم الحاصلات علفاً للدواب وتشمل الشعير والبطاطس وبنجر السكر واللفت" وهي نبتة ذات أوراق" ويزرع الشعير في أراضي المزارع أكثر من أي محصول آخر في الدنمارك وتصدر حوالي ٦٠% من منتجات المزارع الدنماركية في شكل لحوم ومنتجات البان.

صيد الاسماك^{٣٩٦}

تصطاد سفن الصيد الدنماركية حوالي مليوني طن متري من السمك سنويا، وأهم أنواعها هي القد والرنجة وسمك البوت وسمك الرماح الرملية والإسبرط والبياض. ويؤخذ أكثر من نصف الصيد من بحر الشمال ويعتبر " إسبجرج " ميناء الصيد الرئيسي للدنمارك.

الطاقة

تقنيات صناعة طاقة الرياح الحديثة بدأت في عام ١٩٧٩ مع بداية إنتاج توربينات الرياح من جانب عدد من المصنعين الدنماركيين أمثال (Kuriant, Vestas, Nordtank, and Bonus)، وكانت التوربينات المصنعة في ذلك الوقت تعتبر صغيرة قياسا بالحجوم المصنعة اليوم، حيث كانت قدراتها من ٢٠ الى ٣٠ كيلو واط، الطاقة الكهربائية المنتجة من توربينات الرياح عادة تجمع على نطاق واسع من عدد كبير جدا من التوربينات الهوائية وتربط بالشبكة الكهربائية الرئيسية، وهذه تعرف بمزارع الرياح في حين تستخدم توربينات الرياح الفردية لتوفير الكهرباء للأماكن المعزولة، أما طواحين الهواء الصغيرة فتستخدم مباشرة كطاقة ميكانيكية لرفع المياه أو لطحن الحبوب، لقد حصل نمو كبير جدا في انتاج الطاقة من الرياح بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٧، حيث ازدادت الطاقة الكهربائية المنتجة عالميا من توربينات الرياح من نحو ١٨ كيكواواط الى تقريبا ٩٥ كيكواواط خلال هذه الفترة، وهذه تمثل زيادة مقدارها أكثر من خمسة أضعاف، وعلى الرغم من ان الرياح تنتج نحو ٢% من مجموع الطاقة الكهربائية المنتجة في العالم فقط، إلا انها تمثل نحو ١٩% من انتاج الكهرباء في الدنمارك، و٩% في كل من اسبانيا والبرتغال، و٦% في كل من المانيا وايرلندا.^{٣٩٧}

ويدعي مصنعوا التوربينات الهوائية بأن أثرها في الحياة البرية قليل مقارنة بغيرها من أشكال النشاط البشري والصناعي، لكن مع ذلك هناك بعض الآثار السلبية في السكان والبرية ينبغي النظر فيها بجدية في مرحلة التخطيط لبناء محطات الطاقة الهوائية، فعلى سبيل المثال مستوى الضوضاء التي تنتج عن التوربينات الهوائية هي

396 - Busck, Steen and Poulsen, Henning- grundtræk. Århus Universitetsforlag, 2002

397 - www. Opec.org الدكتور نعمت ابو الصوف: طاقة الرياح ... ثمة سلبيات

من المشكلات التي لا يمكن التغاضي عنها، فالضوضاء التي تصدر من طاحونة واحدة أو من مزرعة رياح لمدة ٢٤ ساعة متواصلة عالية وصاخبة جدا، والتحدي الأكبر لطاقة الرياح هو عدم قدرتها على تزويد قطاع النقل بالطاقة، وهذا يعني أن قطاع النقل سيظل يعتمد على النفط.^{٣٩٨}

نجحت الحكومة الدنماركية في الوفاء ، بل تجاوزت معايير التحول الاقتصادي للمشاركة في المرحلة الثالثة (العملة الاوروبية الموحدة) من الاتحاد النقدي الأوروبي، ولكن الدنمارك أكدت مجدداً في استفتاء جرى في سبتمبر من عام ٢٠٠٠م، قرارها بعدم الانضمام الى الاتحاد الأوروبي في استخدام العملة الأوروبية الموحدة، اليورو، بيد أن العملة الدنماركية لا تزال مربوطة باليورو.

وبعد فترة طويلة من اقتصاد استهلاكي ثابت، حيث أكتسب النمو الاقتصادي زخما عام ٢٠٠٤م، واستمر نموه خلال عام ٢٠٠٦م، بدأ اقتصاد الدنمارك بالتراجع بداية عام ٢٠٠٧م، بعد الانتهاء من طفرة العمران، وقد زاد من حدة هذا التباطئ تفاقم الازمة الاقتصادية المالية العالمية عام ٢٠٠٨م، حيث زادت الدنمارك من قروضها الخارجية، مع قلة الطلب على صادراتها، إضافة الى تراجع الاستثمار وضعف ثقة المستهلك. وأما القضية المستقبلية طويلة المدى التي تشغل الحكومة هو النقص الحاد في العمالة والذي يحدث عند إحالة عدد كبير من العمال الى التقاعد.

بيانات إحصائية للأقتصاد الدنماركي^{٣٩٩}

١- الناتج المحلي

أ- إجمالي الناتج المحلي: ١٣٦,٢ بليون دولار، طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٢٠٣,٧ بليون دولار طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

ب- معدل النمو الحقيقي: ٢,٨%، طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

١,٨%، طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

ج- متوسط دخل الفرد: ٢٥٥٠٠ دولار، طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٣٧,٤٠٠ دولار، طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

٢- نسبة مساهمة القطاعات المختلفة في إجمالي الناتج المحلي

*- الزراعة: ٣% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

١,٥ % طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

*- الصناعة: ٢٥% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٢١% طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

*- الخدمات: ٧٢% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٧٦% طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

٣- إجمالي القوى العاملة: ٢٨٥٦٠٠٠ عامل طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٢٨٦٠٠٠٠ عامل طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

توزيعها: ١

١- الزراعة: ٤% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٣% طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

٢- الصناعة: ١٧% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٢١% طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

٣- الخدمات: ٧٩% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٧٦% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٤- معدل البطالة:

٣,٥%, طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

٢,٨% طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

٥- الموازنة:

أ- الإيرادات: ٥٢,٩ بليون دولار طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

١٧٢,٦ بليون دولار طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

ب- النفقات: ٥١,٣ بليون دولار، بما فيها النفقات الراسمالية البالغة ٥٠٠ مليون

دولار، طبقا لتقديرات ٢٠٠١

٦- معدل التضخم: ٢,٦% طبقا لتقديرات ٢٠٠٠

١,٧% طبقا لتقديرات ٢٠٠٧

٧- الكهرباء:

أ- الانتاج: ٤٣,٣٥ بليون كيلو واط/ ساعة طبقا لتقديرات ٢٠٠٦

ب- الاستهلاك: ٣٤,٠٢ بليون كيلو واط / ساعة طبقا لتقديرات ٢٠٠٥

ج- الصادرات: ١٣,٧٢ بليون كيلو واط / ساعة طبقا لتقديرات ٢٠٠٦

د- الواردات: ٦,٧٧ بليون كيلو واط / ساعة طبقا لتقديرات ٢٠٠٦-

٨- النفط : طبقا لتقديرات عام ٢٠٠٦

أ- الانتاج: ٣٤٢٠٠٠ برميل يوميا

ب- الاستهلاك: ١٧١٠٠٠ برميل يوميا

ج- صادرات النفط: ٣٢٠٠٠٠ برميل يوميا

د- واردات النفط: ١٦٤٠٠٠ برميل يوميا

هـ- الاحتياطي المحقق: ١٣٢٨٠٠٠ برميل

٩- الصادرات

أ- القيمة الاجمالية للصادرات:

١٠١,٢ بليون دولار، طبقا لتقديرات عام ٢٠٠٧

ب- أهم الصادرات: الآلات والأدوات-

اللحوم ومنتجاتها- منتجات الألبان- السمك- الادوية- الأثاث- طواحين الهواء.

ج- أهم الدول المستوردة: المانيا ١٧,٣%- السويد ١٤,٥%- المملكة المتحدة ٨%-

الولايات المتحدة الامريكية ٦,١%- النرويج ٥,٧%- فرنسا ٤,٩%- هولندا

٤,٨%- طبقا لتقديرات عام ٢٠٠٦,

١٠- المساعدات الاقتصادية التي تمنحها الدنمارك:

قدمت الدنمارك مساعدات تنمية رسمية قدرها بليون و ٦٣٠ مليون دولار في

عام ١٩٩٩، و ٢,٢٣٦ بليون دولار في عام ٢٠٠٦.

١١- الاحتياطي من العملة الصعبة والذهب:

٣٤,٣٢ بليون دولار، طبقا لتقديرات ٢٠٠٦

١٢- الدين الخارجي:

٤٩٢,٦ بليون دولار طبقا لتقديرات عام ٢٠٠٧

١٣- الاستثمارات الأجنبية في الداخل:

١٤٩,٨ بليون دولار طبقا لتقديرات عام

١٤- الاستثمارات الاجنبية في الخارج

١٦٨,٢ بليون دولار، طبقا لتقديرات عام ٢٠٠٧

جدول رقم (٤) يبين عدد العاطلين عن العمل من كلا الجنسين من عام ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨

السنة	الرجال	النساء	معدل البطالة %
٢٠٠٣	٧٥,٧٥	٨١,٧٥	٥,٥٢
٢٠٠٤	٧٩,٧٥	٨٢,٧٥	٥,٦٧
٢٠٠٥	٦٩,٢٥	٧٣,٧٥	٤,٩٧
٢٠٠٦	٥٣,٢٥	٦٤,٥	٤,٠٥
٢٠٠٧	٥٥	٥٩,٢٥	٣,٩٧
٢٠٠٨	٤٤	٥٢,٣٣	٣,٣

المصدر: دائرة الاحصاء الدنماركية

جدول رقم (٥) يبين عدد العاملين من كلا الجنسين من عام ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨

السنة	الرجال	النساء	معدل العمالة
٢٠٠٣	١,٤٤٦,٧٥	١,٢٤٤,٧٥	٧٣,٣٢
٢٠٠٤	١,٤٥١,٧٥	١,٢٦٨,٢٥	٧٣,٩٥
٢٠٠٥	١,٤٥٦,٢٥	١,٢٧٦,٧٥	٧٤,١٥
٢٠٠٦	١,٤٧٤,٥	١,٣٠٤,٢٥	٧٥,٣٢
٢٠٠٧	١,٤٧٥,٧٥	١,٣٠٢,٧٥	٧٤,٩٧
٢٠٠٨	١,٤٩٩,٠٠٠	١,٣٢٦,٣٣	٧٥,٦٦

المصدر: دائرة الاحصاء الدنماركي

جدول رقم (٦) يبين عدد العاملين في القطاعات الاقتصادية المختلفة من كلا الجنسين لعام ٢٠٠٨

العدد	أسم القطاع
٨٣٠٠٠	الزراعة وصيد الاسماك والمحاجر
٤٣٩٠٠	الصناعة
٣٨٥٠٠٠	التمويل والخدمات التجارية
١,٠٤٨,٠٠٠	القطاع العام والخدمات الشخصية
٤٠٠٠	نشاطات اخرى

المصدر: دائرة الاحصاء الدنماركي

الفصل الثالث

نظام الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك- الواقع والآفاق

تختلف سياسات الرفاهية والاجتماعية في ما بين الدول الرأسمالية في الغرب، على رغم أن الهدف في كل هذه الدول هو: تقليل التفاوت في ما بين فئات المجتمع، ومحاربة الفقر، وتحقيق درجة معينة من العدالة الاجتماعية، لكن تتباين النظم والمؤسسات والوسائل في هذا الميدان، كما ان الآثار الاجتماعية والسياسية تتباين هي الاخرى في ما بين هذه البلدان، فبعض هذه النظم ومن خلال سياسات الرفاهية، تعيد صياغة هوية الافراد، وتخلق مصالح مشتركة في ما بين الفئات الاجتماعية، لتؤدي في نهاية المطاف الى تحالفات سياسية تدعم سياسات الرفاهية أو تضعفها.

صنفت دول الرفاهية الاجتماعية في الغرب الى أنماط متعددة⁴⁰⁰.. نمط المتبقي، حيث تتدخل الدولة حين تفشل الوسائل الأخرى (العائلة، الأقارب، الجيران، زملاء العمل) بتدبير الحاجة، وفي هذا النمط يكون حضور الدولة مسألة مؤقتة بالنسبة الى حياة المواطن، أما النمط الثاني فهو المؤسسي الذي تقدم فيه عناصر الرفاهية (العناية بالأطفال، التعليم، العناية الصحية، العناية بكبار السن، التقاعد، خدمات النقل للكبار والمعاقين) التي هي حقوق يتمتع بها الجميع، فحضور الدولة بحسب هذا النمط هو دائم ولكافة المواطنين.

وفي هذا الفصل سأتناول نظام الرفاهية في الدنمارك بأعتبره يطبق النمط الشامل والذي يقوم على اساس شمول كافة المواطنين بعناصر الرفاهية وضمن ثلاث مباحث وكما يلي:

المبحث الاول: يتضمن واقع الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك

المبحث الثاني: يتضمن مقارنة بين الرفاهية في الدنمارك والنرويج

المبحث الثالث: يتضمن آفاق دولة الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك

⁴⁰⁰- Richard M.Titmuss, The Role of social Welfare, pp. 254-268

المبحث الاول: واقع الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك

عادة ما يطلق على الدنمارك بلد الرفاهية، وقد ظهر هذا اللقب وانتشر من كتب الأشعار، فالراهب الدنماركي والسياسي نيكولاي فريدريك " ١٧٨٣-١٨٧٢ " كتب في أغنية عن الدنمارك " أن البلاد قطعت شوطا كبيرا، فقلة من الشعب تمتلك الكثير من الموارد، وقلة أخرى أصغر منهم يمتلكون القليل " فهذه العبارة تصف بدقة النموذج الدنماركي للرفاهية وتعتبر " شهادة ميلاد للدنمارك " بما تحمله من معاني جعلت الدنمارك تستحق هذا اللقب. وتكمن الطريقة التي انتزعت بها الدنمارك هذا اللقب هو ، أن الدنمارك أوجدت توازناً في توزيع ثرواتها بين الرأسمالية الخاصة من ناحية، وهي التي تمكن أصحاب الطموحات والأفكار من تنفيذ مشاريعهم، وبين وجود شبكة ضمان اجتماعي من ناحية أخرى تعمل على حماية الفئة الضعيفة في المجتمع، ولهذا السبب ذاته تعتبر الدنمارك من أقل بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التي تعاني من فروق اقتصادية بين طبقات مجتمعاها،

فمن الملك حتى المتسول كما يقول كانغاس وبالمية تشمل برامج الرفاهية الاجتماعية جميع مواطني البلد، حيث بدأت متواضعة منذ أواخر القرن التاسع عشر بفضل التحالف بين العمال الزراعيين والعمال الصناعيين، وتطورت بعد الحرب العالمية الثانية، لتصبح شاملة، بفضل التحالفات بين البرجوازية المتوسطة والعمال والفلاحين، هذه السياسة الاجتماعية أصبحت أيضا مكونا أساسيا من التكامل السياسي لبلدان الدول الاسكندنافية وتنسيق شروط سوق العمل المشتركة فيها، فبرامج الرفاهية ومستوى الضرائب يتفاعلان مع التغيرات التي يشهدها سوق العمل، هذا التوسع في البرامج الشاملة يضم:

١- نظام التقاعد الأساس: بعد الحرب

العالمية بدأت برلمانات مختلف البلدان الاسكندنافية بالتخلص من أنظمة التقاعد السابقة، حيث هذا النظام يضمن تقاعد أساس لكل المواطنين من كبار السن، ثم تضاف مبالغ وفقا لسنوات الخدمة، هذا التطور هو استجابة للتطور الاقتصادي الذي شهدته هذه البلدان، حيث أصبحت في منتصف الثاني من القرن أكثر تصنيعاً، مع تزايد أعداد العاملين برواتب والعاملين بالخدمات، هذا في الوقت الذي تناقصت فيه نسبة العاملين في القطاع الزراعي. هذه التغيرات البنوية في قوة العمل تطلبت

الاعتماد على النظام الشامل من أجل قيام نمطين من الرفاهية، أحدهما يعتمد التقاعد الوطني الضئيل، والآخر التقاعد المهني السخي الذي يقدم من قبل أصحاب العمل، كما أن نمط الإصلاح في سياسة التقاعد الشامل كان يستهدف خلق أوسع أساس سياسي لدعم الحماية الاجتماعية، لأنه يشمل الفلاحين والعمال الزراعيين والعمال الصناعيين بالنظام نفسه من الحماية، الى جانب شموله العمال اليدويين والعاملين برواتب في القطاعين العام والخاص على حد سواء.^{٤١}

والجدول رقم (٧) ادناه يبين اعداد المحالين على التقاعد المبكر والذين حصلوا على هذا النوع من التقاعد نتيجة العجز او المرض وعدم الاستطاعة بالمساهمة في سوق العمل ، ويشمل الرجال والنساء.

جدول رقم (٧) يبين عدد الحاصلين على التقاعد المبكر من عام ٢٠٠٨ - ٢٠١٢

العمر	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢
الرجال					
٤٩-٤٠	٧٥٦٤	٧٣٢٩	٧١١٥	٦٧٦٨	٦٤٦٥
٥٩-٥٠	١٠٠٤٨	٩٦٧٢	٩٣٧٣	٨٩٨٥	٨٦٩٨
٦٤-٦٠	٦٢٨٧	٥٩٨٧	٥٧٦٤	٥٤٥٠	٥١٣٨
النساء					
٤٩-٤٠	٦٥١٤	٦٢٦٨	٦٠٥٩	٥٧٢١	٥٤٣٥
٥٩-٥٠	١٠١٩٠	٩٨٥٧	٩٥٧٥	٩٢٣٤	٨٨٨١
٦٤-٦٠	٦٢٢٨	٦١٤٩	٦١١٣	٥٩٩٥	٥٧٥٤

المصدر: الجهاز المركزي للأحصاء الدنماركي

٢- المدفوعات النقدية للبطالة وللمرض: حيث شهدت تطورا مهما بعد ان اتخذت أساسها القانوني، خصوصا بعد أن تقرر مستوى نسبتها من الأجر من ناحية، والفترة الزمنية التي بمقدور المريض أن يستفيد منها من ناحية ثانية، لكن الأهم في هذا الميدان هو كون تعويضات البطالة والمرضى مسألة تتعلق بالدولة، وليس بأرباب العمل، تدفع دولة الرفاه في الدنمارك التعويضات المرضية حتى من دون تقارير طبية مرضية في الاسبوع الأول من غياب العاملين، ثم يصبح التقرير الطبي الذي يثبت الحالة المرضية ملزما بعد ذلك، يبلغ التعويض ٩٠% وأحيانا ١٠٠% بالنسبة الى بعض التخصصات والمهن، وعلى

401401 - Joakim Palome, The Nordic Model and Modernization of Social Protection in Europe.1999-2000.

الرغم من التعديلات التي أجريت على هذه النسب مؤخرا، إلا أن هذه التعويضات لاتزال عالية بالنسبة الى مستوياتها في البلدان الأوروبية الأخرى، بيد ان نظام التعويضات المرضية هو من مسؤولية دولة الرفاهية في النمط الاسكندنافي، الامر الذي يجعل من هذا النظام وسيلة غير مكلفة لإعادة تأهيل العمل في أوقات الركود الاقتصادي من ناحية، وتحقيق زيادة الاستخدام المؤقت وتقليل نسبة البطالة من ناحية أخرى. يرى منتقدوا هذا النظام أنه يشجع على التهرب من العمل ويشيع الكسل⁴⁰²، في حين يرى مؤيدوه أنه يمثل العلاقة السليمة بين العمل والترويح التي تتقرر بشبكة معقدة من أنشطة دولة الرفاهية وبرامجها.⁴⁰³

٣- الخدمات الاجتماعية: تقدم

الدنمارك دعما شاملا على أساس المواطنة، فكل البرامج تؤكد أستقلالية المرأة، لأن دعم العائلة يدفع للأمهات بعكس ما هو قائم في باقي الدول الأوروبية، حيث يتمثل دعم الأطفال إما بمدفوعات للأباء مع الاجور، أو بسماحات ضريبية من دخولهم⁴⁰⁴، والواقع أدت برامج الدعم المتنوعة والشاملة الى تحولات جذرية بوضع العائلة الدنماركية، فالقليل من النساء يعتمدن على دخل أزواجهن، وفي الوقت نفسه زادت مشاركة الآباء في تربية الأطفال، من أجل ترسيخ علاقة أبوية حميمة معهم في صغرهم من ناحية، وتحقيق المساوات بين الجنسين في تحمل المسؤوليات من ناحية أخرى، فقدمت افضل مثال للتحويل من نمط العائلة التي تعتمد على الرجل المعيل، الى نمط ثنائي الإعالة، حيث أكتسبت المرأة، من خلال التعليم والمهارات والموارد التي تؤهلها للمساهمة في سوق العمل، إن التوسع في برامج رعاية الأطفال والمسنيين هي حوافز للنساء المتزوجات للدخول في سوق العمل المدفوع، فنظام الرعاية الاجتماعي ونظام الضرائب القائم على الأساس الفردي شجعا على نشوء نظام الإعالة الثنائي. ويمثل الجدول رقم (٨) أدناه يبين النفقات الاجتماعية التي تقوم بها دولة الرفاه لقطاعات المختلفة.

402 - Zetteberg, Before and Beyond the Welfare State: Three Lectures, pp. 51-59.

403 - Esping- Andersen. مصدر سابق

404 Irene Wennemo, sharing the costs of children;1994.

جدول رقم (٨) يبين النفقات الاجتماعية لدولة الرفاه في الدنمارك (مليون كرونة)

التصنيف	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١
الصحة	١٢٠.٨٦٠	١٢٣.١٢٧	١٢٣.٢٢٩
الاعاقة وإعادة التأهيل	٦٨٣٩٩	٧٣٦٣٦	٧٢٥٧١
الشيخوخة	٢٣٣.٠٢٩	٢٤٣٥٠.٦	٢٥٤٩٧٣
الورثة	١٣٣	١٤٣	١٣٧
الأسر	٧٤٨٩٦	٧٥٩٠.٨	٧٣٣٣٥
البطالة والعمالة	٢٦٣.٠٠	٣٢٤٢٠	٣٢١٣٧
السكن	١١٦٢٤	١٢١٨٤	١٢٧٠.١
منافع اجتماعية اخرى	١٥٧.٠٧	١٧٠.٨٣	١٨٤٢٤

نفس المصدر السابق

٤- الخدمات الصحية: طورت الدنمارك نظاما شاملا للعناية الصحية، ومن حق جميع المواطنين، الأغنياء والفقراء التمتع بهذه الخدمات على حد سواء، هذا النظام يقدم خدماته بمستويات راقية وبما يناسب أنواع الفئات الاجتماعية الغنية، لكن يستفيد منه الجميع، إن الخدمات الصحية الراقية تعد إحدى الوسائل التي ترضي تفضيلات دافعي الضرائب وتكسب اقتناعهم بجدوى ما يدفعونه، يلقي نظام الرعاية الصحية الشامل دعما واسعا من مواطني هذا البلد، الأمر الذي يفسر ضعف القطاع الخاص بهذا الميدان، هذا علما أن الإنفاق على هذا القطاع هو قليل نسبيا بالمقارنة مع مثيله في البلدان الغربية، لذلك هنالك اهتمام شعبي واسع بشأن الموارد المخصصة لهذا القطاع من ناحية، وتمسك جماهيري عريض بضرورة الإبقاء على مستويات جميع عناصر الخدمات الصحية:٤٠٥ فيمكن لجميع المقيمين في الدنمارك بشكل دائم الاستفادة المجانية من الخدمات الصحية، ومعظم الفحوصات الطبية والعلاجات تقدم مجانا ويحصل الجميع على بطاقة تأمين صحي من البلدية وهي عبارة عن بطاقة " هوية " على الجميع إظهارها في كل مرة يذهب فيها الشخص للطبيب أو لقسم الطوارئ بالمستشفى، ومن حق الجميع بالدنمارك العلاج مجانا إذا أصيب شخص ما فجأة بمرض خطير أو إصابة خطيرة، ويشمل هذا أيضا الزوار من غير المقيمين بالدنمارك.

يخضع كل من يعمل بقطاع الخدمات الصحية لإلتزام الصمت وكتمان السر، ومعنى ذلك أنه من المحظور على العاملين بقطاع الخدمات الصحية أن يفصحون عن أي

405 - هادي حسن، دولة الرفاهية الاجتماعية - مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ٢٠٠٦- ص٢٢٩

شيئاً يخص مرض المراجع للآخرين حتى الزوج أو الزوجة أو الابناء والآخرين من افراد العائلة فالشخص المريض هو الوحيد الذي يقرر من الذي بإمكانه أن يعرف شيئاً عن حالته الصحية، وإن القصد من التزام الصمت وكتمان السر هو الشعور بالطمأنينة لان يتحدث المريض عن نفسه ومرضه للأطباء والممرضات.

٥- التعليم: إن مبدأ نظام التعليم الدنماركي هو حرية الاختيار في التعليم، حيث تؤمن الدولة فرص تعليمية للجميع، والناس أحرار في أن يختاروا أنواع التعليم البديلة سواء لاسباب تعليمية أو دينية أو سياسية أو إيديولوجية.

إن عمل نظام التعليم بنوعية عالية هو شرط أساسي لضمان النمو والرفاهية للفرد والمجتمع الدنماركي ككل، وتمتلك الحكومة الدنماركية رؤياً لنظام تربوي مرن وذلك بتقديم التعليم وفصول التدريب بمستوى عالي من البراعة والقدرة، ويجب ان تكون فصول التعليم والتدريب على توافق مع الحاجة للمؤهلات لدى كل من قطاع العمل والقطاع العام وأن تأخذ بعين الاعتبار متطلبات التلميذ ومراعاة مواهبه، هذا هو الهدف الذي تسعى من خلاله التربية والتعليم الدنماركي الى مجارة الافضل في العالم، والشرط الاساسي لإنجاز هذا الهدف هو بذل الجهد بشكل نشط ضمن خمس مجالات : المؤهلات والقدرات، المرونة، الابتكار، الحرية في الاختيار، وإدارة الناتج. فالهدف على المستوى العام هو أن يكتسب كل شخص عدداً من القدرات الفردية وأيضاً أن يكون مستعداً للمشاركة في المجتمع وأن تكون لديه معرفة حول قيمه الأساسية، وبما أن المجتمع يخضع لتغيرات تقنية وثقافية سريعة لذلك فهو يدافع بشكل أساسي عن قيم مثل حرية الكلام، المساواة، التسامح والديمقراطية.^{٤٠٦}

وينبغي معرفة الماضي والأسس التي قامت عليها القيم للتمكن من مواجهة تحديات المستقبل، وعلى التربية أن تطور التلاميذ والطلاب كأفراد مستقلين وذلك بترقية خصيات مثل روح المبادرة، والشجاعة والحماس والرغبة في تعلم شيء جديد، ومن الضرورة الحاسمة أن يكون لكل شخص قاعدة أساسية من القدرات الشخصية والاجتماعية العامة ويشمل ذلك الرغبة والقدرة على متابعة التعليم، كما أنه من المهم أن يكون الشخص قادراً على اكتساب قدرات جديدة ضمن مهنته الخاصة وفي مجموعة مختلفة من الاختصاصات، وعلى التعليم أن يمكن الفرد سواء أكان ذكر أم أنثى من تطوير إمكاناته وتقديم مساهماته في المجتمع، وبهذه الطريقة يدعم التعليم

موقع إخوة مواطنون في الدنمارك - www.inm.dk/medborger/arabisk/index.html - 406

الجماعة والهوية الثقافية العامة، وتؤكد الحكومة على علاقات التعاون الدولية والالتزامات كشرط أساسي لضمان مستقبل قطاع التربية حيث تتم الاستفادة من تجارب الدول السابقة ومن خبراتهم في البحث وذلك ليتمكن النظام التربوي الدنماركي من تحقيق هدفه في مجارة أفضل أنظمة التعليم في العالم.

التقاليد الدراسية الدنماركية: الدنمارك بلد يمتلك مواد خام طبيعية قليلة، ولهذا فإن الناس وما يتمتعون به من معرفة ومهارة هم ثروات وموارد البلد الأكثر أهمية، وتعد الدراسة مهمة للفرد فمع مضي الوقت تقل فرص العمل المتوفرة في المجتمع الحديث للأشخاص الذين لا يملكون مؤهلات دراسية أكثر فأكثر، ولهذا فإن لدى جميع الناس في الدنمارك فرص كبيرة جدا من الامكانيات للتعلم واكتساب المهارات ولتطوير أنفسهم على النطاق الشخصي، فبإمكان الجميع التعلم طوال حياتهم سواء في المدرسة العالية أو المدرسة المسائية، أو من خلال لبرامج التعليمية في جهاز الراديو والتلفاز، أو بمتابعة دورات في أماكن العمل، والنظام الدراسي الدنماركي مبني على درجة عالية من الحرية والمشاركة في اتخاذ القرار، فبإمكان الطلبة من الصفوف الاولى وحتى الجامعة المشاركة في إتخاذ القرارات المتعلقة بالمدرسة وبالدراسة، وتتميز الدراسة نفسها بأكتساب وتعلم المعارف الاساسية وتبادل الاحاديث والتعاون، إذ يتعلم الاطفال من الصف الاول العمل معا في مجموعات وحل التمارين بالتعاون فيما بينهم.

التعلم قبل المدرسة: ويشمل عدة مؤسسات منها حضانات " فيكستو " للأطفال من الميلاد الى ٣ سنوات من العمر. حضانات " بورنهيو " للأطفال من ٣ الى ٧ سنوات. الصف التحضيري وهناك تعليم الزامي ابتداءً من الصف الاول وحتى التاسع، الا ان الغالبية العظمى من الأطفال يبدأون مباشرة بالذهاب الى الصف التحضيري في سن ٥-٦ سنوات، يتم في الصف التحضيري المزج ما بين اللعب والتعليم.

المدرسة الابتدائية: أ- المدرسة العمومية: المدرسة العمومية الدنماركية هي مدرسة جامعة، مما يعني أنه لا يتم الفصل ما بين الاطفال خلال الاعوام الدراسية، بل يظلوا متلازمين وفي نفس الفصل خلال السياق المدرسي كله، تمنح المدرسة العمومية الاطفال العديد من العلوم والمعارف الاساسية كالرياضيات واللغة وفهم ومعرفة المجتمع والعلوم الطبيعية، وتعزز معرفة وإلمام التلاميذ بالثقافة الدنماركية وتكسيبهم

معرفته وإدراكا بالثقافات الأخرى، كما تعزز المدرسة تطور التلاميذ الشخصي وتحفز الخيال الذي يمتلكونه وتقوي رغبتهم في التعلم، ويتعلم الأطفال التعبير عن وجهات نظرهم الخاصة وتتاح لهم الفرصة لتشكيل لجنة للتلاميذ والتي يتم الاستماع إليها حينما تتخذ قرارات مهمة في المدرسة.

أهداف المدرسة العمومية⁴⁰⁷ تركز المدرسة العمومية الدنماركية على قانون المدارس العمومية وتعتمد على كأساس لتطبيقاتها، ويتناول القانون في مقدمته أهداف المدرسة العمومية وهي: ١- مهمة المدرسة العمومية هي ان تقوم بالتعاون مع عائلات الاطفال بتقوية حصيلة وثروة الطفل المعرفية، ومهاراته وأساليب العمل لديه وقدرته التعبيرية مما يساهم في تطوير شخصية التلميذ من جميع الجوانب. ٢- يجب على المدرسة العمومية أن تعمل على خلق مثل هذه الأطر ألا وهي حب المشاهدة والاستطلاع والرغبة في المشاركة والتعمق بهدف السماح للتلميذ بتطوير إدراكه لذاته، وتطوير خياله ورغبته في التعلم بطريقة تمنحه الثقة بقدراته الشخصية مما يجعله لا يهاب إبداء رأيه والأخذ بزمام المبادرة. ٣- يجب على المدرسة العمومية أن تعزز معرفة التلاميذ بالثقافة الدنماركية وأن تساهم في فهمهم للثقافات الأخرى وفي التواصل والتفاعل مع الطبيعة، وتهيئ المدرسة العمومية التلاميذ للمشاركة في إتخاذ القرار، والمسؤولية المشتركة والحقوق والواجبات في مجتمع يتميز بالحرية والديمقراطية، ولذلك يجب على التعليم المدرسي ومجمل الحياة اليومية أن تكون مبنية على الحرية الفكرية والمساواة والديمقراطية.

المدارس الابتدائية الحرة: يمكن للأبوين إختيار دراسة أخرى لطفلهم غير تلك الموجودة في المدرسة العمومية، وذلك بألحاق طفلهم بمدرسة ابتدائية حرة، وهنا يجب أن يقوم الأبوان بدفع جزء من نفقات التعليم من مالهم الخاص، يمكن للأساس الفكري في المدرسة الابتدائية الحرة أن يختلف عما هو عليه الأمر في المدرسة العمومية، فيمكن أن يتعلق الأمر بأراء تربوية معينة أو اتجاه وأعتقاد ديني محدد. وتقدم هذه المدارس في بعض الحالات موادا دراسية لا توجد في المدرسة العمومية، ولكن القانون يشترط بأن يكون التعليم في المدارس الابتدائية الحرة مساوياً للتعليم في المدرسة العمومية، أي يجب أن يكتسب الأطفال معرفة باللغة الدنماركية، والماما علميا وفهما للمجتمع وعلى نفس المستوى كالمدرسة العمومية.

407- ويكيبيديا الموسوعة الحرة

المبحث الثاني: تقييم معايير الرفاهية في الدنمارك

أن المعايير التي اتخذتها المعاهد البحثية العالمية ومنظمات اللامم المتحدة، وخاصة منظمة الامم المتحدة للإنماء الدولي UNDEP، وكذلك منظمة التعاون والتنمية الاوروبي OECD، كلها تركز على المعايير المذكورة في أدناه كتقييم مدى تمتع الافراد في الرفاهية ضمن دولهم، وهذه المعايير هي:

١- المعيار الاقتصادي

٢- القطاع الصحي

٣- قطاع التعليم

٤- المستوى المعاشي

٥- الامن والسلامة

٦- الرخاء

٧- الخدمات الاجتماعية

٨- فرص العمل الريادية

ولكي أقيم دور الدنمارك في الرفاهية وتقدمها لابد لي من وضع مقارنة تقييمية بين دولتين تتنافسان على الصدارة في مستوى الرفاهية العالمية، وحسب تقييمات تلك المنظمات. وهاتان الدولتان هما الدنمارك والنرويج، واللذان تتميزان في سمات متقاربة كون هاتين الدولتين ينتميان الى نمط ذاته من انماط الرفاهية الاقتصادية، بالاضافة الى التقارب الثقافي واللغوي والتاريخ والانتماء الا وهو النمط الشامل أو النمط الاسكندنافي والذي يمثل حسب تقدير بعض فقهاء الاقتصاديين بأنه النمط الامثل في تحقيق دولة الرفاه الاقتصادي والاجتماعي، الا أن رغم ذلك هناك خصوصيات لكل بلد من حيث اختلاف عدد السكان وندرة ووفرة الموارد الطبيعية تجعل من هذه البلدان ان تتميز عن بعضها البعض في كيفية تعظيم دولة الرفاه فالدولتين موضوع المقارنة أحدهما يمتاز بموارد اقتصادية مما جعل اقتصاد هذا البلد اقتصادا قويا فالنرويج امتاز بهذا الخصوص فله قطاع نفطي ويعتبر في المرتبة الخامسة بتصدير النفط وكذلك بالمرتبة الثالثة بتصدير الغاز، ومن جهة الدنمارك

فهو ايضا لديه قطاعات زراعية وصناعية متطورة ولديه نظام ضريبي متميز في العالم. ولكي استخدم تلك المعايير المذكورة سوف اتطرق في الصفحات التالية لتلك المقارنات وكالاتي:

المعيار الاول: الاقتصاد

الاقتصاد وبكل مفاصله الانتاجية والنشاط والدخل القومي والانتاج المحلي كلها تدخل في باب رفد الرفاهية لتحقيقها مع ثبات العوامل الاخرى السياسية والاجتماعية.

وقد أستعملت طريقة التوضيح بالإيجاز معززة بنبذة عن ملامح اقتصاد كل من هاتين الدولتين معززة بالأحصائيات.

١ - الاقتصاد الدنماركي

اقتصاد الدنمارك هو واحد من أكثر الاقتصادات تنافسية في العالم وفقا لتقرير المنتدى الاقتصادي العالمي لعام ٢٠٠٨ وصندوق النقد الدولي والإيكونومست^{٤٠٨} وفقاً لتصنيف منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية تحوز الدنمارك على أكثر الأسواق حرية في الاتحاد الأوروبي وواحدة من أكثر أسواق المنتجات. يبلغ معدل ضريبة الشركات في الدنمارك ٢٥ ٪،^{٤٠٩} النظام الضريبي الدنماركي ذو قيمة كبيرة (ضريبة القيمة المضافة ٢٥ ٪ من دون إضافة الجمارك والضرائب) وأيضاً أعلى المعدلات في ضريبة الدخل في العالم. تساهم الدنمارك عبر الحركة التعاونية الدنماركية في جملة من الأمور الزراعية والصناعية الغذائية (دانيش كراون) وإنتاج الألبان (أرلا فودز) ومبيعات التجزئة وتوربينات الرياح وجمعيات المشاركة في السكن. ولدى الدنمارك إكتفاء ذاتي من النفط والغاز الطبيعي وطاقة الرياح.

ولبيان هذا المعيار الاقتصادي إرتأيت أن أضع جدولاً يبين مفرداته، حيث يتبين أن الدنمارك في تقدم مستمر لتقديم الرفاه للمجتمع من خلال تنمية القطاعات الاقتصادية وفي الجدول رقم (٩) بيان لهذه الأنشطة الاقتصادية ومردوداتها ونتائجها بالمبالغ والنسب المئوية. فمن الجدول ادناه دلالة واضحة على مدى تمتع الاقتصاد الدنماركي

408 - WWW. Investindk.com ٠٥-٠٥-٢٠٠٩ .

409- دائرة الاحصاء الدنماركي

بقوة وفاعلية مما يزيد من رفاهية المجتمع الدنماركي، وهذا عامل مهم جدا في حالة تضخيم الثروة الوطنية الذي يؤدي الى تضخيم الانفاق على الرعاية الاجتماعية والقطاعات الاخرى.

٢- الاقتصاد النرويجي

ويضم الاقتصاد النرويجي مجموعة من نشاط السوق الحرة والتدخلات الحكومية. وتسيطر الحكومة على المجالات الرئيسية، مثل قطاع النفط الحيوي على نطاق واسع من خلال مؤسسات الدولة ذات الأغلبية التي تملكها والغنية بالموارد الطبيعية في البلاد ومن الموارد الطبيعية النفط والطاقة الكهرومائية، والأسماك، والغابات، والمعادن، ويعتمد اعتماداً كبيراً على قطاع النفط الذي يمثل ما يقرب من نصف الصادرات وأكثر من ٣٠% من عائدات الدولة. النرويج هي خامس أكبر مصدر للنفط و ثالث أكبر مصدر للغاز في العالم؛ اختارت النرويج على البقاء بعيدا عن الاتحاد الأوروبي خلال استفتاء في نوفمبر ٢٠١٩٩٤.

تستورد النرويج ما يزيد على ٥٠% من احتياجاتها الغذائية وتستخدم المراعي الجبلية الشاسعة لرعي الماشية والأغنام، وفي الشمال، تزرع الشعير والقمح، والبطاطس. حوالي ربع النرويج غابات، الأخشاب هي مورد كبير من الطبيعية وهي أساس واحدة من الصناعات الرئيسية. تجذب المضائق النرويجية الجميلة والشمس منتصف الليل العديد من السياح. صيد الأسماك له أهمية كبيرة في النرويج، حيث أنها تصدر للبلدان الأخرى^{٤١١}.

410 - كتاب حقائق العالم (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة

411 - الاقتصاد النرويجي باللغة الانكليزية (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة

جدول رقم (٩) يبين احصائيات الاقتصاد الدنماركي والنرويجي

السنة	النرويج	السنة	الدنمارك	القطاع
٢٠٠٩	\$٢٧٦,٥	٢٠١٠	\$٢٠٠,٧٩٦	الناتج المحلي
٢٠٠٩	%١,١	٢٠٠٨	%١,٨	نمو الناتج المحلي
٢٠٠٩	\$٥٣,٢٦٩	٢٠١٠	\$٣٦,٣٣٦	نصيب الفرد من الناتج المحلي
				الناتج الاجمالي حسب القطاعات
٢٠٠٩	%٢,٢	٢٠٠٧	%١,٥	الزراعة
٢٠٠٩	%٤٥,١	٢٠٠٧	%٢٦	الصناعة
٢٠٠٩	%٥٢,٧	٢٠٠٧	%٧٢,٤	الخدمات
٢٠١٠	%٢,٣	٢٠٠٧	%١,٧	التضخم
٢٠٠٨	٢٥	٢٠٠٨	٢٤,٧	معامل جيني
٢٠٠٩	٢,٦ مليون	٢٠٠٧	٢,٨ مليون	القوة العاملة
				القوى العاملة حسب القطاعات
٢٠٠٨	%٢,٩	٢٠٠٧	%٣	الزراعة
٢٠٠٨	%٢١,١	٢٠٠٧	%٢١	الصناعة
٢٠٠٨	%٧٦	٢٠٠٧	%٧٦	الخدمات
٢٠١٠	%٣,٣	٢٠١٠	%٦,٤	البطالة

www.statistikbank.dk/www.ssb.no

المعيار الثاني: قطاع الصحي

يعد القطاع الصحي من أهم المعايير للرفاهية بعد استخدام الموارد الاقتصادية لها. فالرفاهية الصحية هي ضمان لصحة الفرد لحياة آمنة، وأحاول هنا أن أبين تلك المعايير الصحية في كل من الدنمارك والنرويج وكالاتي:

١- الدنمارك

طورت الدنمارك نظاما شاملا للعناية الصحية، ومن حق جميع المواطنين، الأغنياء والفقراء التمتع بهذه الخدمات على حد سواء، هذا النظام يقدم خدماته بمستويات راقية وبما يناسب أذواق الفئات الاجتماعية الغنية، لكن يستفيد منه الجميع، إن الخدمات الصحية الراقية تعد إحدى الوسائل التي ترضي تفضيلات دافعي الضرائب وتكسب اقتناعهم بجدوى ما يدفعونه، يلقي نظام الرعاية الصحية الشامل دعما واسعا من مواطني هذا البلد، الأمر الذي يفسر ضعف القطاع الخاص بهذا الميدان، هذا علما أن الإنفاق على هذا القطاع هو قليل نسبيا بالمقارنة مع مثيله في البلدان الغربية،

٢- النرويج

يتم تمويل الخدمات الصحية في النرويج في الغالب من خلال الضرائب التي تؤخذ مباشرة من الرواتب، وإن الدائرة الوطنية للتأمين المعروفة بأسم Trygdeetaten هي المسؤولة عن خطة التأمين الوطنية " NIS "، والدولة تضمن المستوى الاساسي للجميع في نظام التأمين من الرعاية الاجتماعية. وأن " NIS " توفر الفوائد للمرض والحوادث والعيوب الجسدية والوفاة فضلا عن البطالة والشيخوخة. وتشمل جميع المواطنين الذين يعيشون أو يعملون في النرويج^{٤١٢}.

ولكي أضع هذا المعيار كمقارنة نسبية بين قطاع الصحة في الدنمارك والنرويج أرتأي أن أجسد تلك المقارنة في الجدول الاحصائي المرقم (١٠) أدناه والذي يبين مدى اهتمام سياسة البلدين بهذا القطاع الحيوي والمهم ومدى تمتع أفراد هاذين البلدين برفاهية الجانب الصحي.

جدول رقم (١٠) يبين مقارنة بين الدنمارك والنرويج في قطاع الصحة

العام	النرويج	الدنمارك	الابواب
٢٠٠٩	٤٨١٢٠٠٠	٥٤٧٠٠٠٠	مجمع السكان
٢٠٠٩	٥٩,٢٥٠	٣٧,٥٣٠	الدخل القومي الاجمالي للفرد تعادل القوة الشرائية \$
٢٠٠٩	٨٣/٧٩	٨١/٧٧	متوسط العمر المتوقع عند الميلاد- بالسنة
٢٠٠٩	٤	٤	وفيات الاطفال دون سن الخامسة
٢٠٠٩	٨٣ أ - ٥٠ /ذ	١٠٧/أ-٦٥/ذ	احتمال الوفاة بين سن ١٥ عاما وسن ٦٠ عاما لكل ١٠٠٠ فرد
٢٠٠٨	٧	٣	معدل الوفيات بين النساء اثناء الولادة من كل ١٠٠ ولادة حية
٢٠٠٥	٠,٤%	٠,٤%	فيروس نقص المناعة(الأيديز) بين عمر ١٥ - ٤٩ سنة
٢٠٠٥	٤	٦	مرض السل من كل ١٠٠ الف شخص
٢٠٠٠	٣٢%	٣٥%	نسبة استهلاك السكائر الذين يدخنون يوميا
٢٠٠٩	٥٣٩٥	٤١١٨	مجموع النفقات الصحية للفرد (بالدولار الامريكي)
٢٠٠٩	٩,٧	١١,٢	مجموع النفقات الصحية كنسبة مئوية من الناتج الاجمالي

مصدر سابق

المعيار الثالث: القطاع التعليمي

من المعايير المهمة لتطوير الموارد البشرية ، ومن الجانب الاجتماعي فهو مهم جدا كون الفرد ينمي إدراكه ومهاراته وهي أساس التنمية البشرية بدأ من دور الحضارة ووصولاً الى التعليم العالي. وأحاول أن أجد مقارنة في قطاع التعليم في كل من الدنمارك والنرويج وكالاتي:

١- الدنمارك

أن مبدأ نظام التعليم الدنماركي هو حرية الاختيار في التعليم، حيث تؤمن الدولة فرص تعليمية للجميع، إن عمل نظام التعليم بنوعية عالية هو شرط أساسي لضمان النمو والرفاهية للفرد والمجتمع الدنماركي ككل، وتمتلك الحكومة الدنماركية رؤيا لنظام تربوي مرن وذلك بتقديم التربية وفصول التدريب بمستوى عالي من البراعة والقدرة، ويجب أن تكون فصول التعليم والتدريب على توافق مع الحاجة للمؤهلات لدى كل من قطاع العمل والقطاع العام وتأخذ بنظر الاعتبار متطلبات التلميذ ومراعاة مواهبه، وهذا الهدف الذي يسعى من خلاله التعليم والتدريب الدنماركي الى مجارة الافضل في العالم، والشرط الاساسي لإنجاز هذا الهدف هو بذل الجهد بشكل نشط ضمن خمس مجالات هي: المؤهلات والقدرات، المرونة، الابتكار، الحرية في الاختيار، إدارة الناتج. وقد بدأ الاهتمام بقضايا الجودة في العقد الاخير، وقد استندت رسالة الجامعات على عملية البحث حتى عام ١٩٩٢ وهو بداية ظهور ضمان الجودة في عملية التدريس، حيث سعت الحكومة الدنماركية للتقييم الخارجي للتعليم بهدف تقييم البرامج في الجامعة والمؤسسات غير الجامعية على أسس نظامية. ووضعت الحكومة بعض الأسس لتحقيق اللامركزية في التعليم وأصبح وزير التعليم مسؤولاً عن وضع إطار ومعايير لمتطلبات الجودة في التعليم يتم تحسينه من خلال مراكز التقييم، وتم إنشاء المركز في عام ١٩٩٢ وهو مؤسسة منفصلة عن وزارة التعليم ويقوم بتقويم الجودة في الجامعات وبعض مؤسسات التعليم العالي.

٢- النرويج

يتمتع التعليم وتطوير المهارات باولوية سياسية كبيرة في النرويج، والهدف من هذا هو الحصول على نظام تعليمي متميز وذلك عن طريق الحصول على أكبر مزيج ممكن من المستوي الاكاديمي العالي بالإضافة إلى أكبر نسبة من المتعلمين. وينتج عن تحقيق هذا الهدف الوصول إلى مقياس تربوي عام عالي وتحسين نوعية حياة السكان. كما أنه شرط أساسي لزيادة معدلات الإنتاج وتحقيق التقدم والرفاهية للمجتمع النرويجي.

يتم تقديم التعليم بشكل مجاني. و قد سيطرت الإصلاحات على القطاع التربوي في السنوات الأخيرة. والهدف منها هو الوصول إلى نظام تربوي مرن يؤمن نطاق عريض من الكفاءة ويعد لمجتمع يخضع إلى تغييرات مستمرة. من الملاحظ ان العديد من التغييرات والإصلاحات تمت في جميع مراحل التعليم النرويجي. بالإضافة إلى زيادة الاختيارات المتاحة في نظام التعليم وتحسين جودة التعليم عامة وهذه الإصلاحات تهدف إلى خلق نظام تعليمي أكثر توحيداً وتماسكاً وجودة من ذي قبل.

ف لدى كافة الاطفال الحق في الحصول على عشر سنوات من التعليم الأساسي وبدء الاطفال بالذهاب الى الصف الاول ابتداءً من العام الذين يكملون فيه ستة أعوام ولكافة الاطفال الحق في الحصول على تعليم يتناسب مع قدراتهم. ويحصل الاطفال في المرحلة المتوسطة على درجات في كافة المواد، ومستوى الدرجات من 1-6 حيث تمثل 1 أضعف درجة والدرجة 6 هي أفضلها. يتم نقل كافة الاطفال في المرحلة الأساسية الى الصف التالي بصورة آلية بعد العطلة الصيفية، وذلك بغض النظر عن درجات الطالب، فلا يسمح ببقاء الطفل في نفس الفصل الدراسي لمدة عامين.

يتم تنظيم المدرسة الأساسية بنفس الطريقة في كافة أرجاء النرويج، على سبيل المثال، يبلغ عدد أيام الدراسة 190 يوماً في العام للجميع، ولكن السياسيين في كل بلدية هم من يقررون متى تؤخذ تلك الإجازات والعطلات.^{١٣} والجدول رقم (١١) أدناه يبين المقارنة بين التعليم في الدنمارك والنرويج.

413- كتيب من منشورات وزارة التعليم النرويجي

جدول رقم (١١) يبين المقارنة بين القطاع التعليمي في كل من الدنمارك والنرويج

السنة	النرويج	الدنمارك	الموضوع
٢٠٠٥	%٩٨	%٩٥	التحاق الاطفال في المدارس من (٥-١)
٢٠٠٣	%٩٧	%٩٦	التحاق الاطفال في المدارس من (٩-٦)
٢٠٠٥	%١	%١	الامية بين البالغين
٢٠٠٥	%٩٥	%٩٩	التحاق الاولاد بالمدارس من (١٠-١) سنة دراسية
١٩٩٨-٩٤	%٧,٩	%٩,٦	معدل الامية من (٦٥-١٦) الذين لا يقرؤن ولا يكتبون
٢٠٠٥	%٢٨	%٣١	مصاريف ما قبل المدرسة من (٥-١) من اجمالي الانفاق على التعليم
٢٠٠٥	%٣٥	%٣٥	الانفاق على التعليم من (٧-٦) سنة دراسية من اجمالي الانفاق على التعليم
٢٠٠٥	%٣٣	%٣٠	الانفاق على التعليم من (١٠-٨) سنة دراسية من اجمالي الانفاق على التعليم
٢٠٠٦	%٦,٧	%٧,٩	الانفاق على التعليم من الناتج الاجمالي
٢٠٠٥	%١٦,٦	%١٥,٣	الانفاق العام على التعليم نسبة اجمالي الانفاق الحكومي

المصدر : الجهاز المركزي للأحصاء النرويجي

المعيار الرابع: سوق العمل

من الدلالات الواضحة في اعتماد اي بلد على مواردها البشرية ورفدها بالعمل، ومن ثم المستوى المعاشي اللائق بهدف التمتع بمعيار معاشي متميز من الغذاء والترفيه هو نمو وتنمية سوق العمل والاهتمام به وجعل آليات العمل خدمة للتنمية الاقتصادية والنمو الاقتصادي. وأضع في الآتي توضيح ذلك في كل من الدنمارك والنرويج وكالآتي

١ - الدنمارك

يعتبر سوق العمل الدنماركي الاكثر مرونة في اوروبا، وتدعى سياسة السوق الدنماركي بالأمن المرن حيث يشمل التوظيف والفصل والبحث عن عمل جديد، يبلغ حجم القوة العاملة في الدنمارك حوالي ٢,٩ مليون مسمة، كما تمتلك الدنمارك رابع أعلى نسبة من حملة الشهادات الجامعية في العالم. الناتج المحلي الاجمالي لكل ساعة عمل كان في المرتبة ١٣ في عام ٢٠٠٩، تمتلك الدنمارك أعلى حد أدنى للاجور في العالم وفقا لصندوق النقد الدولي، وأعتبرا من يونيو ٢٠١٠ بلغ معدل البطالة ٦,٦ % وهو ما يقل عن متوسط الاتحاد الاوروبي عند ٩,٦ %.

٢ - النرويج

تسجل النرويج معدلا مرتفعا في ما يخص المشاركة في سوق العمل، وهو معدل يزيد ٩% في الرجال العاملين عنه في النساء، وقد انخفض معدل مشاركة كبار السن انخفاضا معتدلا ولكنه لا يزال مرتفعا مقارنة بالبلدان الاوروبية الاخرى. معدل البطالة ارتفع في عام ٢٠٠٢ نتيجة الزيادة القوية في الاجور الحقيقية وارتفاع سعر صرف الكرونة النرويجية الذي يضعف الصناعات النرويجية المعرضة للمنافسة الدولية، بالاضافة الى تباطؤ الاقتصاد الدولي. تأثر سوق العمل في النرويج من جراء حدوث انخفاض في الطلب على اليد العاملة وأدى هذا الى تزايد نسبة العمال العاطلين عن العمل لفترات طويلة، وتهدف سياسة سوق العمل النرويجية الى

النهوض بسوق عمل تكون الى أقصى حد ممكن، آمنة وشاملة وإعطاء جميع الفئات فرصة التمتع بحياة عملية كاملة ومرضية^{٤١٤}

جدول رقم(١٢) يبين المقارنة بين سوق العمل في الدنمارك والنرويج

السنة	النرويج	الدنمارك	سوق العمل
٢٠٠٦	٨٣,٨	١١٤,٢	البطالة من كل الف شخص
٢٠٠٨	%٢,٦	%٣,٣	معدل البطالة الى نسبة القوى العاملة
٢٠٠٣	%٤,٣	%٥,٨	متوسط البطالة ١٩٩٠-٢٠٠٠
٢٠٠٦	%٨,٦	%٧,٦	بطالة الشباب
٢٠٠٦	%٠,٥	%٠,٨	البطالة طويلة الاجل
٢٠٠٦	%١١,١	%٢٠,٢	نسبة العاطلين عن العمل من النساء كنسبة من جميع العاطلين
٢٠٠٦	%١٦,٨	%٢٠,٧	نسبة العاطلين عن العمل من الرجال كنسبة من جميع العاطلين
٢٠٠٨	%٣٨,٣	%٣٨	حصة المرأة من المقاعد في البرلمان
٢٠٠٨	%٤٤,٤	%٣٣,٣	عدد الاناث الوزراء في الحكومة

مصدر سابق

٤١٤- التقرير الدولي الثالث للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة - ٢٠٠٤

المعيار الخامس: المستوى المعيشي

١- الدنمارك^{٤١٥}

يتمتع الشعب الدنماركي بالرفاهية الاجتماعية وبكل خدماتها المتمثلة بالرخاء والمستوى المعاشي المتميز. وفرت الدولة هذه الخدمات من خلال تحصيلها على الضرائب التي يدفعها المواطن الدنماركي بكل اعتزاز وفخر لانه يعلم بان هذه الضرائب المستقطعة ستعود عليه بالمزيد من الخدمات الاجتماعية المختلفة، ٨٥% من الدنماركيين يعيشون في مناطق حضرية بمزيج من أبنية على شكل مساكن جماعية أو بيوت خاصة، يؤكد المستوى المعيشي الراقى وخدمات الرفاهية الواسعة في الدنمارك بأن المدن نتيجة لذلك ليس بها أحياء فقيرة مكتظة بالسكان، ولا مباني دون المستوى، وتخدم المدن شبكة مواصلات عامة واسعة النطاق، وتنقل القطارات الحديثة الناس من الضواحي الى وسط المدينة، كما يترابط المدن بعضها ببعض، ويعيش ١٥% من الشعب الدنماركي في مناطق ريفية، وعلى الرغم من أن المدن تسيطر على حياة الدنمارك الاقتصادية والاجتماعية، فإن المزارع العديدة والقرى الريفية لهذه الامة لاتزال تظهر الاهمية التي تحتلها الزراعة، وأن معظم المقيمين في القرى الريفية يعيشون في منازل حديثة تحتوى على عائلة واحدة.

٢- النرويج^{٤١٦}

أن نظام توزيع الثروة الوطنية بين المواطنين، شكل أحد المعايير الرئيسية التي أعتمدت عليه الأمم المتحدة لتصنيف النرويج كأفضل مكان للعيش في العالم إذ تعتمد النرويج على سياسة إجتماعية ديمقراطية، تركز على توزيع وأقتسام الثروة بين مواطنيها، وتسعى أيضا عبر سياسة خاصة إلى ضمان عيش الأجيال المقبلة، نظام إجتماعي يتشبه به النرويجيون ويحافظوا عليه. فالنرويج واحد من دول العالم الرائدة في سد الفجوة بين الجنسين الرجل والمرأة، وهم يعيشون حياة أطول من أي وقت مضى. والمجتمع الذي يشعر الفرد بداخله بجمال الحياة وروعته فيسعى أن

415- موقع أخبار الدنمارك

416- وزارة الشؤون الخارجية النرويجية

يتمتع بها ويأخذ حقه الكامل منها ويشعر بأنه حر وقوي ومكتفي غير تابع أو ذليل أمام رب العمل، ويزيد المواطن ثقته بنفسه أولاً، وبوطنه ثانياً. ولغرض اجراء المقارنة لمستوى المعيشة بين الدنمارك والنرويج عمدنا الى توضيحها وفق البيانات الاحصائية في الجدول رقم (١٣) أدناه.

جدول رقم (١٣) يبين المستوى المعيشي بين الدنمارك والنرويج- ٢٠٠٩

الصنف	الدنمارك	النرويج
السكن	%٢٢	%٢٣
الاغذية والمشروبات غير الكحولية	%١٧	%١١,٨
النقل والاتصالات	%١٧	%١٧
التدفئة والكهرباء	%٧	%٦
الادوات المنزلية	%٦	%٥,٩
الراحة والترفيه	%١١	%١٢,٥
الملابس والاحذية	%٥	%٥,٣
النفقات الطبية	%٢	%٢,٥
سلع وخدمات أخرى	%١٣	%٦,٣

مصدر سابق

تقييم الرفاهية بين الدنمارك والنرويج حسب المعاهد البحثية والمنظمات الدولية

في تقرير أعدته الأمم المتحدة لتصنيف ١٨٠ دولة عام ٢٠٠٤ حسب مقياس التنمية البشرية، يصنف هذا التقرير دول العالم بناءً على جودة الحياة التي توفرها لمواطنيها ايضاً ظروف الحياة في هذه الدول بناءً على مقاييس مختلفة، من بينها "مقياس التنمية البشرية" الذي حددته الامم المتحدة، والذي يفحص رفاهية العيش بناءً على دخل الفرد، ومستويات العليم، والرعاية الصحية، ومتوسط الاعمار، ومساوات النساء، والفوارق في المدخول، والاستهلاك، والفقر، وغيرها.

وفي هذا التقرير إحتلت النرويج مركز الصدارة في هذا التصنيف ويشار الى أن النرويج إحتلت مركز الصدارة خلال السنوات الاربع الأخيرة، وجاءت الدنمارك متأخرة الى حد بعيد حسب وصف التقرير الى المرتبة ١٧. ٤١٧

وحسب البرنامج الانمائي للأمم المتحدة الذي يشرف على وضع هذه القائمة سنوياً، أن القائمة تعكس التباين الكبير في الرفاهية ما بين دول العالم الغنية وتلك الفقيرة.

وتأخذ القائمة الدولية في حسابها ثلاثة معايير رئيسية في ترتيبها للدول وهي:

١- التوقع العمري.

٢- الامية.

٣- نصيب الفرد من الناتج القومي الأجمالي.

وأفاد معهد ليغاتوم البريطاني بأن النرويج إحتلت عالمياً عام ٢٠٠٨ قائمة الدول الأكثر رخاءً في العالم بحسب مؤشر الرخاء، والذي يسعى لإدراك وفهم كيفية تأثير أساسيات الاقتصاد والصحة والحريات وإدارة الحكم والأمن والسلامة والتعليم وفرص العمل ورأس المال الاجتماعي على النمو الاقتصادي في الدول، وسعادة مواطنيها، وبحسب القائمة، فقد حلت ثلاث دول أوروبية المراكز الأولى، وهي على الترتيب: النرويج والدنمارك وفنلندا. ويشار الى أن الدنمارك بين الدول الأقل فساداً وسجلت ٩,٣ من أصل ١٠ بحسب المؤشر الذي يعطي أفضل علامات للدول الأقل فساداً، وأدنى العلامات للأكثر فساداً. لذا فإن المؤشرات الفرعية للرخاء الاقتصادي

توفر تحليلين مهمين: أولهما التقييم الاقتصادي، والثاني حالة الرفاهية الذاتية (الشخصية) أو السعادة في البلاد.^{٤١٨}

على سبيل المثال نجد المؤشر للتعليم ينظر الى كيفية مساهمة العوامل التربوية والتعليمية في النمو الاقتصادي وفي المستوى الشامل للسعادة في الدولة، ومن خلال فحص البيانات البارزة لتفاعل مختلف المؤشرات الفرعية يمكننا البدء في تكوين وجهة نظر ونكشف عن الامور المعقدة وتطبيقاتها.

ونأمل أن تكون نتائج مؤشر الرخاء ذات فائدة لواضعي السياسات، والصحافة ورجال الاعمال، والدارسين والمواطنين المهتمين من مختلف أنحاء العالم، بينما تبدو هناك أساسيات عامة تشترك فيها الدول التي تتمتع بالرخاء، مثل الحرية والحكم الرشيد وحقوق الانسان والمواطنين الأصحاء والمجتمعات القوية، وتظل من حقائق التاريخ أن كل دولة تحتاج الى أن تعثر على طريقها الذاتي للنجاح.

وفي الوقت الذي لا تستطيع فيه الحكومات أن تخلق الرخاء أو أن تنفرد بعمله، لكنها بمقدورها أن تساعد على خلق البيئة التي توصل فرص العمل الريادية الى النجاح والازدهار البشري.

من المعروف أن المجتمعات التي تعاني من عدم الاستقرار لا تستطيع زيادة مستويات الدخل ومعدلات الرخاء الاقتصادي، فقد قام معهد ليغاتوم (LEGATUM) بقياس أداء الدول في مجالي الأمن القومي والأمن الشخصي في عام ٢٠١١ كجزء من فئة الازدهار والامن التي تعتبر من مقومات مؤشر الازدهار الذي يقوم بنشره.

وتجمع فئة الازدهار والأمن بين مقاييس موضوعية للأمن وإستطلاع الرأي حول الأمن الشخصي، كما يدل جواز التعبير عن المواقف السياسية دونما خوف من الأضطهاد، بالإضافة الى الشعور بالأمان خلال التجول المنفرد ليلا في شوارع المدن على مستوى الرفاهية.^{٤١٩}

وفيما يلي وجه المقارنة بين الدنمارك والنرويج بخصوص هذه المؤشرات:

418- معهد ليغاتوم البريطاني للبحوث – الدول الاكثر رخاءً في العالم- ٢٠٠٨

419- نفس المصدر (معهد ليغاتوم)

* تحل النرويج في المرتبة الاولى من مؤشر الازدهار، وتكاد تغيب عنها مظاهر العنف السياسي من قبل الحكومة، وبين النرويجيين نسبة كبيرة من المواطنين الذين يشعرون بحرية الكشف عن آرائهم السياسية، وهناك ٨٥% منهم يشعرون بالأمان وهم يعودون الى بيوتهم بمفردهم ليلا سيرا على الاقدام.

*تحل الدنمارك في المركز الثاني ضمن مؤشر الأزدهار، لانها تواجه عددا قليلا نسبيا من التحديات على المستوى المحلي، وتدخل الدنمارك في عداد الدول العشر ذات أقل الاحتمالات لاضطرار المواطنين الى الفرار، كما أن نسبة الاجرام فيها متدنية، لتبلغ نسبة الذين لا يخشون السير في شوارع مدنها ليلا بمفردهم ٨٠%.

من دراستي وتحليلي لهذه المعايير التي سردتها آنفا، خرجت بنتيجة أن النرويج تحتل المركز الاول في تلك المعايير قياسا الى الدنمارك، وذلك فأنها تعطي للنرويج المركز الاول في الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية، ورجوعا الى البيانات التي حصلت عليها من خلال عملية الاستبانة التي أجريتها وحسب النموذج الذي أرفقه كملحق لدراستي هذه وبالمعايير التي قارنت بها الدنمارك والنرويج، خرجت ايضا بنتيجة تحليلية بأن المجتمع الدنماركي وبكل فئاته المختلفة من عمال ومزارعين وفلاحين ومهندسين وأطباء، أقرروا بأن الرفاهية السائدة في الدنمارك هي الرفاهية المثالية، وأنهم راضون على النهج الذي تنتهجه الحكومات الدنماركية وحسب إيديولوجيتها في تحقيق رفاهية الفرد وبكل المعايير التي ذكرتها، ولم يتسنى لي من معرفة رأي الفرد والمجتمع النرويجي حول رفايتهم وحسب المعايير المذكورة، ولكن وحسب رأي الجمهور الدنماركي فإن النرويجيين توافقون في العيش في الدنمارك، عكس الدنماركيين المتمسكين في العيش في بلدهم،

المبحث الثالث: آفاق دولة الرفاهية الاقتصادية

تواجه دولة الرفاهية الاجتماعية في الغرب تغيرات بنيوية عميقة، تترافق مع شيوع البطالة وتدني النمو الاقتصادي والعجز الدائم في ميزانيات دول الرفاهية، بيد أن التحدي الخطير هو العولمة من ناحية والتغيرات الجذرية التي تتطلبها الوحدة الأوروبية، كل ذلك يجعل مصير دول الرفاهية الاجتماعية أمرا لا يمكن التكهن به، بيد ان التاريخ قد يعيد نفسه بصيغة قد تكون متقدمة على نظام الرفاهية، فكما كانت الرفاهية الاجتماعية مطلبا اجتماعيا، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تنبى الآن حركة فكرية واعدة، مدعومة من قبل أوساط شعبية واسعة، تطالب ب " دخل أساسي غير مشروط للجميع " الى جانب الإبقاء على برامج الضمان الاجتماعي الأساسية، يلعب المفكر الهولندي "فيليب فان باريج" ^{٤٠} دور الداعية لهذه الحركة الواسعة، حيث تشكلت جمعيات لها في جميع أنحاء أوروبا وأميركا الشمالية، جوهر هذه الحركة يقوم على أساس كون الانتاجية والثروة والدخل قد شهدت نموا كبيرا بما يكفي لدعم دخل أساسي غير مشروط للجميع، وسيكون مثل هذا الخيار وسيلة فاعلة لبلوغ العدالة الاجتماعية، سيحقق ذلك الحرية الحقيقية للجميع ويزودهم بالموارد المادية التي يحتاج اليها الناس لبلوغ أهدافهم في الحياة، وفي الوقت نفسه سيساعد ذلك على حل مشكلة الفقر والبطالة، وتحقيق طموحات حركة البيئة. ^{٤١}

" من السهل عادة أن نشهد ميلاد شئ ما، في حين قد يكون من الصعب علينا أن نرى نهايته "، في عام ١٩٤٥ ولدت دولة الرفاهية في بريطانيا ما بعد الحرب، وفي بريطانيا أيضا شيعت دولة الرفاهية الى مثواها الأخير عندما تبرأ وزير الخزانة البريطاني جورج أوسبورن من مفهوم " المنفعة الشاملة " الذي يتلخص في فكرة مفادها أن الجميع وليس الفقراء فقط، ينبغي لهم أن يستفيدوا من الحماية الاجتماعية، لقد وصف اللورد بيفيريدج دولة الرفاهية وهو مهندسها الفكري بأعتبارها بنية شيدت بهدف حماية الفرد " من المهد الى اللحد "، ولقد تمكن هذا النموذج من فرض نفسه على كل بلد في أوروبا، مع املاء التقاليد والسياسات المحلية للتنوع الكبير في تطبيقه،

420 - www.bostoreview.net/BR25.5/vanparijs.html.

421 - هادي حسن، د. النموذج الاجتماعي الديمقراطي، دراسة مقارنة بين السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

وبحلول ستينات القرن العشرين كانت أوروبا الديمقراطية بالكامل قد تحولت الى ديمقراطية اجتماعية تقوم على المزج بين الاسواق الحرة والحماية الاجتماعية الشاملة، وكان النجاح الذي حققه هذا النموذج الاوروبي أبعد من أشد الاحلام جموحا، فظل لعقود من الزمان موضعا لحسد العالم على نحو ما كان لرأسمالية " الغرب المتوحش " الامريكية، ولا اشتراكية الدولة السوفيتية أو اشتراكية دولة ماو أن تحلم به، وبدأ الامر وكأن الديمقراطية الاجتماعية تقدم أفضل ما في العالمين، الكفاءة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية، بطبيعة الحال لم يخل الأمر من بعض الشكوك المزجة التي أحاطت دوما بدولة الرفاهية الاجتماعية الاوروبية، والتي بدأت في الاغلب في ثمانينات القرن العشرين، عندما دقت العولمة أبواب أوروبا، فتحت وطأة التكاليف المالية التي إنطوت عليها دولة الرفاهية وربما تحت وطأة المعوقات النفسية والمالية التي إنطوت عليها أيضا بدأ الاقتصاد في أوروبا يتباطئ، وأصبح نصيب الفرد في الدخل راكدا، وباتت مستويات البطالة المرتفعة تشكل جزءا لا يتجزء من هذه التركيبة.^{٤٢٢}

لم يتمكن أنصار السوق الحرة في أوروبا قط من إثبات كفاءتهم في دحر دولة الرفاهية الاجتماعية، حتى أن مارجريت تاتشر فشلت في المساس بالنظام الصحي الوطني، وفي أحسن الاحوال توقفت دولة الرفاهية الاجتماعية عن التوسع، كما حدث في السويد والدنمارك. وقومت دولة الرفاهية منتقديها والالام الناجمة عن الاقتصاد الراكد من خلال تجنيد متعاونين من الطبقة المتوسطة، والواقع أن العبقرية السياسية التي أباها الرجال الذين أسسوا دولة الرفاهية كانت متمثلة في بصيرتهم الثاقبة حين أدركوا أن استفادة أبناء الطبقة المتوسطة من دولة الرفاهية الاجتماعية سوف تكون أعظم من استفادة الفقراء منها.^{٤٢٣}

وفي المملكة المتحدة تذهب نسبة ٤٢% من أجمال معونات الطفولة الى أبناء الطبقة المتوسطة والأسر الثرية، والنسبة مماثلة في فرنسا أيضا، ولقد أقترح "أوسبورن" إلغاء هذه الدفعات المقدمة الى الأسر ذات الدخل التي تنتمي الى الشريحة الضريبية الأعلى الطلقة الاولى في الحملة التي قد تنتهي الى تحويل نظام الرفاهية الاجتماعية بالكامل عن طريق خفض الفوائد المقدمة الى الطبقتين المتوسطة والعليا، وسوف

422- <http://forum.kooora.com/f.aspx?t=25758089>

423 - http://www.aleqt.com/2010/11/14/article_469059.html جاي سورمان

تضطر كل حكومة في أوروبا الى القيام بنفس الشيء.. إستهداف الحلقة الأضعف في نظام الحماية الاجتماعية، أو تلك الحلقة الأقرب الى فهم أغلب الناس، وبنفس المنطق استهدفت الحكومة الفرنسية استحقاقات التقاعد السخية المقدمة للعاملين في القطاع العام، فضلا عن السن القانونية للتقاعد، والذي تحاول الحكومة رفعه من ٦٢ الى ٦٦ عاما.

في العشرينات من القرن الماضي طورت الأمم الأوروبية نمطا من الرأسمالية مختلفا عنه في أمريكا، ففي النموذج الأوروبي قامت الحكومات بلعب دور أكبر في الاقتصاد، فعن طريق الملكية المباشرة في الشركات كانت الحكومات الغربية قادرة على التحكم بقطاعات واسعة من الاقتصاد على وجه الخصوص تلك التي تقدم خدمات اجتماعية للناس كالتعليم والصحة، أو في بعض الشركات التي توظف أعدادا كبيرة من العمال، كصناعة الحديد والصلب، والمناجم، أو في القطاعات التي تعتبر مهمة للاقتصاد الوطني، كصناعة السيارات والغاز والنفط والفضاء، بالإضافة الى ذلك، فقد قيدت الحكومات الغربية الحرية الاقتصادية للشركات عن طريق قوانين جعلت مثلا قدرة الشركات على تسريح العمال أمرا صعبا، أو القوانين التي أعطت مجالس العمال حق النقض في مجالس إدارة الشركات، وأخيرا فقد وضعت الحكومات الغربية سياسات تهدف الى إعادة توزيع الثروة، فقد فرضت الضرائب المرتفعة على الشركات والافراد ذوي الدخل المرتفع، وتم استخدام عائداتها لتمويل دولة الرفاه.^{٤٢٤}

وأطلق على هذا النمط من الرأسمالية " الرأسمالية الاجتماعية " بحيث جمعت بين عناصر الرأسمالية وأخرى من الايديولوجية الشيوعية الاشتراكية، فقد تم تأسيسها على أفكار حرية السوق ومبدأ عدم التدخل (من قبل الحكومات) في الاقتصاد، ولكن في الوقت نفسه ضمنت نوعا من المساواة المادية بين الناس عن طريق أسلوب اشتراكي لتدخل الدولة في الاقتصاد، وقد تطور هذا النمط من الاقتصاد في أوروبا بسبب التأثير القوي للأفكار الاشتراكية تاريخيا في القارة الأوروبية على خلاف أمريكا، كما ان هناك سببا وراء ذلك يرجع لرغبة القارة الأوروبية بالدفاع عن نفسها أمام الاشتراكية.

في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي بدأ السياسيون الغربيون بسلوك مايعرف بالطريق الثالث، حيث بدأت أوروبا مرحلة تحرير السوق بحيث تمت إزالة كل ما لم تأت به العقيدة الرأسمالية من أفكار، وقد قاموا بهذا الأمر لسببين الاول: هو إدراكهم منذ أواخر السبعينات عدم قدرة هذا النمط على البقاء، فقد تبين أن معدل النمو الاقتصادي في الدول التي مزجت بين عناصر معينة من الاشتراكية والرأسمالية هو أقل منه في أمريكا، بالإضافة الى زيادة البطالة وللمديونية الناجمة عن عدم كفاية عائدات الضرائب لتمويل دولة الرفاه، وقد شعرت أوروبا أنه لا بد من فعل شئ ما. الثاني: الذي دفع أوروبا لسلوك الطريق الثالث في الثمانينات والتسعينات، هي الفترة التي بدأ فيها نجم الاشتراكية بالسقوط، فبسقوط الاتحاد السوفياتي سقط معه الايمان بالأفكار الشيوعية الاشتراكية، وقد أحدث هذا شعورا بالنصر إجتاح العالم الغربي حيث بلغ الاعتقاد بصحة الرأسمالية ذروته، وأصبح الايمان بالاشتراكية تخلفا ورجعية وأمر عفا عليه الزمن، والثقة بالرأسمالية المحضة، ومبدأ عدم التدخل (من قبل الدولة في الاقتصاد) نوعا من الموضة، وهذا هو الامر الذي دفع أوروبا في تلك الفترة لصرف النظر عن هذا النمط الذي طوره الى النمط الأمريكي من الرأسمالية المحضة غير الخاضعة للتأثير، وإلا فلماذا أثرت الأزمة المالية على أوروبا وهي في جوهرها أزمة مديونية الدولة الأمريكية، وكذلك فإن عملية تحرير الاقتصاد في أوروبا أثرت على قطاع المصارف أيضا، ففي أوائل العام ٢٠٠٧ كان الاقتصاد الأمريكي وبشكل تصاعدي مع مرور الزمن قد أغرق نفسه بالدين، وجدت البنوك الأوروبية نفسها في نفس وضع مثيلاتها الأمريكية، فقد ساهمت البنوك الأوروبية في سوق العقارات الأمريكية بغاية الربح عن طريق ضمان دخل ثابت، ولما لم يتحقق وجدت البنوك الأوروبية نفسها في أزمة سيولة نظرا لانخفاض قيمة موجوداتها بسبب انخفاض قيمة حصصها في سوق العقارات.^{٤٢٥}

بدأ التراجع في برامج الوثائق الاجتماعي في الولايات المتحدة في عهد الرئيس ريغان، حيث رفضت البرجوازية مواصلة تمويل دولة الرفاه، وتراجعت عن التزاماتها تجاه النقابات بسبب غلاء اليد العاملة الأمريكية مما عرقل إمكانية منافسة الشركات اليابانية التي تعتمد على الأيدي العاملة الرخيصة، وكانت النتيجة أن دفعت

425- ترجمة لمقال الخبير الاقتصادي الهولندي أندري دي فريس الذي القاه في المؤتمر الاقتصادي العالمي في الخرطوم عام ٢٠٠٩

الطبقة العاملة الأمريكية ثمن تعاونها مع البرجوازية، فتدنى مستوى معيشتها مقارنة بعمال أوروبا واليابان، هذا في حين زادت الشركات الأمريكية أرباحها، وتشير كافة المعطيات الى تفكك الوفاق الاجتماعي في الولايات المتحدة، فحتى الحرب العالمية الثانية كانت الشركات تدفع ٣٥% من الضرائب لخزينة الولايات المتحدة، أما اليوم فتدفع ١٢% فقط بالمقابل تصل ضريبة الدخل التي يدفعها العمال قاطبة الى ٥٠% من الخزينة اي مايعادل اربعة اضعاف ماتدفعه الشركات من هذا يتضح أن العمال يغطون برامج الرفاه الاجتماعي الخاصة بهم بأنفسهم.^{٤٢٦}

آفاق دولة الرفاه في الدنمارك

تسببت الأزمة الاقتصادية في الكثير من الجدل والنقاش، ونادرا ما كان خبراء الاقتصاد على هذا الحال من عدم التوافق حول ما إذا كان الاقتصاد الدنماركي يتعافى من عدمه.

فمن ناحية بعض التحليلات التي تشير الى أن وجود تصدع كبير في سوق العقارات كما أنها تشير إلى أزمة مستوى ارفاهية الاجتماعية، ومن ناحية أخرى هناك من يرد ويعد بتحسن الأوضاع، حيث الأزمة الاقتصادية لم تؤثر بالقدر الذي كان يتوقعه الكثير من المنتسائمين، وفي حقيقة الامر فأن لكل طرف من الطرفين الحق في التمسك برأيه، ولكل واحد منهما ما يؤيد رأيه، فالوضع الحالي يعد بالكثير على المدى القريب، بالرغم من ارتفاع نسبة البطالة بقدر ضئيل، إلا أن الأزمة مازالت بعيدة عن التأثير على سوق العمل بشكل كبير، وإذا ماتم انفراج هذه الأزمة فسيكون الاقتصاد الدنماركي قد اهتز بقوة أكثر من بعض الدول المتشابهة للاقتصاد الدنماركي ولكن ليس بالقوة التي يتوقعها الكثيرون.^{٤٢٧}

وقد يضلل الوضع في الدنمارك الكثير فيعتقدوا أن الاقتصاد الدنماركي مزدهر الى أقصى درجاته بصرف النظر عما خلفته الأزمة، ولكن الاقتصاد الدنماركي يعاني في حقيقة الامر من بعض المشاكل الخطيرة التي قد تعصف بعقود الرفاهية الاجتماعية الى الوراء، ولعل من أكبر المشاكل التي تواجه الاقتصاد الدنماركي هي المشكلة التي تركز عليه كبرى الشركات الدنماركية، وهي أن الدنمارك تفقد الكثير من الوظائف الصناعية والعلمية وذلك نظرا لأعتماد اقتصادها على الإنتاج القادم من

426- حافظ عليوي، التنقل الحر للرساميل واسواق المال... دولة الرفاه، الحوار المتمدن العدد ١٥٠٢
427- الصحيفة الدنماركية (يولاند بوسطن) أزمة الرفاهية الاجتماعية - ٠٨ - سبتمبر - ٢٠١١

البلاد ذات العمالة المنخفضة الأجور، حيث تتوقع الشركات أن تجد صعوبة في سد هذه الوظائف بعد عدة سنين، كما يتوقع أن يكون عدد الخارجين من سوق العمل أكبر من الداخلين اليه، أضف الى ذلك أن الاجيال القادمة ولأول مرة لن تكون على نفس القدر من العلم والكفاءة كالاجيال السابقة، ولكن هذا لم يمنع الدنمارك من ناحية أخرى من أن تبدأ في وضع الأساسات من أجل نمو اقتصادي قوي في المستقبل ومن أجل مجتمع أكثر رفاهية في العقود القادمة^{٤٢٨}. وسأطرق الى بعض السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي وضعتها الحكومة الدنماركية الجديدة بهذا الخصوص وهي كالآتي:

٦- **الموازنة العامة^{٤٢٩}**: أشارت آخر الإحصاءات والدراسات الى إنخفاض مقدار العجز في الموازنة العامة للمملكة عن المستويات التي كانت متوقعة لعام ٢٠١٢، وكانت الحكومة تتوقع عجزا بمقدار ١٠١ مليار كرونة خلال عام ٢٠١٢، الا ان التدابير الإستباقية التي نفذتها الحكومة ساعدت بعض الشيء على تخفيض هذا العجز بمقدار ٢٦ مليار كرونة ليصبح إجمالي العجز المتوقع لهذا العام ٢٠١٢ ٧٥ مليار كرونة.

من ناحيته طالب احد احزاب الحكومة " حزب القائمة الموحدة " بتوسيع حجم الإنفاق العام على الخدمات الاجتماعية التي شهدت تقشفا كبيرا في الفترة الاخيرة، كما طالب الحزب ايضا بالإنفاق على المستشفيات والمدارس وإعادة المدرسين والممرضات العاملين في القطاع العام الذين تم تسريحهم بسبب السياسة التقشفية للحكومة.

من جانبها رفضت وزيرة الاقتصاد والداخلية هذه المطالب مشددة على ان العجز مازال قائما وينبغي مواصلة العمل على تخفيضه، وأضافت بأنه يمكن توجيه بعض الموارد للاستثمار في التعليم والبحث العلمي وما شابه من مجالات قد تدفع عجلة نمو الاقتصاد الدنماركي الى الامام. والجدير بالذكر أن الحكومة قامت ومنذ أن تولت زمام الامور في الأشهر الاخيرة من عام ٢٠١١ بتنفيذ العديد من السياسات التقشفية

موقع أخبار الدنمارك www.akhbar.dk - 428

429- مقال لعيسى عبده نقلًا عن أخبار " تي في ٢ " الدنماركي بتاريخ ٣٠ - ابريل - ٢٠١٢

مثل الغاء نظام التقاعد الاختياري وتعديل قوانين إعانات البطالة المقدمة من النقابات وهو ما مكنها من تخفيض العجز الى هذا الحد.

٧- البطالة:٣٠؛ أشارت الاحصاءات التي قام بها مركز إحصاءات الدنمارك الى عودة نسبة البطالة الى الارتفاع مرة اخرى بعد أن شهدت الشهور الاخيرة من عام ٢٠١١ تراجعاً بسيطاً فيها، كما نصت الاحصائية كذلك على أنه في شهر فبراير فقط ارتفع عدد العاطلين عن العمل ليلبغ (٣٠٠٠) شخصا ٢٠٠٠ من الرجال والباقي من النساء، وهو ما يعني ارتفاع عدد العاطلين عن العمل في الدنمارك الى ١٦٤٠٠٠ عاطلاً.

وبهذه الزيادة الجديدة ترتفع نسبة البطالة في الدنمارك الى ٦,٢% بعد ان شهدت إنخفاضاً كبيراً في الأشهر الماضية من ٦,٤% الى ٦,١% وهو ما دفع البعض الى التفاؤل ببدء انكشاف تبعات الأزمة الاقتصادية على الدنمارك، وتعد مدينة كوبنهاغن ومنطقة شمال يولاند أكثر المناطق المتضررة من مشكلة البطالة على مدار الأشهر الماضية، الا ان كوبنهاغن لم تشهد أي تغيير في الأشهر الاخيرة حيث ظلت نسبة البطالة على ما هي عليه عند نسبة ٧,٦% في حين أن منطقة شمال يولاند شهدت ارتفاع البطالة فيها الى ٦,٤% بعد أن كانت ٦,١%.

٨- الضرائب: كشفت التحليلات والدراسات التي قامت بها الحكومة لقياس مدى كفاءة وفعالية قوانين الضرائب الجديدة عن أن هذه القوانين ساهمت في زيادة الفارق الاجتماعي بين طبقات المجتمع عما كان متوقعاً.

وقد أفادت التحليلات الحكومية بأنه وفقاً للقوانين الجديدة التي أقرتها الحكومة مع المعارضة الليبرالية من المتوقع أن يزيد الفارق بين دخول الطبقة الغنية والطبقات الأخرى داخل المجتمع الدنماركي. وعزا التحليل الحكومي اتساع الفجوة بين الطبقات الغنية ومحدودة الدخل الى تفضيل الحكومة التفاوض مع المعارضة الليبرالية بدلاً من حزب القائمة الموحدة، وهو ما زاد من انحراف مسار الاتفاقية عن مسار تحقيق العدالة الاجتماعية. وذكرت التحليلات كذلك أن الاتفاقية الجديدة تضر بثلاث فئات أكثر من غيرهم في المجتمع، وأن الثلاث فئات كلها من الفئات الضعيفة ومحدودة الدخل في المجتمع وهي العاطلون عن العمل، وأصحاب التقاعد المبكر، وأصحاب التقاعد الاختياري " الأقر لون ". وتجدر الإشارة الى ان الحكومة

واجهت انتقادات كثيرة على خلفية هذه الاتفاقية فضلا عن أنها أطاحت بها في إستطلاعات الرأي وزعزت ثقة الناخب فيها بحيث أصبحت لا تستطيع أن تحصل على أغلبية برلمانية في حال قيام إنتخابات جديدة.

ومن المتوقع ان تلغي الحكومة الضرائب على الهواتف النقالة وأجهزة الحاسوب الممنوحة من صاحب العمل والمعروفة " بالمالتيميا سكات ". كذلك ستعمل الحكومة على مكافحة العمل " بالاسود " وذلك بتحميل قيمة الضرائب المفقودة على المواطنين، أي بمعنى آخر ستصبح مسؤولية المواطن أن يتأكد من التزام العامل أو صاحب الخدمة بدفع قيمة الضرائب.

٤- المساعدات الاجتماعية

ستقوم الحكومة بإلغاء السقف أو الحد الأقصى للمساعدات والذي كانت الحكومة السابقة قد وضعت على المساعدات الاجتماعية" كونتانت يلب " حيث يصل الفرد الى الحد الأقصى بعد حصوله على المساعدات لمدة ٦ أشهر، وكذلك ستلغي الحكومة مساعدات البداية الخاصة بالأجانب ومساعدات " ستارت يلب "، وفي النهاية ستقوم الحكومة بإلغاء القانون الذي ينص على ضرورة عمل الشخص لساعات معينة في آخر سنتين للحصول على المساعدات.

٥- التعليم والبحث

من المتوقع أن تخصص الحكومة مبلغ مليار كرونة من أجل زيادة الاماكن الدراسية بالجامعات وكذلك سيحصل مجال البحث الحر على زيادة قدرها ٣٠٠ مليون كرونة وتسعى الحكومة الى توفير ١٥٠٠ مكانا لتدريب الطلاب.

٦- النمو والاستثمار

ستدفع الحكومة بالمزيد من الاموال لدفع عجلة النمو والاستثمار، ويبلغ حجم هذه الاموال ١٧,٥ مليار كرونة على مدار العامين المقبلين، وستعني هذه الاستثمارات بالطرق والسكك الحديدية والمستشفيات وإعادة تجديد المدارس والمنشآت مثل الحضانات ورعاية كبار السن.

كذلك قررت الحكومة زيادة المساعدات الخارجية بمقدار ٦٠٠ مليون كرونة، فضلا عن نية الحكومة توفير نسبة كبيرة من الاطعمة ٦٠% التي لاتضر بالبيئة والخالية من المواد الكيماوية في المؤسسات العامة.

وليس معروفا الى الان كيف ستقوم الحكومة بتوفير الاموال اللازمة لهذه الخطط،
الا ان خبراء يتوقعون ان تكون الرسوم والضرائب التي تنوي الحكومة فرضها على
السلع غير الصحية هي احدى المصادر للتمويل.

الخاتمة Endings

بعد انهائي كافة المداخلات العلمية للأبواب الاربعة المذكورة آنفا لابد لي من وضع خاتمة علمية لكل ما جاء في الابواب والفصول ضمن محورين الاستنتاجات والتوصيات وكالاتي:

أولاً: الاستنتاجات Conculision

توصل الباحث الى جملة من الاستنتاجات موضع البحث وكما يلي:

- ١- إرتأى الباحث إضافة باب كامل لتطور الاقتصاد العالمي ، وقد ذكرت في هذا الباب التطورات الاقتصادية عبر مراحل التطور التاريخي للمجتمعات وهي دراسة ضرورية لمعرفة مدى علاقة التطور الاقتصادي بالرفاهية .
- ٢-- كانت رفاهية الانسان البدائي تتجسد بالعفوية المطلقة من حيث تأمين حاجاته الضرورية المتواضعة، فكان معنى الرفاهية يتمثل بمعاني اللذة أو المنفعة والحصول على الحاجات الاساسية التي يستمد الانسان القديم منها بقاءه على قيد الحياة.
- ٣- غيرت الثورة الصناعية الطبيعة الاساسية للمجتمع الاوروبي من الحياة الريفية الى الحياة المدنية وأحدثت ثورات في مجال الصناعة والحياة اليومية للمجتمعات.
- ٤- في الباب الرابع كان التركيز على جغرافية واقتصاد وسياسة الدنمارك بشيء من الفصيل، ويرى الباحث ان هذا التركيز ضروري جدا لعلاقة هذا المحور على تحقيق الرفاهية . ومدى تمسك الفرد الدنماركي بتاريخه واقتصاده وسياسة بلده.
- ٥- إن اخفاقات بعض الدول النامية ومنها الدول العربية في تطوير النشاط الاقتصادي والاجتماعي وطبيعة الحكومات المستبدة يجعل من الصعب التنبأ بقدرة هذه البلدان من تحقيق الرفاهية لشعوبها.
- ٦- تعتبر كوريا الجنوبية نموذجا متقدما في مجال تحقيق القفزة النوعية في تطوير تقدمها الاقتصادي والاجتماعي وفي كافة الانشطة الاخرى.
- ٧- رغم أن مستقبل الرأسمالية يتطلب تدخلا واسعا وعميقا ومتنوعا من الدولة في الحياة الاقتصادية يتطلب أن يكون هذا التدخل فعالا في نفس الوقت، فأن نجاح الدولة

يتطلب تداولاً للسلطة واستقرار لمفهوم القانون واستقلال القضاء، فالدولة الرأسمالية لن تقوم بدورها بكفاءة في غياب الديمقراطية السياسية.

٨- ظهرت الاشتراكية من قلب الرأسمالية بوصفها رد فعل على النظام الرأسمالي الذي ظن الناس في وقت ما أنه سيجلب لهم مزيداً من الرخاء، وكانت نقطة البدء في التفكير الاشتراكي إسترداد القيم الإنسانية التي أهدرها النظام الرأسمالي.

٩- على الدول النامية الاستفادة من تجربة كوريا الجنوبية والدول الآسيوية التي حققت الرفاه لشعوبها في تطوير كافة مرافقها الاجتماعية بما في ذلك التربية والتعليمية خدمة لأقتصادها النامي الذي شمل الرفاهية بكل جوانبها.

١٠- أن الأفكار التي تناولت موضوع الرفاهية كمبغى إنساني منذ القدم وتناولت مفهوماً كيفية تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع، ونجد هذه الدراسات في أفكار الكثير من المنظرين من الاقتصاديين أو الاجتماعيين أو رجال السياسة.

١١- إن فكرة الضمان الاجتماعي هي ليست من بناء هذا القرن ومن صنع الغرب، بل أن هذه الفكرة وهذا النظام قد أقره الإسلام قبل ١٤ قرناً من الزمن.

١٢- كانت الأفكار التي أطلقها " جان جارس ليوناردي " في وجه الحرية الاقتصادية وإعادة النظر في الإفراط في الإنتاج وإعطاء دور للدولة في النشاط الاقتصادي، أصبحت علامة إستفهام منذ ذلك الوقت وحتى إنبثاق الكلاسيكية الجديدة والتي أفضت إلى مفهوم الرفاهية ودولة الرفاهية وقد تجسدت هذه المفاهيم بعد الكساد الاقتصادي الكبير عام ١٩٢٩، حيث أصبحت القناعة تميل إلى الاعتقاد بأن رفاهية الفرد أهم من أن تترك لمجرد عمليات قوى السوق.

١٣- أن جميع دول الرفاه هي دول صناعية متطورة وغنية نسبياً، بالإضافة إلى هذا فإن معظم هذه الدول هي دول رأسمالية ذات اقتصاد سوق متطور، وكذلك وجود أنظمة حكم ديمقراطية فيها تعترف بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية لمواطنيها.

١٤- إن ظهور الاحتجاجات الاجتماعية والدعوة المتزايدة إلى الاشتراكية والشيوعية في البلدان الرأسمالية الأوروبية وبهدف وقف هذا المد الشيوعي من جهة وللسيطرة

على الازمة من جهة اخرى قاموا بتقديم تنازلات للعمال وإعطائهم مزايا اجتماعية شكلت بدايات دولة الرفاه الاجتماعي.

١٥- هناك ثلاث نماذج لدولة الرفاه الاجتماعي تختلف بعضها عن بعض في نظام الرعاية الاجتماعية لمواطنيها وهذه الانماط هي: ١- النمط الليبرالي ٢- النمط التعاوني ٣- والنمط الشامل.

١٦- تعتبر الدول الاسكندنافية النموذج الامثل للنمط الشامل بسبب التوليف الذي يعتمده، فهو يولف بين الاشتراكية والليبرالية من ناحية وما بين السوق والاستخدام من ناحية ثانية.

١٧- تعتبر سمات الرفاهية في الدول الاسكندنافية هي سمات مشتركة وتستحق ما تسميته " الطريق الوسط " للتطور في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

١٨- توحدت الدنمارك في نهاية القرن العاشر تحت حكم ملك واحد ولذا تعد أقدم مملكة في أوروبا وقد أصبح حكم الدنمارك حكما ديمقراطيا لأول مرة في عام ١٨٤٩م.

١٩- يعد اقتصاد الدنمارك من الاقتصاديات الحديثة في كل مقوماتها إذ يعتمد على قطاع زراعي بأحدث المكننة الزراعية وقطاع صناعي ويعتمد على الصناعات الصغيرة والكبيرة الحديثة وتدابير حكومية موسعة في مجالات الرعاية الاجتماعية ومستويات معيشية مرتفعة وعملة مستقرة.

٢٠- إنهيار الاتحاد السوفياتي تراجع الايمان بالأفكار الشيوعية الاشتراكية، وقد أحدث هذا شعورا بالنصر إجتاح العالم الغربي حيث بلغ الاعتقاد بصحة الرأسمالية ذروته، وأصبح الايمان بالاشتراكية تخلفا ورجعية وأمرا عفا عليه الزمن، والثقة بالرأسمالية المحضة، ومبدأ عدم التدخل (من قبل الدولة في الاقتصاد) نوعا من الموضة، وهذا هو الامر الذي دفع أوروبا في تلك الفترة عن التوصل من التزاماتها بموضوع الرفاه بحجة ان تكاليف الرفاه تكلف الدولة مبالغ طائلة.

٢١- من خلال جمع البيانات الاحصائية من خلال المعاهد البحثية المختصة بتقييم مستوى الرفاه في مجموعة من دول العالم تبين ان الدنمارك والنرويج ولسنوات متعاقبة يتنافسان على مركز الصدارة في العالم وبحسب مؤشرات متباينة ومن هذه

التقييمات إتضح إن أفضل مكان للعيش في العالم هو النرويج، وإن أكثر سعادة في العالم هي الدنمارك.

ثانياً: التوصيات

نذكر هنا كل ماتوصل اليه الباحث من توصيات وكما يلي:

١. إن الاهتمام بما يدعى دولة الرعاية الاجتماعية في العديد من الدول الصناعية المتقدمة كان نتيجة عاملين.. الاول: الازمة الاقتصادية التي تعرضت لها الدول الصناعية عام ١٩٢٩م. والثاني: الرغبة الجامحة في مواجهة النموذج الاشتراكي الذي بدأ يحقق نجاحات مهمة قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها. لذا فأن النظام الرأسمالي ليس مهتما بدولة الرفاه الاجتماعي إلا بالقدر الذي يحفظ جوهر النظام ويجدد الرأسمالية، لذا على الدول ان لاتعول على هذا النظام الذي سعى أخيرا الى تفويض دولة الرفاه والتنصل عن التزامات الخدمات الاجتماعية المقدمة لشعبها.
٢. إن السوق في النظام الرأسمالي لايمكك حوافز لتخصيص الاموال للتنمية التقنية والصناعات الكبرى، لذا فأن تدخل الدولة ضروري، فضلا عن دورها في مجال الاستثمار عندما تفشل الاسواق في توليد الاستثمارات بنفسها، كما أن على الحكومات أن تتدخل للتوفيق بين المصلحة الذاتية والمصلحة العامة.
٣. أن النتيجة النهائية للنظام الرأسمالي من خلال الأزمات الاقتصادية المتتالية على اقتصاديات الدول المتقدمة توحى بأن دول الرفاه في طريقها الى الانحلال، فعلى البلدان النامية التي حققت الرفاه الاقتصادي والاجتماعي لبلدانها أن تسعى لتقوية اقتصادياتها وتأخذ جانب الحذر قبل الوقوع في متهات النظام الرأسمالي المتقلب.
٤. طالما أن الدول النامية تملك أسواقاً نامية أو لا أسواق على الاطلاق، ومعلومات ناقصة وأسواق رأسمالية ناقصة، وشركات صغيرة وغير مترابطة، وطالما أن التنمية تتطلب إكتساب تكنولوجيا جديدة وتأمين التدريب والقروض والاعانات المالية، فمن غير الممكن الاعتماد على السوق لتهيئ أو حتى تحث التنمية الاقتصادية، بل للدولة الدور الرئيسي في المسائل الفعلية المتعلقة بطبيعة دورها وتوقيته وليس بما إذا كان هناك حاجة اليه ام لا.
٥. هناك علاقة بين انتاج الرفاهية وبين مرحلة التطور الاقتصادي للبلد، لذا على الدول النامية اولاً انجاز مهمات التنمية الشاملة في بلدانها لتستطيع بعد ذلك أن تقوم بآنتاج الرفاهية وتحقيقها في هذه البلدان.

٦. أن العدالة الاجتماعية هي أهم سمات الرفاه الاجتماعي، فعلى الدول الساعية لتحقيق الرفاه لمواطنيها أن تعي جيدا الاعتماد على تحقيق المساواة والعدالة لمواطنيها في كل الاجراءات الاقتصادية التي من شأنها أن تلغي الفوارق الطبقيّة بين أبناء المجتمع.
٧. على الدول النامية عليها أن تعمل على تغيير أنظمتها السياسية البالية وتطبيق مبدأ الديمقراطية الانتخابية لتكون قادرة على تحقيق الرفاه لشعوبها من خلال اجراءات اقتصادية معتمدة على تحقيق التنمية الشاملة الاساسية لتنشيط الاقتصاد الوطني.
٨. أن المهمة الاساسية لكل أنماط دول الرفاهية هي أن تتكفل قانونيا بالرفاهية التي تعني تحويلات نقدية وخدمات بنى تحتية ووضع وتنفيذ سياسات تشمل حقوق الصحة والتعليم والاسكان والتأمينات الاجتماعية وحماية العمل ودعم العوائل، والرفاهية في هذه الحالة هي مسؤولية الدولة حصراً.
٩. أن نيل الحقوق الاجتماعية يفترض تحقيق درجة معينة من العدالة، ولا يمكن بلوغ ذلك إلا من خلال مؤسسة تتسم بالحياد والنزاهة، هي الدولة التي تمتلك من الوسائل مايمكنها من إعادة التوزيع المرغوب به إجتماعياً، وبتوليف القيم الأخلاقية مع قوانين الكفاءة التي يقوم عليها علم الاقتصاد.
١٠. أن بناء دولة الرفاهية لن تتحقق إلا بالقيام بكل ما هو ممكن لإقامة الديمقراطية وفرض التدوال السلمي للسلطة، ووضع آليات ناجعة للمحاسبة وإفساح المجال أمام الحريات وعقلنة أنظمة الحكم والارتقاء بالمستوى الثقافي والتعليمي للمواطن، ومن هنا أهمية إعادة النظر في الانظمة التربوية والتعليمية الموجودة حالياً والتي أثبتت فشلها الذريع.
١١. يمتاز الاقتصاد العربي بأنه اقتصاد ريعي، ولا يمكن أن تكون الدولة ريعية وفي نفس الوقت دولة رفاه، فالرفاه لايمكن أن يعتمد على مصدر ريعي زائل وناضب وغير قابل للتجدد، وإنما يعتمد الرفاه على هيكل إنتاجي متنوع وموارد قابلة للنمو المستدام بما فيها الموارد البشرية نفسها، وقد كان ذلك هو المصدر الذي أعتمدت عليه دولة الرفاه في الغرب.
١٢. أن الاشتراكية بوصفها نظرية لم تهزم، وإن سقطت التجربة طالما ظلت الجماهير تعاني من ظاهرة الاستقطاب الاجتماعي، والناس يعانون من الفاقة والحرمان، فلا غنى عن الاشتراكية بوصفها الملاذ الآمن للفقراء والوسيلة لبناء مجتمع الكفاية والعدل. لذا يوصي الباحث بأعتماد النموذج الاشتراكي الذي بإمكانه تحقيق الرفاه للمجتمع.

١٣ . عشنا حلم الوصول الى دولة الرفاهية على الصعيد النظري، ومن حقنا أن نحلم، وحتى ننجز هذا الهدف عمليا يفترض السير قدما على طريق الديمقراطية الناجعة من الداخل العربي بعيدا عن ديمقراطية الاحتلال التي تروج لها الإدارة الأمريكية، ولا بد من إشراك أصحاب المصلحة الحقيقية في الاصلاحات الاقتصادية والسياسية في صناعة مستقبلهم، وأن نهتم بصناعة الإنسان (تنمية الموارد البشرية) قبل الاهتمام بتطوير الصناعة والزراعة، فالانسان هو غاية التنمية السياسية ووسيلتها.

مراجع

من خلال دراستي لموضوع بحثي عرجت على المصادر التالية:

أولاً: الكتب

وقد نظمت تلك الكتب وفق المصادر العربية والاجنبية وكالاتي:

أ- الكتب العربية وهي كما واضحة في أدناه:

- الياس مرقص - الماركسية والشرق - بيروت - ١٩٦٩ .
- أريك رول - تاريخ الفكر الاقتصادي - ترجمة راشد البراوي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - ١٩٨٦ .
- انور محمود، د - اكتشافات واستكشافات - تأليف أرفنج روبين - دار الشرق - ١٩٨٦ .
- أريك رول - تاريخ الفكر الاقتصادي - ترجمة راشد البراوي - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - ١٩٨٩ م.
- احمد. د- مستقبل نظرية اقتصاد السوق الراسمالي - مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن - ٢٠١٠
- اولريش شيفر - انهيار الراسمالية اسباب اخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود - ترجمة عدنان عباس - الكويت - ٢٠١٠
- أنتوني - مستقبل الاشتراكية - مطبعة جامعة كورنيل - نيويورك - ١٩٤٧ - ص ٥٢
- الامام، محمد محمود، د - التخطيط من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية - دار الجيل للطباعة - القاهرة - ١٩٦٣ ص ٦
- أمين، سمير. د - في مواجهة أزمة عصرنا- القاهرة- سينا للنشر- بيروت - الانتشار العربي- ١٩٩٧ ص ١٤٠
- الحمش، منير- د، مسيرة الاقتصاد العالمي في القرن العشرين في الفكر والنمو والازمات والفوضى، دمشق، الاهالي للطباعة، ٢٠٠١. ص ١٢٤
- القرآن الكريم. سورة الذاريات، الاية ٢٢

- الكفري، مصطفى العبد الله – الاشتراكية كنظام اقتصادي اجتماعي – الحوار المتمدن – العدد – ٦٥٢ - ٢٠٠٣
- المصطفى قصابوي – كوريا الجنوبية – نموذج لبلد حديث النمو الاقتصادي
- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٤
- الصدر، محمد باقر، أقتصادنا، الجزء الاول ، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الاسلامية، النجف الاشرف، العراق، ٢٠١، ٢٠٢
- الشاطبي، الموافقات في اصول الاحكام، ج٢. ص5
- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٣٢٥
- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٩٠
- الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص١١٩
- أندرو سكوتر، علم أقتصاد السوق الحرة، ترجمة نادر إدريس التل (عمّان: دار الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ١٩٩٠) ص١٠١
- المرجع: لسان العرب ١٦٩٨/٣، المصباح ٦٠٩/٢، فقه الاقتصاد العام
- القادري، علي. أ، دولة الرفاهية الاجتماعية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦
- الرداوي تيسير، تاريخ الافكار والوقائع الاقتصادية. جامعة حلب، حلب، ١٩٩٠، ص٢٣٩
- ابراهيم العيسوي، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز الدراسات العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦، ص١٣٢
- أمين سمير، في مواجهة أزمة عصرنا. مؤسسة النشر العربي. بيروت ١٩٩٧، ص٥٣
- الشرفاوي عبد الحكيم مصطفى، العولمة المالية وامكانات التحكم، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص١٧

- الشمالي نصر، فساد النظام العالمي. دار المستقبل، دمشق ١٩٩٥، ص ٤٠
- الرداوي تيسير، تاريخ الافكار والوقائع الاقتصادية. مصدر سابق، ص ٥٦٠
- ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني (بيروت، دار المعرفة، ص ٥١)
- البيلالوي. حازم، د - كوبنهاكن وعودة مالتس - جريدة الاهرام المصرية - ٧ مارس / ٢٠١٠
- بول جريجوري وروبرت ستيورت - النظم الاقتصادية المقارنة - ترجمة د. طه عبد الله - دار المريخ للنشر - ١٩٩٤.
- باين، روبرت - حياة وموت لينين - جرافتون ص ٤٢٥-٤٤٠
- بدوي، عبد الرحمن- خريف الفكر اليوناني- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٩- ص ١٢١
- بوكسبرغر جيرالد وكليمنتا هارلد، الكذبات العشر للعلمة، سلسلة الرضا للمعلومات، دمشق ١٩٩٩، ص ٧٤
- تشير كاسوف كاشين - سلسلة مبادئ - ماهي الفترة الانتقالية - دار التقدم - موسكو - ١٩٨٨
- جعفر حسن - مقالة بعنوان - تاريخ ما قبل النار - مجلة الوطن المصرية - ٢٠٠٧
- جون آيتن - الاقتصاد السياسي - الفصل الاول - ص ٦-١٥
- جامعة فرحات عباس - كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير - ملخص تاريخ الوقائع الاقتصادية - ٢٠٠٧.
- جوزيف ستيغليتز - الاشتراكية الى اين - كامبرج، ماساتشوستس - معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ١٩٩٥
- جاي انكرل - الاحتكارات الراسمالية والاشتراكية - رسالة ماجستير - كامبردج - ١٩٧٨

- جان توشار، تاريخ الافكار السياسية، ترجمة د. ناجي الدرواشة، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٤، ج١، ص١٩
- جميل صليبا-تاريخ الفلسفة العربية- الشركة العالمية للكتاب- بيروت ١٩٨٩، ص١٤٠-١٤٢
- نجاح عبد العليم ابو الفتوح – اثر استبعاد الفائدة على كفاءة تخصيص الموارد في التحول الى اقتصاد اسلامي، اطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق-كلية التجارة – قسم الاقتصاد – القاهرة ١٩٩٤، ص٢٣٤
- جورج ه. ساباين، تطور الفكر السياسي، ترجمة راشد البراوي، ج٣ – القاهرة ، دار المعارف، ١٩٧١، ص٤٧٩
- جون ستيوارت مل، عن الحرية، (القاهرة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، ٢٠٠٠، ص١٦
- جون كينيث جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠٠، ص١١٢
- جون كينيث جالبريت- تاريخ الفكر الاقتصادي- الماضي صورة الحاضر- عالم المعرفة- الكويت- ١٩٧٨ ص ٢٢٧ - ٢٣٧
- جورج نايمهانز، تاريخ النظرية الاقتصادية، الاسهامات الكلاسيكية، ترجمة أ.د، صقر احمد صقر، المكتبة الاكاديمية، ١٩٩٧
- جناحي، العقلية الربعية وتعارضها مع مقومات الدولة الديمقراطية- ص٥٧
- حشيش، عادل احمد – تاريخ الفكر الاقتصادي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٧٤
- حمد، موفق خزعل-د- أزمة النظام الراسمالي- الابعاد الفكرية والتداعيات الاقتصادية بعد الكينزية- العوران.
- حافظ عليوي، التنقل الحر للراسمائل واسواق المال... دولة الرفاه، الحوار المتمدن العدد ١٥٠٢

- حسن الظاهر ، دراسات في تطور الفكر السياسي، مطبعة أنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص ٢٠٥
- حسن الظاهر – دراسات في تطور الفكر السياسي- ص ٤٧٢
- حسين عمر،د، الرفاهية الاقتصادية، بحث في الاسس العلمية والتطبيقات العملية لرفاهية الفرد والمجتمع، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٩ .
- حبيب مطانيوس، قراءة في القطاع الخاص، بحث مقدم لندوة الثلاثاء الاقتصادي، جمعية العلوم الاقتصادية. دمشق، ٢٩\٣\٢٠٠٥
- حسن نافعة، دولة الرفاهية الاجتماعية، الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٣٩
- حسين حرب،د – الفكر اليوناني – افلاطون، دار الفارابي، بيروت- ١٩٨٥. ص ١٥
- خليل حسن خليل.د – الاقتصاديات الاشتراكية – الجزء الرابع – معهد التخطيط القومي – القاهرة – مذكرة رقم ٥٨٠ – ١٩٦٥ ص ٥
- درواسي، مسعود. د – دور الدولة في النشاط الاقتصادي والسياسة الاقتصادية – كلية الاقتصاد والتسيير – الجزائر.
- دوب، شمولر – النظريات الاكاديمية المختلفة حول اشكال ونمو المدن في اواخر القرون الوسطى.
- دهمان، عبد المنعم، اقتصاد السوق الاجتماعي وتحديات تطبيقه في سورية، حلب ٢٠٠٧
- دافيد ستوكمان – نيويورك: هاربر أندرو، ١٩٨٦ The Triumph of politics - ١
- روبرت هيلبرونر، قادة الفكر الاقتصادي، ترجمة راشد البروارى (القاهرة: دار النهضة المصرية، ١٩٦٣، ص ٩١

- راشد البرواري , النظام الاشتراكي , الطبعة الاولى , دار النهضة - بيروت - ١٩٨٥ - ص ١٢
- رحاب احمد صالح, د. المملكة الدنماركية، سوريا- وزارة الاعلام، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٣٧،
- رحاب أحمد صالح. د. المملكة الدنماركية- وزارة الاعلام- مديرية الرقابة- دمشق. ٢٠٠٧. ص ٨٤-٨٥
- زكريا فؤاد. د - الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية - دار مصر للطباعة - ٢٠٠٥
- زكريا احمد نصر - تطور النظام الاقتصادي - الطبعة الاولى - مطبعة نهضة مصر - ١٩٦٤
- زكريا، فؤاد. د - الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية - دار مصر للطباعة - ٢٠٠٥
- زياد حافظ - دولة الرفاهية الاجتماعية - اوضاع الاقطار النفطية وغير النفطية- مركز دراسات الوحدة العربية. ٢٠٠٥ - ص ٤٣٣
- سعيد، جمال الدين. د - التطور الاقتصادي في العالم - ١٩٦٠ - ص ١٩٩
- شلبي، أحمد. د - الانظمة الاقتصادية في العالم - دار النهضة المصرية - ١٩٧٦ .
- شافعي، محمد زكي. د - التنمية الاقتصادية، الكتاب الثاني - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٠ ص ٨
- شافعي، محمد زكي، د. التنمية الاقتصادية، الجزء الاول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧
- شيحة، مصطفى رشدي، د - الاقتصاد العام للرفاهية - الدار الجامعية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٩٣
- صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥)، ص ٤٣٨

- طاهر كنعان – ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ٢٠٠٦
- عبد الفتاح. معتز بالله، أ.د، الاسس الفلسفية والسياسية للوظيفة التوزيعية للدولة، بيروت ٢٠٠٦، ص ١٦٩
- عاطف قبرصي. دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٧٦
- عبد الهادي، دلال. أ.م- ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت- الطبعة الاولى، ٢٠٠٦. ص ١١٥
- علي القادري، ندوة الرفاهية الاجتماعية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت . ٢٠٠٦
- عبد الوهاب الكيلاني، د. كتاب موسوعة السياسة- الجزء الثاني، ص ٧١٣
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بغداد، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ص ٨٥
- عجمية. عبد العزيز، د – التطور الاقتصادي في الاتحاد السوفيتي – بيروت – ١٩٩١
- عامر حسن فياض، علي عباس مراد- مدخل الى الفكر السياسي القديم والوسيط، منشورات جامعة دار يونس بنغازي ص 26
- عجمية، عبد العزيز، د – التطور الاقتصادي في اوروبا والعالم العربي- الدار الجامعية –بيروت – ١٩٨٨ ص ٤٩
- عمر، حسين – تطور الفكر الاقتصادي – الكتاب الاول – دار الفكر العربي - ١٩٩٤
- عصام شعبان حسن – مدخل لعلم الاقتصاد السياسي – مركز دراسات وابحاث الماركسية واليسار - ٢٠٠٨
- عفيفي فتحي. د – التاريخ القديم – جامعة الازهر – موسوعة حضارة العالم ١٩٧٩ ١٢- غنيم، أحمد محمد –تطور الملكية الفردية – ص ٤٦

- فريدريك أنجلس – دور العمل في تكوين الانسان
- فريدريك أنجلس – أصل العائلة
- فلاديمير ايلتش لينين – رأسمالية الدولة في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية – دار التقدم – موسكو - ١٩٨٣
- فريدريك انجلس – تطور الاشتراكية من طوباوية الى علم – دار الفارابي – بيروت - ١٩٧٨
- فليح حسن خلف – أقتصاديات الوطن العربي – مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - ٢٠٠٤
- فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١) ص ١٧٣^١
- فؤاد عباس، الاسلام مع الدولة الحارسة أم مع دولة الرفاهية؟
- فان كيسبيركن، الرأسمالية الاجتماعية، لندن، روتليدج، ١٩٩٥
- فؤاد نهرا، استاذ جامعي في الفلسفة والعلوم السياسية- فرنسا
- فؤاد نهرا، النموذج الدولي الفرنسي والنموذج التعاوني الالمانى، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦
- فريدريك أنجلس – دور العمل في تكوين الانسان
- فريدريك أنجلس – أصل العائلة
- فلاديمير ايلتش لينين – رأسمالية الدولة في مرحلة الانتقال الى الاشتراكية – دار التقدم – موسكو - ١٩٨٣
- فريدريك انجلس – تطور الاشتراكية من طوباوية الى علم – دار الفارابي – بيروت - ١٩٧٨
- فليح حسن خلف – أقتصاديات الوطن العربي – مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع - ٢٠٠٤
- فتح الله ولعلو، الاقتصاد السياسي (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١) ص ١٧٣^١

- فؤاد عباس، الاسلام مع الدولة الحارسة أم مع دولة الرفاهية؟
- فان كيسبيركن، الرأسمالية الاجتماعية، لندن، روتليدج، ١٩٩٥
- فؤاد نهرا، استاذ جامعي في الفلسفة والعلوم السياسية- فرنسا
- فؤاد نهرا، النموذج الدولي الفرنسي والنموذج التعاوني الالمانى، دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦
- كبة، ابراهيم , د. دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي , الجزء الاول , مطبعة الرشاد 1970
- ماكس فيبر – التاريخ العام للاقتصاد – الفصل الاول - ١٩٢٣
- كارل ماركس وفريدريك انجلس – البيان الشيوعي – الترجمة الفرنسية – ص ٢٩
- كلارك، غريغوري – الاقتصاد العالمي- نشأته، وتطوره، ومستقبله –الدار العربية للعلوم ناشرون- ترجمة امين الايوبي-٢٠٠٩ –ص ٢٦٠-٢٦١.
- كروسلاندا، أنتوني. مستقبل الاشتراكية – كونستابل ٢٠٠٦ – ص ٨٩.
- كريغ كالهون، أد – اشتراكية السوق - مطبعة أكسفورد - ٢٠٠٢
- كليمنيتيف وفاسيليليا – ماهي الاشتراكية – دار التقدم – موسكو - ١٩٨٧
- كاترين فيرديري – ماهي الاشتراكية، وما هو قادم – وبرنستون - ١٩٩٦
- كارل ماركس – فريدريك انجلس- الجريدة الرنانية الجديدة – دار ابن خلدون – بيروت - ١٩٧٦
- لقوشة ، رفعت، د. – الليبرالية الاجتماعية محاورة في مستقبل التاريخ – المكتبة الاكاديمية – القاهرة ٢٠٠٤ .
- لبللوي، حازم.د – الدولة في النظام الراسمالي – تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية – القاهرة ٢٠١٠.
- لاجورجي جزريف – النظم الاقتصادية – ترجمة غسان رشيد – المنشوات العربية – ١٩٨٠.

- لطفي، علي. د ، التطور الاقتصادي , دراسة تحليلية لتاريخ اوروبا ومصر , مكتبة عين شمس , القاهرة ١٩٨٤
- لاجورجي جوزيف- النظم الاقتصادية- ترجمة غسان رشيد- المنشورات العربية- ١٩٨٠
- لبنى وجدي الطحلاوي – مقالات – مجلة عالم الاقتصاد - ١ - ٨ - ٢٠٠٢
- ليونتييف – موجز الاقتصاد السياسي، دار التقدم – موسكو – ١٩٧٥ ص ٢٢٠
- معهد الاقتصاد السوفياتي , ملخص في الاقتصاد السياسي , الترجمة الفرنسية , ١٩٧٩ – ص ٢١
- محمد محروس اسماعيل – التطور الاقتصادي في اوروبا – الدار الجامعية – بيروت - ١٩٨٨
- مسعود، مجيد. د , دليل المصطلحات التنموية , دار المدى للثقافة والنشر , دمشق ٢٠٠١، ص ٧٠ .
- منصور، احمد ابراهيم.د – عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية، رؤية اسلامية- مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت ٢٠٠٧.
- مطانيوس حبيب – التنمية الاقتصادية – منشورات جامعة دمشق.
- ماكوتو ايتو – الاقتصاد السياسي للاشتركية – لندن – ماكميلان -١٩٩٥
- مي حناينة – باحثة اردنية – ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية – مركز الدراسات الوحدة العربية –بيروت -٢٠٠٦
- مقلد، محمد سالم، د. جغرافية الوطن العربي – الانتاج الصناعي في الوطن العربي – جامعة طنطا - ٢٠٠٠
- مصطفى قلوبش – الحريات العامة ، الجز الاول الحريات العامة في المذاهب المعاصرة، طبعة ١٩٩٩-٢٠٠٠ القاهرة
- مصطفى سيد احمد صقر- نظرية الدولة عند الفارابي- مكتبة الجلاء الجديدة المنصورة- طبعة ١٩٨٩

- مصطفى العبد الله الكفري، أفلاطون والافكار الاقتصادية، الحوار المتمدن، العدد ٩٦٦، ٢٠٠٤
- مصطفى سيد احمد صقر - نظرية الدولة عند الفارابي، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، ١٩٥٩
- منصور، احمد ابراهيم، د. عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية- رؤية اسلامية مقارنة- مركز دراسات الوحدة العربية- سلسلة اطروحات الدكتوراه، ص ١٣٦
- محمد رشيد رضا، تفسير القآن الكريم (تفسير المنار) للامام الشيخ محمد عبده القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ج٣، ص ١٩٦
- محمد عمارة، التكافل الاسلامي يعني التوازن الاجتماعي، جريدة الشرق الاوسط، العدد ٩٠٩٦. ٢٤ - اكتوبر - ٢٠٠٣
- محاضرة الضمان الاجتماعي في الاسلام، للشيخ عبد الامير الجمري في جامع جدحفص عام ١٩٧٤
- منصور، احمد ابراهيم. د. عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية ، رؤية اسلامية مقارنة، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة اطروحات دكتوراه، ص ١٤٦
- محمد عمر شايرا، الاسلام والتحدي الاقتصادي، ترجمة محمد السمهوري، عمان: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٦، ص ١٥٤
- محمد دويدار، العولمة الاقتصادية، مقولة علمية ام مقولة أيديولوجية؟،
- محمد دويدار، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٦
- منير الحمش، دولة الرفاهية الاجتماعية ، الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦، ص ١٣٨
- ماكميلان - اقتصاديات الرفاهة - لندن ١٩٢٠
- نورينا هيرتس - السيطرة الصامتة، الراسمالية العالمية وموت الديمقراطية، عالم المعرفة العدد ٣٣٦ - الكويت ٢٠٠٧.

- نخبة من الاساتذة السوفيت – الاقتصاد السياسي للاشتراكية الجزء الرابع – دار الجماهير – دمشق - ١٩٧١
- نابلسي، محمد سعيد، د – الاقتصاد السياسي، جامعة دمشق – ١٩٨٥ ص ٤١٣
- نعيسة، يوسف جميل. د. تاريخ الفكر السياسي، جامعة دمشق، مطبعة رياض، دمشق ١٩٨٢، ص ١١٣
- نجاح عبد العليم ابو الفتوح، مدخل الى الاقتصاد الاسلامي (القاهرة، جامعة الازهر)
- نجيب عيسى، دولة الرفاهية الاجتماعية، ندوة فكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٣٥
- نجيب عيسى، ندوة دولة الرفاهية الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٣٥-١٣٦
- هاشم، اسماعيل محمد , محاضرات في التطور الاقتصادي , دار النهة العربية للطباعة والنشر, ١٩٧٨
- هاشم، سامي عفيفي ، د – التجارة الخارجية بين التنظيم والتنظيم – الكتاب الاول – الدار المصرية اللبنانية – ١٩٩١ .
- هادي حسن، النموذج الاجتماعي الديمقراطي- دراسة مقارنة بين السويد والنرويج والدنمارك وفنلندا، مركز الدراسات العربية، بيروت، ٢٠٠٦. ص ٢٤٠
- هادي حسن، دولة الرفاهية الاجتماعية – مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- ٢٠٠٦- ص ٢٢٩
- يونهاب – كوريا الجنوبية- ستركز على الرعاية الاجتماعية الخاصة- سيؤول - ٢٠١١
- يوسف ابيش – الفلسفة الاسلامية السياسية، دار الحمراء للطباعة، بيروت، ١٩٩٠، ص 28

المصادر الاجنبية

- 1-Adam smith,the wealth of nations. Encyclopaedia Britannica, vol2, p535, 1976
- 2-Beblawi.- The Rentier State in the Arab World – p. 89.
- 3-John Kenneth Galbraith, The Affluent Society (London, Hamish Hamilton, 1965, p. 50
- 4-Clasen, J, Comparative Social Policy, Oxford: Blackwell, 1999.
- 5-Georg Wilhelm Friedrich Hegel, The Philosophy of Right, Oxford University Press, 1952.
- 6-Henry E. Allison, Kants Theory of Freedom (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1990).
- 7-Gosta Esping – Andersen, The Three Worlds of Welfare capitalism Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990).(
- 8-Janet C. Gornick and Jerry A. Jacobs, “ Gender, the Welfare State, and Public Employment: A Comparative Study of Seven Industrialized Countries” American Sociological Review, vol. 63, no.5. 1998, p. 692.
- Fine, (Whither the Welfare State: Public Versus Private Consumption?.
- 9-D. Snower, ” What is the Domain of the welfare State” London: Macmillan. 1996.

10-E. Phelps. “ on the Damaging Side Effects of the Welfare System: How, Why and What to Do “ in: Baldassarri, Baganetto and Phelps, eds. Ibid.

11-A. Lindbeck, ” Welfare State Dynamics ”in: European Commission, The welfare State in Europe, Luxembourg, 1997.

12-A. Lindbeck. (Hazardous Welfare-State Dynamics) American Economic Review, vol. 85. No 2: 1995. P 9

13-Claude Meillassoux, Maidens, Meal, and Money: Capitalism and the Domestic Community, Cambridge University 1981.

14-Clasen, J., Comparative Social Policy, Oxford: Blackwell, 1999.

15-Pierson, C., Beyond the Welfare State. Cambridge: Polity, 1998.

16-Pierson, C., The New politics of the Welfare State. Oxford: Oxford University Press, 2001.

17-Espin-Andersen, G, Welfare States in Transition, London: Sage, 1996.

18-Clasen, J. Comparative Social Policy, Blackwell, 1999

19-Pierson, C., The New Politics of the Welfare State. Oxford: Oxford University Press, 2001.

20-Espin – Andersen, G., The Three Worlds of Welfare Capitalism, Cambridge: Polity Press, 1999.

21-Gosta Esping Andersen, Social class, Social Democracy, and state policy, party policy and party Decomposition in Denmark and Sweden,

New Social Science Monograph, E8(Copenhagen, New Social Science Monographs. 1980.

22-J.M.Keynes,(The end of laissez faire) collected writings (London: Macmillan, 1982).

23-Paul Mattick, marks and keynes: The limits of the mixed economies (London: Marlin Press, 1974), p. 89.

24-P.A. Samuelson, Economists and the History of Ideas (Cambridge, MA: Harvard University Press; 1962) pp. 190-195.

25-Keynes(The End of Laissez Faire) p. 190.

26-T.W.Hutchison, The politics and philosophy Economics: Marxians,keynesians,and Austrians(oxford:Blakwell, 1981,p89-96

27-Howard Davis and Richard Scase,(western capitalism and state socialism) sociological inquiry, 1990 p.208

28-Robert Nozick, Anarchy, state and Utopia (London: oxford press; New York: Basic Books; 1974, pp. 74-80, and Robert Heibroner,(Reflections on the Triumph of Capitalism), New York, 1989)p. 98.

29-Nozick, Ibid, p. 57

30-Homa Katouzian, Ideology and Method in Economics, Macmillan New 31-Studies in Economics, London, Macmillan,1980

32-Mickey Kaus, the end of equality (New York: Yale University press; Basic Books, 1992, pp. 96-103

33-Paul Johnson,(what ever happened to socialism?) readers digest, vol. 141, 1992,pp.111 and 114, and Cohen Joshua, (Maximizing social Welfare or instutionalizing democratic ideals), politics and society, 1991, pp. 39 -58

34-Johnson, Ibid, p. 157

35-Adam preworski, (could we feed everyone?, the irrationality of capitalism and the infeasibility of socialism), politics and society, vol. 19, 1991, pp. 1 - 38

36-Cui Zhiyuan, (Market lincompleteness, Innovation and Reform),politics and society, 1991,pp. 59 - 69

37-Robin Hahnel, (participatory planning) science and society, 1992, pp. 39-59

38-Bruno Palier, Gouverner la securite sociale: Les Reformes du systeme francais de protection sociale depuis 1945.

39-Jean Claude Hardouin et Geoges Septours (Les Cousts du systeme educatif), Problemes economiques. 2004

40-Raymond Boudon, L, enegalite chances;la mobilite sociale dans les societies industrielles, Paris:1984

41-Vincent Vandenberghe,(L, Universite and doit-elle etre gratuite) Problemes economiques, 2004

42-Jerome Gautie, (Protection de l emploi:De la deregulation a la flexicurite), Problemes economiques, 2005

43-Richard M. Titmuss, Social Policy: An Interoduction (London; Allen and Unwin, 1974) and Developing social policy in conditions change; the role of social welfare, pp. 254- 268.

44-Hans L. Zetterberg, Befor and beyond the Welfare State: Three Lectures Stockholm: City University 1995,pp 43-45

45-Olli Kangas and Joakim Palme,(statism eroded? Labour-market Benefits and challenges to the Scandinaian Welfare State) in: Erik Jörge Hansen; Welfare Trends in the Scandinavian countries (Armonk, NY: M. E.sharpe,1993), pp 3-24

46-Joakim Palme, The Nordic Model and Modernization of social protection in Europe(Cobenhagen: Nordic Council of Ministers, 1999-2000).

47-Olli Kangas and Joakim Palme(The development of Occupation Pensions in Finland and Sweden. 1996. Pp 211-240

48-Stefan Olafsson, The Icelandic Model of Welfare, 1998.

49-Zetterberg Befor and Beyond the Welfare State: Three Lectures, pp. 51-59

50-Esping- Andersen, The Three Worlds of Welfare Capitalism, pp. 155-157

51-Irene Wennemo, sharing the costs of children: Studies on the Development of Family Support in the OECD Countries, SwedishInstitute for Social Research; 25(Stockholm: Swedish Institute for Social Research, 1994.

- 52-Elisabeth Steckmest. (Non-cash Benefits and Income Distribution,) Working Paper no. 150. LIS Publications, Lucembourg. 1996. Pp. 40-85
- 53-Gøsta Esping- Andersen, Three Worlds of Welfare capitalism (Cambridge, UK: Polity Press. 1990
- 54-Ola Sjoberg, Duties in the Welfare State, 2000, pp. 107-140
- 55-Rawls, A Theory of justice, p. 20
- 56-Palme, The Nordic Model and Modernization of Social Protection in Europe, p. 51
- 57-Olli Kangas and Joakim Palme: (Statism Eroded? Labour-market Benefits and Challenges to the Scandinavian Welfare States). 1993, pp. 3-24
- 58-Udvalgte stednavnes betydning. Navneforskning, Københavns Universitet.
- 59-The life of Alfred the great translated from the German of Dr. Thore, B, Bell, R, Pauli to which is appended Alfred Anglo-Saxon Version of Orosius. 1900, p, 253.
- 60-Royal Danish. Denmark history, Prehistory(Poul Otto, Nielsen, Ministry of foreign affairs, may 2003
- 61-Aktuel Naturvidenskab. Danmark nye top. Dahlgård, Jørgen, 2005.
- 62-Michaelsen, Karsten Kjer, Politikens bog om Danmarks oldtid, 2002

- 63-Sunrise, sunset, dawn and dusk times for the whole- Copenhagen, Denmark- May, 2006
- 64-Majskikke Store Danske Encyklopædi, 2004
- 65-Sankthansaften, store Danske Encyklopædi, 2004
- 66-CIA. The World Factbook. Denmark. 2007
- 67-Matthew, E, Kahn, Living Green: Full Country and City Rankings: Countries. 2009
- 68-Michaelsen. Danmarks history, 2002, p 19.
- 69-Niesen, Poul, Danmark history, prehistory, 2003.
- 70-Busck and Poulsen, 2002, p20
- 71-Charles C. Mierow Jordanes. The origin and Dees. 1997
- 72-Tegning, Inger Bjerg Poulsen, efter Else Roesdahl: Danmarks vikingetid, 1980.
- 73-Mhchaelsen, 2002. pp. 122-123
- 74-Palle Lauring, A History of Kingdom of Denmark, Copenhagen, 1960. P, 108.
- 75-Busck, Steen and Poulsen, Henning; Danmarks historie; Århus Universitetsforlag, 2002.
- 76-Stanley Chodorow and Robert S. Hoyt: Europe in the Middle Ages, New York, 1976.

77-Svenskt Milit rhistoriskt Bibliotek. Kalmarkriget, 1611-1613, 2007.

Parker. P. 69-70.

78-Busck, Steen and Poulsen, Henning: Danmarks historie, 2002

79-Busck, Steen and Poulsen, Henning- grundtr k.  rhus
Universtietsforlag, 2002

80-Richard M. Titmuss, The Role of social Welfare, pp. 254-268

81-Walter Korpi and Joakim Palme, the paradox of Redistribution and
strategies of Equality: Welfare State Institution, Los Angeles, CA: Lis
Publications, 1998.

82-Albert O, Hirschman, Organizations and States, 2004.

83-Gordon Tullock, Economics of Income Redistribution, 1983

84-Olli Kangas and Joakim Palme, Welfare Trends in the Scandinavian
Countries, 1993.

85-Joakim Palome, The Nordic Model and Modernization of Social
Protection in Europe. 1999-2000.

86-Zetteberg, Before and Beyond the Welfare State: Three Lectures, pp.
51-59.

87-Irene Wennemo, sharing the costs of children; 1994

88- Jan Plovsing, Velf rdsstat og socialpolitik, 2007

ثانيا: دوريات المنظمات الدولية وهي الدوريات التي تصدر عن المنظمات الدولية وهي كالآتي:

- ١- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، قطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية في الوطن العربي عام ٢٠٠٠.
- ٢- من التقرير الاقتصادي العربي الموحد ٢٠٠٠ (المنظمة العربية للتنمية الزراعية)
- ٣- منظمة الزراعة والاغذية للامم المتحدة، بيانات الحاسب الالي ٢٠٠١.
- ٤- صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة ٢٠٠٢، ابو ظبي ٢٠٠٢، ص ٥٣.
- ٥- نوزاد الهيتي، فعالية نقل التكنولوجيا في التنمية العربية، مجلة التنمية الصناعية العربية ، المنظمة العربية للصناعة والتعدين المغرب العدد ٣٨، ٢٠٠٠.
- ١- التقرير الاقتصادي العربي الموحد لسنة ٢٠٠٢، ص ٧٣.
- ٢- الامم المتحدة ، مسح للتطورات الاقتصادية في منطقة الاسكوا: ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (نيويورك: الامم المتحدة، ٢٠٠٤) ص ٢٨ .

ثالثا: دوريات عامة وهي كالآتي

- ١- مجلة الثقافة الجديدة – العدد ٦٤ – ص ٢٧
- ٢- مجلة كلية بغداد-العدد ٢٣ – ٢٠١٠
- ٣- موسوعة المحدث، الاسطوانة اليزر، الاصدار ١٩٩٩م
- ٤- كوريا الجنوبية – وكالة الاستخبارات المركزية – كتاب حقائق العال
- ٥- التقرير التمهيدي لإصلاح ميزانية الضمان الاجتماعي الذي أعده مجلس الشيوخ الفرنسي في تشرين الثاني/ ٢٠٠٤

٦- كتيب من وزارة الخارجية الدنماركية

٧- كتيبات في بلدية فيبورك

٨- ترجمة لمقال الخبير الاقتصادي الهولندي أندري دي فريس الذي القاه في المؤتمر

الاقتصادي العالمي في الخرطوم عام ٢٠٠٩

٩- مقال لعيسى عبده نقلا عن أخبار " تي في ٢ " الدنماركي بتاريخ ٣٠ - ابريل - ٢٠١٢

١٠- وزارة الشؤون الخارجية النرويجية

رابعاً: الروابط الألكترونية وهي كالاتي

1- البوابة الالكترنية لوزارة التعليم العالي - الملحقة الثقافية في كوريا الجنوبية

2-www. Madariss.fr

عبد الحكيم الفلالي، د - كوريا الجنوبية نموذج لبلد حديث النمو

3-www.gn4me.com العالم اليوم، تاريخ العدد ١٤-١١-٢٠٠٦

4-www.Moqatel.com/Moqatel/Data/Behoth/Dwal_Modn 18/Denmark.

5-www.wikipedia.org

6-www.advokatsamfundet.dk

7-www.rigsadvokaten.dk

8-www.suite101.com/article/denmarks-top-import-export-2008

9-www.suite101.com/article/denmark-top- imports - exports-2008-
a156701

10-www. Opec.org الدكتور نعمت ابو الصوف: طاقة الرياح ... ثمة سلبيات

www.statistikbank.dk مركز الاحصاء الدنماركي

www.ssb.no الجهاز المركزي للاحصاء النرويجي

www.akhbar.dk 11 صحيفة أخبار الدنمارك

www.inm.dk/medborger/arabisk/index.html 12

موقع إخوة مواطنون في الدنمارك

www.bostoreview.net/BR25.5/vanparijs.html 13

<http://forum.kooora.com/f.aspx?t=25758089> 14

http://www.aleqt.com/2010/11/14/article_469059.html 15 جاي سورمان

<http://www.azeytouna.net/Iqtisad/Iktisad006.htm> 16

موقع الدكتور سعود بن عيد العنزي- الموقع الاول المتخصص في خدمة البحوث وجميع -17
المؤتمرات

ويكيبيديا الموسوعة الحرة-18

الخلاصة

الانسان بطبعه متطلب متجدد متطور، يحب التحديث والتغيير ويسعى طوال عمره لذلك، فكلما حصل على شئى طالب بالافضل سعيا وراء أمانيه وأحلامه لتحقيقها، وهذا الطبع هو سبب رئيسي في إرتقاء البشرية، وهو سبب وصول البشرية الى ما وصلت اليه اليوم من تقدم ورقي وحضارات وحرريات وعدل ومساواة ورفاهية، ان المواطن في اي بلد كان له حقوق على الحكومات تنفيذها ومنها العدل والمساواة والعيش الكريم والشعور بالأمان، وبنفس الوقت عليه واجبات يجب تنفيذها، بذلك تتغير طبيعة المجتمع ككل، ويتحسن أداء الفرد لان عمله يصبح نابع من القناعة والمحبة ويشعر انه شريك في الوطن وشريك في المصنع والمكان الذي هو فيه، وبذلك يسعى لتطوير امكاناته دائما، فينهض المجتمع ويقترّب من حدود الرفاهية. ان المجتمع الذي يصل الى مستوى الرفاهية ، هو مجتمع منتج وواعي ومثقف، ومشاكله تختلف عن مشاكل المجتمع الجاهل المتخلف المستهلك فقط، هو مجتمع اجتاز أزمات الماء والكهرباء والسكن والصحة والبطالة بالقوانين الشفافة والتأمين الاجتماعي والصحي، وبترك العادات البالية والاهتمام بجمال مدنهم ان ينسى تاريخه وتراثه، وهو المجتمع الذي يشعر الفرد داخله بجمال الحياة وروعها، فيسعى أن يتمتع بها ويأخذ حقه الكامل منها، وايضا يشعر انه حر قوي ومكتفي وغير تابع او ذليل امام رب العمل او احد غيره، وكل هذا يزيد المواطن ثقته بنفسه اولا وبوطنه ثانيا. ومن ما ذكرته في أعلاه اخترت موضعا لكتابة الاطروحة وعنوانته ب (الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية – الواقع والآفاق – الدنمارك نموذجا) ويحتوي البحث على اربعة ابواب يتناول واقع وآفاق الرفاهية في العالم وبالاخص الدنمارك والابواب هي: ١- واقع الاقتصاد العالمي. ٢- الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية. ٣- الدراسات السابقة للرفاهية. ٤- الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية في الدنمارك. ٥- الخاتمة. ٦- المراجع. ٧- الملحقات.

Summary

Human have a natural disposition for demanding and renewed and developed, and looking for modernization and transformation, and seeks longevity for that, whenever got something demand with the best seeks behind his dreams and aspirations, to achieve them. This disposition is a principal cause in the rise of human. That citizen in any country has rights to be in, justice and equality and decent living, and to feel safe. The society which up to the level of welfare, is a productive society and sublimity land cultured. It is problems are different from problems of society ignorant, and backward and consumer only, it is passed crisis of water, electricity, housing, health, and unemployment, by transparent laws, and social and health insurance, and leave the habits worn, and attention to the beauty of its cities, and not forget its history and heritage. According to it and when I started to study until I earn PH.d in the Arab Academy in Denmark, I choose a subject commensurate with what I have mentioned above. And address is (Economic and social welfare- reality and prospects- Denmark model). The search contains four chapters, dealing with the reality and the prospects for welfare in the world, specially in Denmark. The chapters is:

- Ch.1- The reality of the global economy.
- Ch.2- The economic and social welfare.
- Ch.3- Previous studies in welfare.
- Ch.4- The economic and social welfare in Denmark
- 5- Ending with the concalisions and recommendation.
- 6- Bibiliography
- 7- Summries in English and Arabic